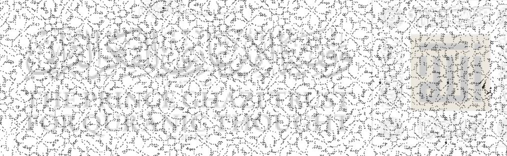



دراسات حول المدينة المنورة
١٥

ديوان

فتح الله بن النحاس

الحلبي المدني

المتوفى سنة ١٠٥٢ هـ

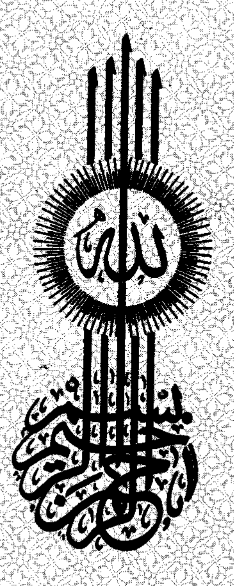
تحقيق وتقديم

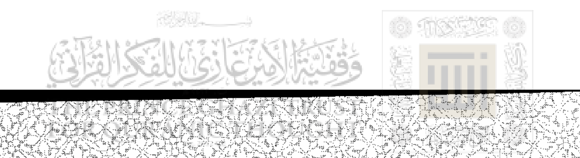
الدكتور محمد العيد الخطراوي



مكتبة دار التراث
للنشر والتوزيع



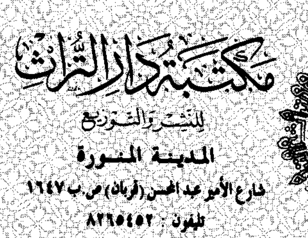




ديوان

فتح الله بن النحاس

الطبعة الأولى
١٤١٢هـ - ١٩٩١م



● فرع مكتبة دار التراث ـ شارع الملك فيصل (الستين)
مقابل مسجد الإجابة .

مقدمـــة التحقيـــق

يمثل هذا الديوان ، الكتاب الخامس عشر في سلسلة (دراسات حول المدينة المنورة) التي ندبت نفسي لها ، وما زالت هذه السلسلة بحمد الله ، تلقى التشجيع من جمهور القراء ، ومازال ذلك التشجيع يدفعني إلى المزيد من الجهد ، ويمدني بعد الله بالعزيمة على مواصلة السير في طريق لا معين فيها غير السهر والعناء ، متدرعا بالصبر والأناة ، مؤملا فيما عند الله من أجر ومثوبة ، جزاء خدمة تاريخ مدينة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم .

ولم أشأ أن أطيل في هذه المقدمة ، بل قصرت الحديث فيها على ثلاث نقاط هي :

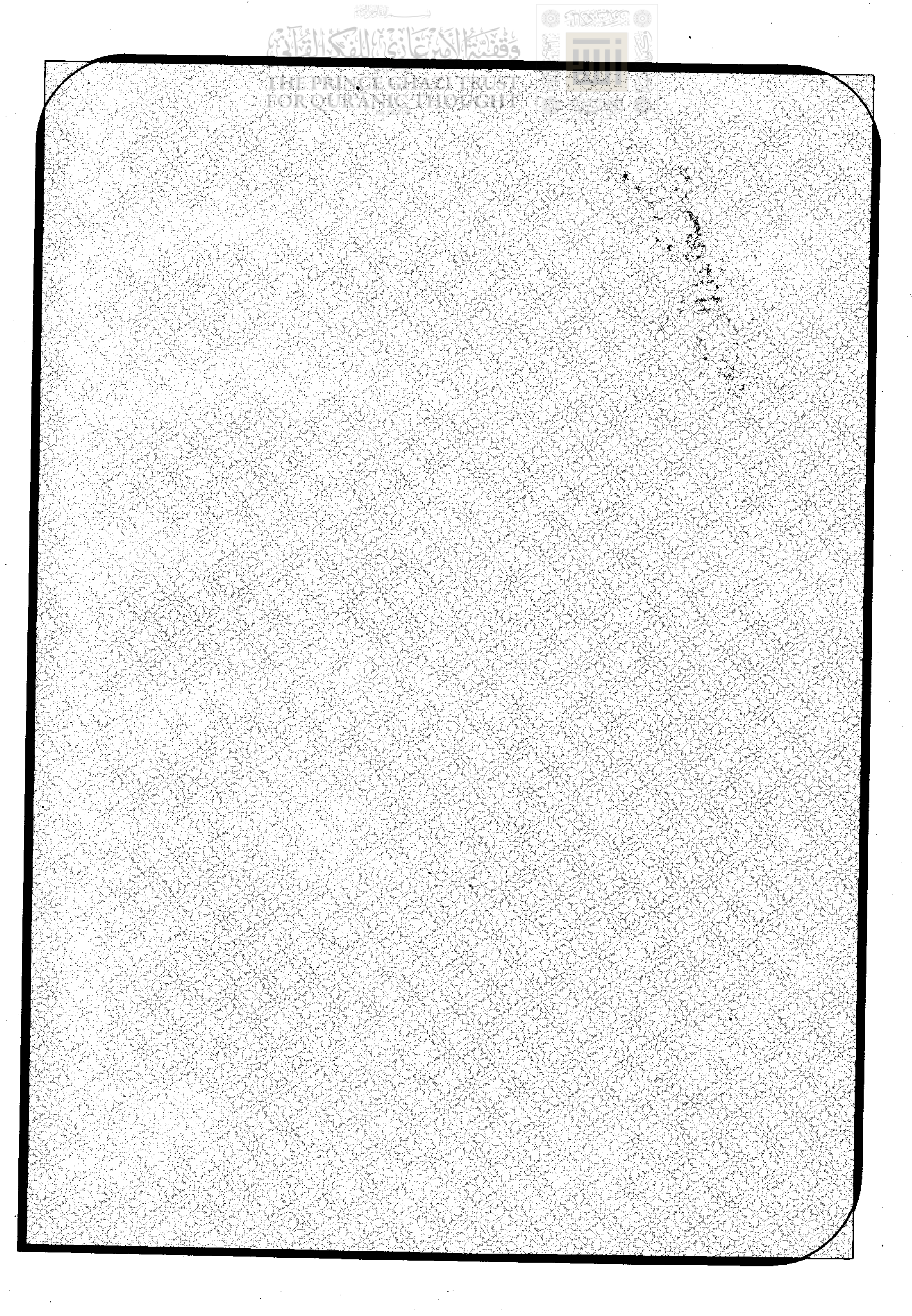
(أ) نبذة عن حياة الشاعر .

(ب) إيماضة حول الديوان وعملي فيه .

(ج) وصف معتمدات التحقيق .

والله أسـأل العـون والسـداد .

المحقـق



الشاعـــر

هو فتح الله بن عبد الله ، الشهير بابن النحاس [1] .

الحلبي ، ثم المدني . ولد بحلب في حدود سنة ٩٨٠ هـ ، ونشأ بها ، ومن هنا جاءته (الحلبي) ، وعاش آخر حياته بالمدينة المنورة وتوفي بها[2] ، ومن هنا جاءته (المدني) .

والنحاس في اللغة هو صانع النحاس وبائعه ، وهذا يعني أن أباه أو جده كان يمتهن النحاسة أو يتصل بها على وجه من الوجوه ، يصح معه أن يكتسب لقبه منها ، وربما دل ذلك على أن أسرته كانت من الأسر الكادحة المحدودة الدخل ، تكسب رزقها من عمل يديها ، وتعاني كثيراً من ويلات العوز والفقر . ولعل شكوى ابن النحاس الدائمة من الفقر في شعره ، تكون حينئذ راجعة إلى هذا الوضع الاجتماعي والاقتصادي السيئ الذي رافقه منذ طفولته ، وظل يكابد منه طوال حياته ، ولجأ في مغالبته له إلى شعره يستخدمه في مدح الأمراء والكبراء ، ليحصل على عطاياهم ، حتى إذا ما صادف بخلاً أو إعراضاً ، توجه إلى الله يشكو حظه ، ويعاتب

---

(١) هكذا جاء في الأعلام (٥ : ١٣٥) ، أما في خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر للمولى محمد المحبي ، فقد جاء هكذا : (فتح الله المعروف بابن النحاس) .

(٢) انظر مقدمة النسخة (ج) في (وصف النسخة) .

زمانه ، ويندّد بمستوى فهوم الناس وإعراضهم عنه وعن شعره ، فيقول مثلاً [1] :

إلهي جعلتَ متاعي القريضَ ... وقد صار عندي يعدّ السنينا
ولمْ لا ؟ وقد درست سوقُه ... كأطلال أربابه الأقدمينا
ولابد للشعر من رازقٍ ... فياويل من يقصد الباخلينا
أقطّف من روض شعري لهمْ ... فأنثر ورداً على نائمينا
فيارازقَ العالمين اغنني ... بفضلك أن أقصد العالمينا
فها أنا ذا شاعر واقفٌ ... ببابك يا أكرم الأكرمينا

ويقول في قصيدة أخرى [2] :

والشعر أخلف نوؤه ... وتقشّعتْ في الجوّ سُحْبُهْ
مازال تلفحه سَمُو ... مُ البخل ، حتى جفَّ عُشْبه
كم ترتجي صنماً سوا ... ءٌ فيه مدحتُه وثلْبُه
مستنكَرُ الأنساب ، جَعْـ ... ـدُ الكفِّ ، جعدُ الوجه ، صُلْبُهْ

ويقول [3] :

ضاع شعري بين الكبار كما ضا ... ع سفاهاً بين العراة البخور
مَنْ معيني ؟ دهري اللئيم أم الحظّ ... المنافي ، أم الحبيب النّفور ؟
كيف أرجو الخلاص بين ثلاثٍ ... ويدُ الكلِّ في قفاي تجور ؟

وكان في حداثته بارع الجمال ، بهيّ الطلعة ، يشد إليه العيون ، ويجمع القلوب من حوله ، ثم تبدلت محاسنه وتغيرت حاله حين تقدم به

---

(١) انظر المقطوعة ٢٩ .
(٢) القصيدة ٣٠ .
(٣) القصيدة ٢٦ .

العمر ، فراح ينعي في شعره ذلك الحسن الغارب كلما عزب عنه الناس وأعرضت عنه الغواني ، ومن ذلك قوله [١] :

يا هذه ، إن أنتِ لم تدْرِ الهوى ... لا تجحديه ، فللهوى استحكام
وأبيك كنت أحدَّ منك نواظرًا ... وبكل قلبٍ من جفاي كلام
والسحر إلا في لساني منطق ... والحسن إلا في يديّ ختام
لدْن القوام ، مصونةٌ أعطافه ... عن أن تمدّ يدًا لها الأوهام
متمنّعاً لا الوعد يدني وصْلَه ... يوماً ، ولا لخياله إلمام
حتى خلقت السُّقْم فيه بنظرةٍ ... ولقد يلاقي ظُلْمه الظِّلاّم
وتنوّعت أدواؤه ، فبطرْفه ... شكل الرقيب ، وفي الصِّماخ ملام
ألفَ التجنُّبَ في هواك ، فقُربُه ... للناس بعدك حظوةٌ وسلام

ومل الإقامة في عشيرته فخرج من حلب ، وطاف البلاد ، فدخل إلى دمشق وخرج منها مرات عديدة ، وسافر إلى مصر في أوائل سنة ١٠٤٠ ، وأقام بها نحو العامين ، في كنف الشيخ أبي الإسعاد الوفائي [٢] ، فدخل القاهرة ومنوف وغيرهما ، ولم يكد يستقر في مكان إلا لينتقل منه إلى غيره ، وفي ذلك يقول [٣] :

أنا التاركُ الأوطانَ ، والنازحُ الذي ... تتبّع ركْبَ العشق في زيّ قائف
ومازلت أطوي نَفنفاً بعد نفنفٍ ... كأنّني مخلوق لطيِّ النفانف [٤]
فلا تعذلوني إن رأيتمْ كتائبي ... بكل مكان حلّه كل طائف
لعل الذي باينتُ عيشي لبيْنِه ... وأفنيتُ فيه تالدي ثم طارفي
تكلّفه الأيام أرضاً حللتُها ... ألا إنّما الأيام طُرْق التكالُف
فيملي عليه الدهر ما قد كتبته ... فيعطف نحوي غصن تلك المعاطف

---

(١) انظر القصيدة ٤٩ .

(٢) انظر مقدمة النسخة (ج) .

(٣) المقطوعة ٣٤ .

(٤) النفنف : المهوى بين جبلين .

وكان يجد من الأدباء في كل مكان حل به الحفاوة البالغة ، وربما تكون شهرته قد سبقته إليهم . وجرت بينه وبينهم محاورات ومفاكهات كثيرة ، وتوشجت الصلات ، وتبادل مع بعضهم الرسائل ، وفيما يلي رسالة إلى بعضهم ، يعاتبه فيها على تقصير بدر منه :

(عهدي بالشيخ جبلاً آوي إليه ، وحمًى أحوم حوله ، وعمادًا أعتمد بعد الله عليه ، فما بال الجبل لم يُؤوِ ، والحمى لم يَحْم ، والعماد لم يَحْو ؟ وما باله في مسرّاته ، وأنا في ليل الهموم أتوقع تنفُّس صبحها ، وأبتهل إلى الله تعالى في طلوع شمسها ؟ فعندما حلّت أكفُّ الابتهال عرى الدجى ، ولاح من تنفُّس صبح الوصال أشعة شمس المنى ، حال بين طرْفي وسناها قذاة العين ، وأصبحت مصاباً بالعين ، أعوذ بالله من أن يلهى الشيخ بزخرف المتمشدق ، أو تستميله أقاويل المتملق ، والزخرف عتبة التلاشي ، والتمشدق باب الهول ، والأقاويل مطية الكذ ب ، والدخيل قذال يد الرد ، والتملق مرزاب النفاق ، ولي في محبته الودّ الثابت ، والقلب الصابر ، واللسان الرطب ، والفم الشاكر ، وله مني الوداد المحض ، والقصائد الغر . ولي منه أنّة المتوجع ، ولوعة المصاب ، وحرقة المهجور ، وخشية المرتاب ، وما أراه من اقتفائه أثر المتلبّس عليهم الأمر في كسر زجاجة ودادي من زيد وعمرو ، ولا غرو قد يدمي الجبين إكليلُه ، وتهجر الحسام قيونُه ، وكثيراً ما يضل المدلج دليلُه ، وتخطيء المؤمِّل ظنونُه)[1] .

وتعرّض في أثناء أسفاره ورحلاته إلى كثير من العنت وضيق ذات اليد ، ومسته الحاجة والفاقة ، فعمد – كما قلنا – إلى مدح الأمراء والوجهاء يستمطر عطاياهم ، فيحمد سعيه إذا وُفق ، ويرتكس تحت وابل من الكآبة

(١) خلاصة الأثر ٤ : ٢٦٠

والإحباط إذا فشل ، ويرتفع صوته بالشكوى وعتاب الزمان ، ولذلك نلاحظ مساحة المديح في شعره هي الغالبة ، فلقد مدح كثيرين في الشام ومصر والحجاز .

● فمن ممدوحيه في دمشق :

١ - أحمد بن الملاّ زين الدين العجمي ، النّخْجَواني ، الدمشقي ، الملقب بالمنطقي .

ولد بدمشق سنة ١٠٠٣ هـ ، وكان أيضاً أديباً ، يكتب الشعر بالتركية والعربية ، ومن شعره :

سقت الرياضَ دموعُ عيني الجاريه ... فبدت تراجعها عيون باكيه
وسرت لأغصان الورود فأصبحت ... أكمامُها منها قلوباً داميه
دمعي تبدّل بالشرار ، وكيف لا ؟ ... وجحيم قلبي فيه نارٌ حاميه
ماذا عليّ من الجحيم ، ولم تزل ... نار المحبة في وجودي باقيه ؟
ياسادةً لمّا بدا سلطانهمْ ... بِملَكَ القلوب من الأنام كما هيه
تلوي غصون قدودهم أيدى الصَّبا ... وقلوبهمْ مثل الحجارة قاسيه
لم يبق لي ثمن يقاوم وصْلكمْ ... إلا المحبة ، والمحبةُ غاليه
الجسم ذاب من الجفا ، والقلب رَهْـ ... ـنٌ عندكم ، والروح مني عاريه
منُّوا عليّ بنظرة ، فوحقِّها ... قسمًا بمن يُحْيي النفوس الفانيه
لو مرّ بي ميتاً نسيمُ دياركمْ ... سرت الحياة إلى عظامي الباليه

واشتغل بالتدريس ، فولي تدريس المدرسة السّليمية ، ثم سافر إلى حلب ، وصحبه قاضيها عبد الكريم بن سنان بعد عزله سنة ١٠٢٨ هـ إلى القسطنطينية ، فلقي حظوة لدى علمائها ، ودرّس فيها بعدة مدارس ،

واشتهر بين أقرانه وعلا صيته حتى وصل إلى السلطان مراد، فضمه إلى مجلسه.

وبعد سنوات رجع إلى حلب قاضياً، ثم ولي قضاء الشام، وسار فيه سيرة حسنة، فامتدحه الشعراء، منهم الأمير منجك وابن النحاس، فمن قول الأمير منجك فيه:

قاضٍ تودّ لَو انّها فرشت له ... عند القدوم كواكب الأغلاس
بيديه حلّ المعضلات وكشفُها ... وجلايةُ الجلّى، ورفع الباس
وله سهامُ عدالةٍ لو فُوِّقت ... تركت متون الجور كالأقواس
لمّا سهرتُ على مدائحه التي ... جعلت عداي من الردى حرّاسي
ودّ الهلال لو استقام، وأنه ... أمسى لديّ مكانةَ النبراس

أما ابن النحاس فقد مدحه مع أخيه في قصيدته التي مطلعها [1]:

نظروا لغايتك التي لم تلحق ... فتحققوا أن العلى للسبّق

ووقع بين المنطقي وحاكم الشام: عثمان الجفتلري خلاف، فلفق له مجموعة من التهم اقتضت من السلطان أن يأمر بقتله، فقتل رحمه الله خنقا، صبيحة الجمعة، ثالث عشر جمادى الآخرة سنة ١٠٤٥ هـ، وضبطت أمواله لجهة بيت المال [2].

٢ - الأمير محمد بن فرّوخ:

ولد بنابلس. وتولى إمارة الحج الشامي ثماني عشرة سنة، بدأت بعام

---

(١) انظر القصيدة ٦٨.

(٢) خلاصة الأثر ١ : ١٥٧.

١٠٣١ هجرية ، فأمَّن الطرق ، وهابته الأعراب على طريق الحاج ، ونال إعجاب معاصريه ، واستثار قرائح الشعراء ، فامتدحوه ، منهم عبد الرحمن العمادي ، القائل :

(محمد باشانا ابن فرّوخ) من له عجائب شاعت من عظيم فعاله
وكم طعنات أقصدت من رماحه وكم رشقات أنفذت من نباله

وابن النحاس ، فقد مدحه بحائيته الشهيرة [١] :

بات ساجي الطرف والشوق يلح والدجى إن يمض جنح يأْت جنح

وبالمقطوعتين ٣٧ ، ٤٣ .

والأمير منجك ، ومن ذلك قوله :

أميرنا لا برحت في رتبٍ ينحط عن دون بعضها الفلكُ

وكانت وفاته بنابلس سنة ١٠٤٨ هجرية [٢] .

٣ - أحمد بن شاهين القُبْرسي .

ولد بدمشق سنة ٩٩٥ هـ ، وأصل والده من سبي جزيرة قُبْرس ، (قالوا : هي بالسين ، والعوام ينطقونها صاداً) ، اشتراه أحد الأمراء وجعله من أجناد دمشق ، فنشأ ولده هذا جنديا مثله ، غير أنه وقعت فتنة بين علي بن جانبولاذ والعساكر الشامية انتهت بهزيمتهم ، فكان أحمد من الأسرى ، وحين أطلق سراحه اتجه إلى الدرس والاشتغال بالعلم والأدب ،

---

(١) القصيدة ٧ .

(٢) خلاصة الأثر ٤ : ١٠٨ .

فأخذ العلوم عن الحسن البوريني ، وعمر القارىء ، وعبد الرحمن العمادي . وتأدب بأبي الطيب الغزّي ، وعبد اللطيف بن المنقار .

وقال مشيراً إلى هذا التحول في حياته :

صبوتُ إلى حب الفضائل بعدما　　تقلدتُ خطّيا ، وصُلتُ بلَهْذم
وصار مدادي من سواد محاجري　　وقد كان محمرًّا يسيل كعندم

ولازم المفتي الأعظم صنع الله بن جعفر ، وناب في القضاء بدمشق ، وتولى قضاء الركب الشامي في سنة ١٠٣٠ هـ ، ولقي شريف مكة حينئذ ، الشريف إدريس بن الحسن ، ومدحه بقصيدة مطلعها :

يا ربعُ ، صبريَ عاد فيك دريساً　　وهوايَ أمسى في حماك حبيساً

ودرّس بالمدرسة الجقمقية بدمشق ، ونبُل قدره ، وعلا شأنه ، ومدحه شعراء عصره ، ومنهم ابن النحاس ، مدحه بقصيدته التي مطلعها [(١)] :

ألذُّ الهوى ما طال فيه التجنبُ　　وأحلاه ما فيه الأحباء تعتب

ولما قدم حافظ بلاد المغرب أبو العباس أحمد المقّري إلى دمشق ، أنزله الشاهيني (منسوبا إلى والده) في المدرسة الجقْمقية ، وأكرمه غاية الإكرام ، ودارت بينهما محاورات ومراسلات شعرية ، من ذلك ما كتبه الشاهيني في تهنئته بعام جديد :

عام جديد ، وجَدٌّ مقبل ، ونهًى　　فياضةٌ ، وفُهوم بتْنَ كالشُّهب
فهل يرى البدرُ ، بدرَ الغرب في شَرَقٍ　　بأن يرى النجمُ ، نجمَ الشرق في الأدب
واليوم مازال سيّاراً ، وربّتما　　يحلّ منزلةً تنحلّ في الرتب

---

(١) القصيدة ١٢ .

وأرسل إليه بهدية وخمسين قرشاً ، وكتب إليه معتذراً :

لو كان لي أمر الشباب خلعته ... بُردًا على عطفيك ذا أردان
لكنّ تعذّر بعثُ أوّل غايتي ... فبعثت نحوك غاية الإمكان

فردّ عليه المقّري بقوله :

يا واحد العصر الذي بمديحه ... سارت ركاب المجد في البلدان
أوليتني ما لا أقوم بشكره ... مالي بشكر المنعمين يدان
ونظمتُ أشتات الكمال جواهراً ... أضحت تفوق قلائد العقيان
فالله يبقي من جنابك سيدي ... عينَ الزمان ومفخر الأعيان

ومن قوله المستجاد :

نصلَ الشبابُ ، وما نصلتُ من الهوى ... وبدا المشيب وفيَّ فضل تصابِ
وغدوت أعترضُ الديار مسلِّما ... يوماً ، فلم تسمح بردّ جوابِ
فكأنها وكأنني في رسمها ... أعشى يحدّق في سطور كتاب

وله أشعار كثيرة ، ونثر جميل . وكانت وفاته في شوال سنة ١٠٥٣ هـ ، بدمشق ، وكان يوم موته ماطراً جدًّا ، فقال الأمير منجك يرثيه :

قلت لمّا قضى ابن شاهين نحباً ... وهو مولًى كلٌّ يشير إليه
رحم الله سيداً وعزيزاً ... بكت الأرض والسماء عليه [(١)]

٤ – مراد بن إبراهيم الدفتري ، الدمشقي . المعروف بابن الشريطي .

ولي الدفترية [(٢)] بدمشق مدة طويلة ، وعظم صيته ، حتى منح رتبة

---

(١) خلاصة الأثر ١ : ٢١٠ .

(٢) الدفترية : تولّي دفاتر المحاسبة ، فالدفتري هو المحاسب .

أمير الأمراء . وكان يحب مجالسة الأدباء ويُقرّبهم ويحسن إليهم ، ولذلك مدحه بعض الشعراء ، كابن النحاس في قصيدته التي مطلعها [1] :

ثلاثة أعياد أتت وهي تبسم : ربيع ، ونوروزٌ ، وعيد معظّم

ولمّا عُزل سافر إلى القسطنطينية وتوطنها ، ثم نُسب إليه كلام أغضب عليه أولي الأمر ، فقتلوه سنة ١٠٥٧ هجرية [2] .

٥ – عبد اللطيف أفندي أنسي .

وهو أحد موالي الروم ، (أي علمائهم) ، ولد في كوتاهية ، ودخل القسطنطينية شابًا ، فالتحق بخدمة قاضي القضاة محمد بن يوسف بنهالي ، وانتقل معه إلى دمشق حين ولي قضاءها في سنة ١٠١٢ ، واهتم به هذا القاضي ، وأقرأه وأدّبه ، حتى صار من العلماء والأدباء .

وبعد موت صاحبه تقلبت به الأسفار ، إلى أن استقر بمصر ، فولي قضاء الركب المصري ، ومحاسبة أوقاف مصر سنة ١٠٢٨ هـ ، ثم عاد إلى بلاد الروم وولي إحدى مدارسها ، ثم صار قاضيا بطرابلس الشام سنة ١٠٤٨ هـ .

وكتب إليه عبد الرحمن العمادي رسائل شعرية ، ردّ عليها بما يناسبها ، فمن ذلك أن العمادي كتب له :

مولاي أُنسيي الذي طابت طرابُلُس به ، وأصبح فيها الوحش في أُنسِ
ومن غدا فضله في العصر مشتهراً كالشمس في شفَقٍ ، والصبح في غلَس

---

(١) القصيدة ١١ .

(٢) خلاصة الأثر ٤ : ٣٢٤ .

أنت الذي فخَرَ العصرُ العصورَ به … وقصرت كلُّ مصرٍ عن طرابُلُس

أوصيكمُ بالحكيم الشيخ مخلصكمْ … (محمد) من غدا يعزى لأندلسِ

حمَّلتُه بثَّ شوقي كرّتين لكم … لعله بثَّه ، أو كان قبلُ نَسيي

قد كان لي حرُّ أشواقٍ فضاعفَه … قربُ الديار ، كشبِّ النار بالقَبَس

لكن رجونا لقاءً منك يطفئه … يارَبِّ فاجعل رجائي غير منعكس

فردّ عليه صاحبنا أُنْسيي بقوله :

هذا كتابك ، أم ذي نفحة القدُس … يا طيِّبَ اللهُ ذاكي عَرْفِ ذا النَّفَس

فقد حلا كلما كرّرته بفمي … كأنه أشنبٌ قد جاء باللّعس

كأنما كلُّ سطرٍ مفعمٍ أدباً … غصنٌ توقِّره الأثمار ، لم يَمِس

كأنهن المهاري وقُرُها دررٌ … وفي سوى القلب والأسماع لم تَطُس(1)

نظمٌ بديعُ جناسٍ الالتفات حلا … منه ، فبالله هذا ظبْيَة الأُنُس

مخايلُ السحر تبدو من دقائقه … كاللحظ أجفانه مالت إلى النَّعَس

لنا به كل وقت عن سواه غنًى … في طلعة الشمس ما يغني عن القبَس

تكسو المسامعَ أشنافاً مضاعفة … وتكتسي صنعَ صنعاءٍ وأندلس

فبينما نحن نجني من أزاهرها … إذ أشرقت وهي مثل الزُّهْر في الغلَس

وبينما هي تُجلَى في طرابُلُس … والشام ، طلّت على مصر ونابُلُس

أذكرْتني منه ما لم أنسه أبدًا … ولم يزل مؤنسي في مجلس الأُنُس

يا من تنزّه عن إحصا فضائله … هل في حسابك (أُنْسي) للعهود نَسيي؟

وإنني لحفيظ للوداد ، ولو … أعياك رسم وداد غير مندرس

لازلتَ عمدة أهل الفضل في صُعُدٍ … إلى العلى – يا (عمادي) – غير منتكس

مالي سوى نسمات الشعر أبعثها … تحية لدمشقٍ من طرابلس

---

(1) تَطس : تطأ .

وتولى القضاء بعد ذلك في بلاد كثيرة ، كان آخرها دمشق سنة ١٠٧٥ هـ ، وتوفي بها بعد ستة أيام من وصوله إليها .

هذا وكان ممدّحا للشعراء ، منهم الأمير منجك [١] ، وابن النحاس في قصيدته التي مطلعها [٢] :

إليك امتطى لجة البحر ظَهرًا ... فخلّف بحراً ، وصادفَ بحرًا

٦ - الأمير مَنْجك بن محمد بن مَنْجك بن أبي بكر ، اليوسفي ، الدمشقي .

ولد بدمشق سنة ١٠٠٧هـ ، ونشأ في طلب العلم ، ومن مشائخه : عبد الرحمن العمادي ، وأحمد الوفائيّ ، وأبو العباس المقّري ، وأحمد بن شاهين .

تأثر كثيراً بموت والده ، وقلّ ماله بسبب إسرافه في الكرم ، فارتحل إلى بلاد الروم ، وعانى فيها مشقات كثيرة ، عبّر عنها بمجموعة من القصائد سماها : (الروميات) ، معارضاً بهذه التسمية روميات أبي فراس ، ومن ذلك قوله :

إني لآنف من قول الأعاجيب ... لهول ما شاهدَتْه عينُ تجريبي

الصدق يسأم منه سمعُ مختبر ... حالَ الزمان ، فما شأنُ الأكاذيب

تلاعبَ الدهرُ بي طفلاً وبصّرني ... بالفكر ما لا تراه أعينُ الشِّيب

عُوِّضتُ عن (جلّقٍ) بالروم، متّخذًا ... يأسي بها بدلاً عن كل مطلوب

بدا بعيدٍ ، فقلتُ : العيدُ أيّكما ؟ ... لما تأملتُ من حسن ومن طيب

أعاد حزنيَ أفراحاً ، وصيّرني ... أُثني على طول تشتيتي وتغريبي

قال المحبّي : (وأشعاره كلها على نمط واحد في الرقة واللطافة ، ولم تكن مجموعة في دفتر على حدة أولاً ، لكن لمّا ورد دمشق شيخ الإسلام

---

(١) خلاصة الأثر ٣ : ٢٣ - ٣٦ .

(٢) القصيدة ١٦ .

عبد الرحمن ابن الحسام بعد عزله عن الفتوى ، أمر والدي بجمعها ، فأنشأ لها ديباجة ، وجمعها ورتّبها ترتيبا حسنا ، وهي الآن في دفتر مشهور ومتداول) [1] .

وكانت وفاته سنة ١٠٨٠ هـ بدمشق [2] .

وقد مدحه في حياته بعض الشعراء وهو بالشام ، منهم ابن النحاس ، بقصيدته التي مطلعها [3] :

نثَرَ الربيع ذخائر النُّـ ـوّار من جيب الغوادي

وقصيدته الأخرى التي مطلعها [4] :

مالكتي ، تملَّكي النفسُ لن تَملَّك

● ومن ممدوحيه في مصر :

١ – مصطفى بن محمد ، الشهير بعزمي زاده .

ولد ليلة الإثنين النصف من شعبان سنة ٩٧٧ هـ ، وأخذ عن شيوخ عصره علوم العربية والشريعة ، ونشط في ميدان التأليف فصنف مجموعة من الكتب منها : (حاشية على الدرر والغرر) في الفقه ، و (حاشية على ابن مالك) في الأصول ، وغيرهما .

وبرع في الأدب وبخاصة في الشعر ، فكتَبه بالعربية والتركية ،

(١) طبع هذا الديوان بالمطبعة الحنفية بدمشق سنة ١٣٠١هـ .
(٢) خلاصة الأثر ٤ : ٤٠٩ .
(٣) القصيدة : ٦ .
(٤) القصيدة : ٧٢ .

ورباعياته بالتركية مجموعة في كتاب مستقل ، مشهورة شهرة رباعيات سديد الدين الأنباري في العربية ، وعمر الخيام في الفارسية .

وكانت صلته قوية بشيخ الإسلام سعد الدين ، فسهل له ذلك الوصول إلى المناصب العديدة في التدريس والقضاء ، فقد درّس بأهم مدارس القسطنطينية ، ثم ولي قضاء الشام سنة ١٠١١ هـ ، ثم قضاء مصر ، ثم قضاء بروسة ، ثم أدْرنه سنة ١٠٢٠ هـ ، ثم قضاء دمشق .

وكان مقبلاً على الأدباء مقرباً لهم ، وقد مدحه الشعراء بقصائد كثيرة ، منهم ابن النحاس ، وكان إذّاك قاضياً على مصر ، وذلك بقصيدته التي مطلعها [١] :

ته ما استطعت فغيرك المملول ... يا من به كل الأنام عَذُول

ومن شعر عزمي زاده بالعربية قوله :

لله من رشإٍ كتائبُ لحظه ... أهلَ الصبابة غادرت مأسورًا
ولقطعه صُلب القلوب كرخوها ... قد صار صارم لحظه مكسورا

وقوله :

يا نفس عوذي بالكريم ، وعرِّجي ... فهو الذي يُسدي إلينا نعمته
وينزِّل الغيث الذي يُروي الرُّبَى ... من بعد ما قنطوا ، وينشر رحمته

وفي سنة ١٠٢٢ هـ ، عُزل عن قضاء دمشق ، وبعدها ولي قضاء القسطنطينية وقضاء العسكر .

(١) انظر القصيدة ٥٠ .

ومات في حدود سنة ١٠٤٠ هجرية [١] .

٢ - أحمد بن زين العابدين بن محمد بن علي البكري ، الصدّيقي ، المصري ،الشافعي .

ولد بمصر ، وبها نشأ ، وتعلم على أبيه وعمه أبي المواهب وغيرهما من مشائخ عصره ، وتصدّر لتدريس التفسير في بيته بالأزبكية بعد موت عمه أبي المواهب ، كما تصدّر للإقراء بالجامع الأزهر .

من مؤلفاته : (روضة المشتاق وبهجة العشاق) .

وتعاطى كتابة الشعر ، من ذلك قوله :

أحنُّ إذا جنّ الظلام تشوقًا إلى زمن بالقرب زاد تألّقًا
وأقطع ليلي ساهرًا متفكراً لعل زمان الأُنس يسعف باللقا

وقصده لسخائه الشعراء ومدحوه ، منهم ابن النحاس ، بقصيدته التي مطلعها [٢] :

عطف الغصن الرطيبُ وتلافانـا الحبـيـبُ

وقصيدته التي مطلعها [٣] :

قدِم الصيام ، وما استقرّ به السُّرى حتى تولّى الصبرُ منفصمَ العُرى

(١) الخلاصة ٤ : ٣٩٠ .
(٢) القصيدة : ٣ .
(٣) القصيدة : ١٩ .

وقصيدته التي مطلعها [(١)] :

أَنَى البرءُ يقفو إثر ما صنع السُّقمُ كما بالغنَى من ذي الغنى يُقتفى العُدْمُ

وقصيدته التي مطلعها [(٢)] :

تفقّدْ محبّاً ولو بالسؤال فإن التفقّد بعض النوال

وكانت وفاته في سنة ١٠٤٨ هجرية [(٣)] .

٣ - يوسف بن عبد الرزاق أبو الإسعاد الوفائيُ .

المالكي ، المصري . أخذ عن أبي النجاء السنهوري ، وأبي بكر الشنَّواني ، والدَّنَوْشَري ، وفايد الأزهري ، والأُجْهُوري .

ودرّس ، وأملى الكثير ، وحج مرّات . وله شعر كثير [(٤)] .

● ومن ممدوحيه في الحجاز أحد الأشراف بمكة المكرمة يدعى الشريف راشد ، وذلك بقصيدته التي مطلعها [(٥)] :

إلامَ انتظاري للوصال ، ولا وصل ؟ وحتّامَ لا تدنوا إليّ ، ولا أسلو ؟

وقصيدته التي مطلعها [(٦)] :

يا دارَها بالشِّعب ، شِعْب الحائل غاداك مرفضُّ الغمام الهاطلِ

---

(١) القصيدة : ٢٠ .

(٢) القصيدة : ٢١ .

(٣) خلاصة الأثر ١ : ٢٠١ .

(٤) الخلاصة ٤ : ٥٠٣ ، ولم يذكر سنة ولادته ولا سنة وفاته .

(٥) القصيدة : ٧٥ .

(٦) القصيدة : ٧٦ ، ولم أجد للشريف المذكور ترجمة .

• ومدح أيضا في الشام ومصر والحجاز غير من ذكرنا من الشخصيات ، ولكنه كان مع ذلك أبيّ النفس ، يحس بعلوّ القدر والتميز على نظرائه وأهل عصره ، بما رُزقه من ذكاء وشاعرية ، وبما منحه الله من موهبة وكمال عقل ، وقد ظهر ذلك جليا في شعره ، حيث كان كثيرًا ما يثني على نفسه وشعره إلى درجة العُجب والخيلاء ، حتى وهو يمتدح غيره ، وهي صفة قد تقترب به كثيراً من المتنبي الذي ضمّن بعض أبياته في شعره (١) .

ولكن هذه النفس الأبية والإحساس بالذات ، لم يستطيعا أن يقياه من الوقوع في بعض المزالق ، ولم يكونا كافيين لاستنقاذه من الإحساس بالإحباط ، ولذلك نراه يستسلم في بعض فترات ضعفه للتدخين وتعاطي الأفيون ، معتقداً أن ذلك قد يساعده على التخلص من إحباطاته ، ويخفف عنه بعض همومه ، فيقول في الدخان (٢) :

عكفتُ على شرب الدخان، وفي الحشا لهيب جوىً ، فازددت جمراً على جمرٓ
فقلت : أداوي نار قلبي بمثلها (كما يتداوى شارب الخمر بالخمر)

ويقول في الأفيون مبينا أثره السيّىء على الأجسام :

من يدخل الأفيون بيت لهاته فليُلْقِ بين يديه فقد حياته (٣)

ثم أدركه الزهد في المظهر من مأكل وملبس ومأوى ، فارتدى الثياب الخشنة ، وتزيّا بزيّ الفقراء من الدراويش ، وحرم نفسه الكثير من

---

(١) انظر هذا التضمين في القصيدة : ١٩ .
(٢) المقطوعة ٦٥ .
(١) القصيدة : ٣٢

الملذات ، مع أنفة وعجب ظاهر ، يقول المحبي : (وهذا عندي من الحمق العظيم ، مع أنه ينافيه جودة تخيله في الشعر ، وقد يقال : إن الشعر موهبة لا يتوقف أمره على وجود الصفات الكاملة بأسرها) .

أما عدم الاهتمام بالمظهر ، فقد عرف به المتصوفة على مرّ العصور ، وذلك يحسب عليهم ضمن سلبياتهم الاجتماعية والمعيشية . وأما الجمع بينه وبين العجب بالنفس ، فقد عُرف به غير ابن النحاس أيضا في تاريخنا الأدبي ، كالبحتري ، وأبي الفرج الأصفهاني ، وإن لم يحرمهما ذلك من غشيان الملذات وتناول الطيبات الأخرى ، وقد يكون هذا ضربا من الشذوذ النفسي الذي يرى صاحبه معه أن العبرة بالمخبر لا بالمظهر ، وأن المرء بإبداعاته الأدبية والعلمية ، ليس في حاجة إلى التحلي بأية زينة خارجية من طيب أو ثياب . وهو رأي لا يخلو دون شك من حمق ، كما قال المحبي ، وقد كان رسول الله ﷺ يتحلى ويتطيب ويأخذ زينته للمناسبات ومقابلة الناس ، وجاءت النصوص الشرعية تحث على ذلك وتؤكد عليه . وانتقل ابن النحاس أخيرا إلى الحجاز ، واستقر بالمدينة المنورة ، وتوفي بها ليلة الخميس ، لثمان بقين من صفر سنة ١٠٥٢ هـ ، ودفن بالبقيع ، ومن ثم اكتسب نسبته إليها ، فقيل : (ابن النحاس الحلبي ، ثم المدني) ، كما جاء في مقدمة جامع الديوان ، وهذه النسبة توحي بأنه عاش بالمدينة فترة تؤهله لأن ينسب لها ، وقد ذكر القدماء أنه متى ما أقام شخص في بلد أربع سنوات فأكثر ، صحت نسبته إليه ، يضاف إلى ذلك أن ابن النحاس مات بالمدينة ودفن بها ، واحتك بجوها العلمي والأدبي وتفاعل معه ، بل وتصدر للتدريس في مسجدها الشريف لمدة سنوات ، يقول جامع الديوان : (وأقام بها سنين ناشراً لمطاوي العلوم ، سبّاقا لمغازي المنطوق والمفهوم) .

ويقول مقدِّم النسخة (جـ) : (وكان له باع طويل في عدة علوم ، خصوصا علم النحو ، والصرف ، والعروض ، وقرض الشعر ، وله حلقة اشتغال بالحرم النبوي ، وبلي بجماعة من أهل المدينة يمقتونه ويؤذونه ، وحنّن الله عليه أغوات المسجد وأكابره ، وكانوا يبرّونه ويرفعون مجلسه) .

ولما مدح درويشُ مصطفى بن قاسم الطرابلسي شيخَ الحرم النبوي عبد الكريم المصاحب ، بقصيدة ، هزئ بها ابن النحاس ، وألف رسالة سماها : (التفتيش على خبالات درويش) ، ضمّنها هزءه واعتراضه عليها ، وأدى ذلك إلى تعصب بعض أدباء المدينة لدرويش ، كالسيد محمد كبريت ، ودفعه ذلك إلى الانتصار له بتأليف كتابه الذي سماه : (نصر من الله وفتح قريب) [1] ، وكأن محمد كبريت أحس بتطاول ابن النحاس في موقفه ، فضم إلى الرد في كتابه مجموعة من تراجم أهل المدينة ، على طريقة : إن بني عمك فيهم رماح .

وإذا رجعنا إلى القصيدة الأولى في الديوان ، وهي في مدح رسول الله ﷺ ، وبها ما يدل على حلوله بالمدينة ، وجدناها تحمل تاريخ ١٠٤٠ هـ ، وذلك يثبت أن له إقامة أو علاقة بها لا تقل عن اثنتي عشرة سنة .

وفي مقدمة النسخة (ج) ما يدل على أنه توطنها في أوائل عام ١٠٤٦هـ ، وإن زارها قبل ذلك وأنه أقام بمكة ثلاث سنوات تحت كنف عتاقي أفندي شيخ الحرم المكي ، بدأت بأوائل عام ١٠٤٢هـ ، ومدح عتاقي هذا بقصائد منها مقطوعته التي كتبها فيه سنة ١٠٤٣هـ ، والتي مطلعها :

لله يومٌ قد غنمنا به بفتيةٍ أيامُهم تغتنمْ [2]

---

(١) انظر ص ٣١ - ٣٢ .

(٢) المقطوعة ٣٩ .

ومما تقدم نحسب أننا على حق حينما اعتبرناه شاعراً مدنيا ، وسلكناه في عداد اهتماماتنا بتاريخ هذه المدينة المشرفة وإسهاماتها الأدبية عبر العصور ، فهو شخصية اكتملت لها كل ظروف الانفعال والفاعلية في البيئة المكانية والزمانية بالمدينة المنورة .

ولابد أن تكون لابن النحاس محاورات واحتكاكات أخرى مع أدباء المدينة غير ما ذكرناه قريبا مع درويش مصطفى ومحمد كبريت ، وإن لم تصلنا ، فهو رجل لا يحب أن يعيش عاديا في آخر الصفوف ، نزّاع للجدل ومناطق الصراع ، وتلك خلة معروفة في كل شخصية قلقة حادة الذكاء تشعر بالتفوق والتميز كابن النحاس . وقد كانت المدينة في عصره والمجتمع الحجازي بعامة ، تعج بكوكبة من العلماء والأدباء ، من شعراء وكتّاب وخطباء [1] يهمنا أن نذكر منهم بعض الأعلام المدنيين الذين نفترض أن ابن النحاس احتك بهم من قريب أو بعيد ، وأن لهم حضورا مّا في ذهنه ، وهم [2] :

١ - محمد بن محمد بن عبد القادر الكازروني ، الزبيري .

تولي إفتاء المدينة ، وإمامة الشافعية بالمسجد النبوي ، كما تولى التدريس بالروضة الشريفة ، فتخرّج على يديه طلاّب كثيرون ، منهم : الطاهر بن علي بن محمد بن عراق ، وعبد الله باوَلي ، وابن عمه : أبو السعود الكازروني ، وأحمد الصالحي .

وتوفي بالمدينة يوم الجمعة ، تاسع عشر ذي القعدة سنة ١٠٣٧

(١) انظر كتاب (الشعر الحجازي في القرن الحادي عشر الهجري) ١٥٩١ - ١٦٨٨م تأليف الدكتور عايض بن بُنَيّه الرّدادي . ط ١ سنة ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م ، مكتبة المدني بجدة ، (مجلدان) .

(٢) رتبتهم حسب وفياتهم .

هجرية ، ودفن بالبقيع بمدفن آبائه وأجداده [1] .

٢ - محمد بن يوسف بن أحمد بن السيد علاء الدين علي بن السيد محمد بن يوسف بن حسن ، البدري ، الدجاني ، القشاشي .

ولد بالمدينة ، وبها نشأ وحفظ القرآن ، وأخذ العلم والتصوف عن شيخه محمد بن عيسى التلمساني المالكي . ورحل إلى اليمن في سنة ١٠١١ هـ ، وأخذ عن علمائه ومتصوفته ، منهم الأمين بن الصديق المزجاجي ، ومحمد الغرب ، وأحمد السَّطيحة الزيلعي ، وعلي التُّبَّعي ، وعلي بن مطير ، والطاهر بن محمد الأهدل ، ومحمد المفروي .

ومات بصنعاء سنة ١٠٤٤ هجرية [2] .

٣ - محمد بن مبارك باكراع .

الحضرمي الأصل ، ثم المدني . أثنى عليه ابن معصوم في سلافته ، ومن شعره ما كتبه إلى القاضي تاج الدين مهنئا له بزيارة المسجد النبوي الشريف :

أإكليل رأس المجد والفضل والتّقى ... وسابق شأو السعد والعزّ والبها
وعلاّمة العصر الشريف ، وفخره ، ... وفهّامة الأعلام ، مرجع ذي النهى
ومن عُقد الإجماع - والله شاهد - ... على فضله ، عقلا ونقلا أودَها
قدمتَ بحمد الله تاجاً لدينه ... ودمت بشكر الله في جبهة السهى
وزرتَ رسول الله ، والحال منشدٌ ... هنيئا مريئا ، نال فضلك ما اشتهى

---

(١) خلاصة الأثر ٤ : ١٧٧ .

(٢) خلاصة الأثر ٤ : ٢٨١ .

ولم يذكر المحبي سنة ولادته ولا سنة وفاته ، ولكنه ذكر أنه كان بمكة سنة ١٠٤٤ هجرية [١] .

٤ - حسن بن شدْقم المدني الحسيني .

من أشراف المدينة ، كان عالماً أديباً ، يزاول كتابة الشعر ، سافر في شبابه إلى الهند ، ولقي فيها حظوة عند أحد ملوكها ، قرّبه إليه ، وزوّجه ابنته ، ولكنه لم يقطع صلته بالمدينة ، بل كان يرسل بالمال إلى من كان يثق فيه من أهله ، ليشتري له فيها البساتين ويبني له القصور .

ولما مات والد زوجته رجع إلى المدينة ، وعاش فيها فترة بين قصوره وبساتينه ، ولكنه لم يلق فيها ما كان يتطلع إليه من الحظوة والمكانة ، فحرج صدره من ذلك وضاقت نفسه ، واضطر إلى أن يغادرها إلى الهند مرة أخرى ، وعبّر عن ذلك بقوله :

وليس غريباً من نأى عن دياره ... إذا كان ذا مال ويُنسب للفضل
وإني غريب بين سكان (طيبة) ... وإن كنت ذا مالٍ وعلمٍ وفي أهلي

قال المحبّي : وهو مأخوذ من قول البُسْتي :

وإني غريب بين (بُسْتٍ) وأهلها ... وإن كان فيها جيرتي وبها أهلي
وليس ذهاب الروح يوماً منيّةً ... ولكنْ ذهابُ الروح في عدم الشكل
وما غربة الإنسان في شقة النّوى ... ولكنها والله في عدم الشكل

ومن شعر ابن شدقم أيضا :

لابد للإنسان من صاحبٍ ... يبدي له المكنون من سرِّه

---

(١) خلاصة الأثر ٤ : ١٤٢ .

فاصحب كريم الأصل ذا عفةٍ تأمنْ وإن عاداك – من شرّه

وكانت وفاته في شوال سنة ١٠٤٦ هجرية [١] .

٥ – **إبراهيم بن محمد بن محمد بن أبي الحُرَم بن أحمد الصبيبي ، المدني .**

ولد بالمدينة ، وأخذ عن والده وغيره من الشيوخ ، ثم تصدَّر للتدريس ، فأخذ عنه عدد من التلاميذ . وكان ليّن الجانب ، كثير الإحسان إلى طلاّبه ، حريصا على إيصال الفائدة للبليد منهم قبل الذكي ، كما كان جميل المظهر ، كثير المجاملة .

برع في كثير من العلوم ، إلى جانب اهتمامه بالأدب وكتابته للشعر ، فمن شعره ما قاله فيمن لبس بياضاً :

لمّا بدا مبيّضاً والقلب مشتاق إليه
ناديت : هذا قاتلي والراية البيْضا عليه

وقوله :

صادفته يجلو فماً حشوه شهدٌ ، ووَرْد ، وعتيق المدام
فقلت : يامولاي ! هل مشرب من ريقك العذب لحرِّ الغرام ؟
والنارُ بردًا وسلاماً غدت عليك – يا ذا الحرِّ قلتُ – السلام

وقوله :

جاء يسعى إلى الصلاة مليح يُخجل البدرَ في ليالي السعود
فتمنيتُ أن وجهِيَ أرض حين أومَى بوجهه للسجود

---

(١) خلاصة الأثر ٢ : ٢٤ .

وقوله في كتاب (خلاصة الوَفَاء) للسمهودي :

من رام يستقصي معالم (طيبةٍ) ويشاهد المعدوم بالموجود
فعليه باستقصاء (تاريخ الوَفَا) تأليف عالم (طيبةَ) (السمهودي)

وقال السيد محمد كبريت في (نصر من الله وفتح قريب) في معرض كلام له : (جرت عادة الفعّال لما يريد في خلقه أن كل بلدة في الغالب تكون عوناً لغريبها حتى على ساكنها ، وعلى الخصوص المدينة المنورة ، وكان المرحوم العلامة الشيخ إبراهيم بن أبي الحرم يقول : ليس من الرأي تعظيم الوارد إلى هذه الدار إلا بحسب ما يقتضيه الحال ، فإنه بتعظيمه يطأ غيره ، ثم يتمرد على معظّمه فيطؤه كذلك ، وتكون إساءته عليه أكثر ، وعلى الخصوص من لفظتْه القرى ، وألِفَ النوال والقِرى) .

وكانت وفاته يوم الجمعة ثالث عشر صفر ، سنة ١٠٥٦ هـ بالمدينة ، ودفن بالبقيع (١) .

٦ - غرس الدين بن محمد بن أحمد الأنصاري ، الخليلي ، المدني .

يرجع نسبه إلى مالك بن سنان الخزرجي ، رضي الله تعالى عنه .

كان محدثاً من فقهاء الشافعية ، له مصنفات منها : (كشف الالتباس فيما خفي على كثير من الناس) ، في الأحاديث الموضوعة ، وله : (نظم الكنز) ، و (نظم مراتب الوجود) لعبد القادر الجيلي .

أخذ بالقدس عن الشيخ محمد الدجاني ، والشيخ يحيى ابن قاضي الصلت . ثم رحل إلى القاهرة في سنة ١٠٠٧ هـ ، وحضر بها دروس أبي

(١) خلاصة الأثر ١ : ٤٢ .

النجا سالم السنهوري ، في (البخاري) ، و (الشّفا) ، وأخذ عن الأستاذ زين العابدين البكري ، والحافظ محمد حجازي ، الواعظ .

ثم رحل إلى بلاد الروم ، واجتمع بوزيرها الأعظم بيرام باشا ، فوجهه إلى خطابة المدينة المنورة ، فسافر إليها ، وتوطن بها ، وأحبه أهلها ، وزوّجوه منهم . وفي سنة ١٠٤٨ هـ ، عرض لأهل المدينة أمر خطير احتاجوا إلى عرضه على السلطان — ربما كان استبداد الخصيان السود بالحرم — فكان وفدهم إلى السلطنة مؤلفا من الشيخ غرس الدين ، والشيخ محمد ميرزا السروجي الدمشقي ، نزيل المدينة ، فوصلا إلى دمشق صحبة الركب الشامي ، وكان السلطان إذّاك قد رجع من فتح بغداد ، ووصل إلى حلب ، فتوجها إليه ، وتمت لهما الأمور على ما يريد أهل المدينة .

وكان غرس الدين في سفارته هذه قد اجتمع بالوزير مصطفى باشا ، واستعمل شعره وسيلة لأداء مهمته المكلف بها مع زميله من أهل المدينة ، حيث كتب له القصيدة التالية ، يحثه فيها على إزالة العبيد الخصيان من المسجد النبوي :

يا (مصطفى) بالمصطفى العدناني	وبآي قرآن عظيم الشان
لا تجعلنّ على المدينة أسودًا	شيخاً على حرم النّبِي العدناني
وكذلك الحبشان أيضا منهمُ	فهمُ همُ ، لا خيرَ في الحبشان
بل جاء في خبرٍ رواه بعضهمْ	ما لفظُه : لا خير في الحبشان
قوم لهم طمع شديد زائد	لا يشبعون من الحطام الفاني
لولا المخافة منهم لأتاكمُ	شاكون من همٍّ ومن أحزان
وإذا أردتم أنكم تتيقنوا [1]	أحوالهم من غير ما بهتان

(١) تتيقنوا : الصواب نحويا : تتيقنون ، أو : إذا أردتم أن تتيقنوا .

فلتسألوا (حنفي أفندي) عنهمُ يخبركُمُ عن خلةِ الغربان
ما كل ما يدرَى يقال - وأنتمُ أدرى بطيش السادة الخصيان
يستنزلون لأخذ ما قد جاء من صدقات خيرٍ للفقير العاني
فيصيب أهلَ الفضل من صدقاتكم ما ساءهمْ من أسهُم الحرمان
فانظر لنا شيخاً تقيًّا صالحاً متنزهاً عن ذا الحطام الفاني
إن لم يجز إلا خصيٌّ أسودٌ فاخصُوا لنا شيخاً من البيضان
يا ويحكم إن لم تراعوا حقنا يوم الحساب بحضرة الديّان
يوماً تكونوا [1] مثلنا ما إن لكم في الناس من أمرٍ ومن سلطان
هذي نصيحة (غرسكم) في روضة الـ ـهادي إلى الإسلام والإيمان
يدعو لسلطان الورى ولـ (مصطفى) سيف الإآله ، وعاضد السلطان

ولما عاد إلى دمشق أنزله الشاعر أحمد بن شاهين عنده ، وأقبل عليه العلماء ، وأخذ عنه جماعة من أهلها ، منهم : الشيخ محمد بن علي المكتبي ، وكتب عنه بعض الأشعار ، فمن ذلك قوله :

إني لأعجب مما صار الزمان إليه
إذ ما بكيت لدهرٍ إلا بكيت عليه

وقوله :

إذا رأيت وليًّا مُغرًى بحرصٍ وبخلِ
فليس ذاك وليًّا للربِّ ، بل عبد جهلِ

وله قصائد في مدح الشريف زيد بن محسن ، شريف مكة ، نظمها على حروف المعجم من الألف إلى الياء ، كل قصيدة عشرة أبيات .

---

(١) تكونوا : الصواب نحويا : تكونون .

ومن شعره قوله في القهوة :

دع الصهباء ، واشرب صرف قشرٍ مشعشعةً ، تدور بكفّ بدر
وإن شئت الشفا بادر سريعاً إلى حانٍ لها قد حان بدري
فما الياقوت في لونٍ نضيرٍ وما لون النضار ولون تبر ؟
دع الفاروق إن رمتَ التداوي وخذها ، فهي للأسقام تبري
كأن حبابها المنظومَ عقد من الياقوت ، يُجلَى فوق نحر
سأسعى نحو مروتها أُلبِّي ليصفو بالصّفا صدري ونحري
ندمتُ ندامة الكُسعِي عليها لما قد فات من أيام عمري
سأدمن شربها مادمتُ حيًّا ولا أصغي إلى زيد وعمرو
وأجلو عين أغياري وهمِّي بصافيها سُحيراً قبل فجر
فرأيي الآن يا من رام نصحيى إذا شاهدتها في الحان ، فاجْرِ
ولم لا ؟ هي مشروب العوالي من السادات في بحرٍ وبَرٍّ
هي الراح المريح لكل روح ولم تمزج ولم توجد بعصر
وكل مخالف فيها فإني أسفِّه قوله من أهل عصري
فقل إن قال ساقيها المفدَّى جبا : يا مرحبا ، واشكر بشكري
وخذها من يديه في حضور مع الساقي المليح بغير سكر
فلا غول ولا تأثيم فيها وليست مُرَّة ، بل طعم تمْر
وإن غالى المحب ، وقال : سهدٌ أجبه : نعم ، إذا ما كان تمري
ولولا مدحتي للبُّن قبلاً لعدتُ له بهجو ثم هجر
لبئس طباعه وسواد قلب له ، فهو الحريُّ بكل هجر

وله غير هذا شعر كثير .

وكانت وفاته في سنة ١٠٥٧ هـ ، ودفن إلى جانب الخياري [١] .

٧ - السيد ميرماه الحسيني البخاري المدني .

أصله من بخارى ، وتوطن المدينة ، وغدا من علمائها الكبار في التفسير ، والعربية ، والكلام ، والتصوف على طريقة ابن عربي [٢] .

ومن تلاميذه إبراهيم بن عبد الرحمن الخياري صاحب (الرحلة) .
وكانت وفاته بالمدينة يوم الخميس حادي عشر شوال سنة ١٠٦٣ هـ ، وقد ذكره الخياري في رحلته ، ورثاه بقصيدة مطلعها :

يا عين جودي بدمع رائح غادٍ   لهول خطب عظيم ، فادحٍ عادٍ [٣]

٨ - محمد كبريت بن عبد الله بن محمد الحسيني .

ينتهي نسبه إلى الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما .

ولد بالمدينة سنة ١٠١٢ هـ ، وبها نشأ ، وحفظ القرآن ، واشتغل بالعلوم النقلية والعقلية .

ومن مشائخه : الشيخ عبد الملك العصامي ، والشيخ وجيه الدين عبد الرحمن بن عيسى المرشدي ، والشيخ عبد الله بن ولي الحضرمي .

رحل إلى الروم في سنة ١٠٣٩ هـ ، وسجل رحلته تلك في كتاب سماه : (رحلة الشتاء والصيف) .

---

(١) خلاصة الأثر ٣ : ٢٤٦ - ٢٥٤ .
(٢) هي طريقة تؤمن بالحلول والاتحاد ، أعاذنا الله .
(٣) خلاصة الأثر ٤ : ٤٤٣ .

وفي دمشق أخذ عن الشيخ أيوب بن أحمد ، وفي القاهرة عن محمد ابن زين العابدين البكري .

ثم عاد إلى المدينة ، فلزم الشيخ محمد مكي المدني ، وشغل أكثر أوقاته بالتدريس والتأليف . ومن مؤلفاته :

- (نصر من الله وفتح قريب) ، شرحَ فيه أبياتا متفرقة متميزة لأفاضل شعراء عصره ، وترجم لهم .
- (الجواهر الثمينة في محاسن المدينة) .
- (بسط المقال في القيل والقال) في مجلدين .
- (ركاز الركاز في المعمّى والألغاز) .
- (حمائل الأفراح وبلابل الأدواح) ، رسالة تشتمل على أشعار لطيفة .
- (الزنبيل) ، اختصر فيه كتاب (الكشكول) للبهاء العاملي .
- (العقود الفاخرة في أخبار الدنيا والآخرة) .
- (حاطب ليل) كبير جدًّا .
- (ظل العارض في شرح ديوان ابن الفارض) .
- (المطلب الحقير في وصف الغنيّ والفقير) ، وهو كتاب حسن الوضع ، عجيب الأسلوب ، قال في آخره : (وهذا ما جرى به القلم ، من تسطير هذه الحكم) وربما اشتمل على كلام لا يفهم ، ومفهوم لا يعقل ، ومعقول لا يكاد يقبل بحسب ما قيل :

يقولون أقوالاً ولا يفهمونها ... ولو قيل : هاتوا بيّنوا لم يبيّنوا

ومَدَحه شعراً بقوله :

لله تأليف غدا جامعاً ... بين النقيضين لمن يعقل

جامعُه أغربَ في نقله ... لكنه لم يدر ما ينقل

• (محك الدهر)

• (المباهج) .

• (رشح البال بشرح البال) .

وهذه الثلاثة في النكت والنوادر .

وغلب عليه التصوف المنكر ، من تأثير قراءاته في كتب ابن عربي ، وبخاصة في كتابيه (الفتوحات المكية) ، و (الفصوص) ، بل ألّف في وحدة الوجود رسالة .

وكان يصدر عنه قولات أنكرها عليه بعض معاصريه ونسبوه فيها إلى الإلحاد . قال عنه ابن معصوم في سلافته : (ورام انتحال مذهب أهل الحال ، فتكلم بعضهم في اعتقاده ، ونقل عنه فلتات أشعرت بخفي إلحاده) .

وتوفي في العاشر من رمضان ، سنة ١٠٧٠ هـ ، ودفن بالبقيع [1] .

٩ - يحيى بن عبد الملك بن جمال الدين الاسفراييني .

ولد بمكة ، ذكره ابن معصوم في سلافته ضمن شعراء الحجاز . ومن مؤلفاته : (أنموذج النجباء في معاشرة الأدباء) . ومن شعره :

رأى سقم الكئيب فمال عنه ... سقيم الجفن ذو حسن بديع

فقلت له : فدتك الروح ، هلاّ ... مراعاة النظير من البديع

ومنه :

قالوا : أضافك يا يحيى لخدمته ... حبيبُ قلبِك في سرٍّ وفي علَنِ

---

(١) خلاصة الأثر ٤ : ٢٨ .

فقلت : لمّا رآني غير منصرفٍ عن حبّه ، رام كسري ، فهو يجبرني

وقوله وقد أهدَى نبقاً وفلاً :

أهديت نبْقاً لنبقى في الوداد على صدق الوداد ، وإرغام العدا أبدًا

ومعْه يا سيدي فلٌ يبشّركمْ بأنه فلَّ من يشناكمُ كمدًا

وكانت وفاته بالمدينة في ربيع الأول سنة ١٠٧٤ هـ ، ودفن على والده في البقيع [1] .

١٠ – الأمير أبو بكر بن علي الأحسائي ، ثم المدني .

ولد بمدينة الأحساء في حدود الألف ، ونشأ مشتغلاً بالعلم ، ثم رحل صحبة والده إلى المدينة المنورة وتوطنها ، وكان ديّنا سخيًّا .

وتوفي يوم عرفة وهو مُحرِم ، فحمل في محفّة إلى مكة ، ودفن بالمعلاة ، وذلك سنة ١٠٧٦ هـ . أما والده علي باشا فقد توفي قبله بالمدينة سنة ١٠٥١ هـ .

ولأبي بكر ديوان شعر في مجلدين – ومن شعره يمدح الشريف زيد ابن محسن صاحب مكة :

زُفت لعزّ مقامك العلياء وعليك فَضّت راحَها الجوزاء

فالبدر كأس ، والشموس عقارُها فاشرب بكأس شمسُه الصهباء

وحبابُها نجم السما ، فكأنها ذات ، وذاك بشكله الأسماء

وأتتك بكراً قبل فضّ ختامها يقتادهـا راووقُهـا وذُكاء

خضعتْ لعزك ، فاستقم في عرشها يا ظاهراً لا يعتريه خفاء

---

(١) خلاصة الأثر ٤ : ٤٧٤ .

وانصبْ لواءَ العدل ، منتشر الثَّنا ... قد ضوّعت بعبيره الأرجاء

يسعى بظل أمانه بين الورى ... ذو البأس والأمجاد ، والضعفاءُ

فالدهر سيفُك ، فاتخذه مجرّداً ... متوشّحاً بالنصر ، وهو رداء

وعلاك قد شهد الحسود بفضله ... (والفضل ما شهدت به الأعداء)

وحماك أمن الخائفين ، تؤمّه ... شمٌّ الأنوف ، القادة الأكفاء

ولقد حظيتَ من الإله بنصرةٍ ... ردت مُريدَ الكيد وهو هباء

وحُبيت منه بما تقاعسُ دونه ... همُم الملوك الصيد ، والعظماءُ

فالله أظهر ذا الجناب بنصِّه ... فالخَلْق أرض ، والجناب سماء

لو قيل لي : من ذا أردت ؟ أجبتهمْ ... هل غير زيد تمدح الشعراء ؟

وإذا أدير حديثُه في محفل ... فلمسمعي من طيب ذاك غذاء

ملك إذا وعد الجميلَ وفَى به ... وإذا توعّد شأنُـه الإغضاء

ملك إذا كتمتْ رعودُ سمائنا ... فعلى انسكاب ندى يديه نداء

ملك إذا ما القِرن أوقد ناره ... فسيوفُـه لخمودهـا أنـــواء

ملك إذا جار الزمان على امرئ ... فجنابُه السامي الرفيع وقـاء

فبسعده أهدى الزمان إلى الورى ... كأساً هنيئا ليس فيه عناء

فالله يبقي ملكه السامي الذي ... قد كلّلته بنورها الزهـراء

ويديمه في الدولة الغرَّا التي ... ظهرت بها الآباء والأبنـاء

فإليك بكـرَ قريحة بكْريّـة ... زفّت إليك تحفّهـا الأضواء

كلمات حق شرّفت بمديحكم ... ومديحُكم تسمو به الفضلاء

وكتب إلى العلامة عيسى بن محمد الجعفري الثعالبي ثم المكي مادحاً ، بقوله :

يا من سما فوق السماكِ مقامه ... ولقد يراك الكل أنت إمامُه

حزتَ الفضائل والكمالَ بأسره وعلوت قدراً فيك تمَّ نظامُه

لو قيل : من حاز العلوم جميعَها لأقولُ : أنت المسك فض ختامُه

كم صغت من بكر العلوم فوائداً عن غير كفء لم يجب إكرامُه

فاعلم بأني غير كفء لائق إن لم يكن ذا الفضل منك تمامه[1]

١١ - محمد بن إلياس المدني .

كان أحد الخطباء البلغاء بالمسجد النبوي ، ومن شعره ما كتب به مجيباً للقاضي تاج الدين المالكي ، وقد أرسل إليه بهدية :

مولاي قدرُك أعلى من كل شيىء وأغلى

وقد بعثتُ بما إن ينْمَ لقدرك قلاًّ

ولا أراه يوازَى بذاك ، حاشا ، وكلاّ

من ذا يباري كريماً في الجود حاز المعلَّى

أم من يجاري جوادًا في حَلْبة الفضل جَلّى

فاقبَل لتشفع فضلا به تطوّلت فضلا

فأجابه القاضي تاج الدين بقوله :

يا سيدًا وإماماً قد طاب فرعاً وأصلا

حزت المكارم قدماً وطبتَ قولاً وفعلاً

غمرت بالجود عبداً لازلتَ للفضل أهلاً

ودمتَ مولًى كريماً فأنت أحرى وأولى

---

(١) خلاصة الأثر ١ : ٩٠ .

وكانت وفاته ليلة الأحد ثاني شهر ربيع الثاني سنة ١٠٧٦ هـ ، بالمدينة ، ودفن بالبقيع[1] .

١٢ - درويش مصطفى بن قاسم الطرابلسي ، الحلبي .

ولد بطرابلس الشام في سنة ٩٨٧ هـ ، ونشأ بها ، وأخذ عن مفتي الحنفية بها ، عبد النافع الحموي ، وعن محمد بن عبد الحق الشافعي ، وعبد الخالق المصري ، وغيرهم ، ثم رحل إلى دمشق في سنة ١٠١٤ ، فأخذ عن أحمد العيثاوي الفقه والحديث . ثم دخل مصر ، فأخذ عن النور الزيادي ، وأبي بكر الشّنواني ، وسالم الشبْشيري ، وأحمد الغنيمي ، والبرهان اللقّاني . ثم دخل القسطنطينية ، فأخذ عن بعض علمائها .

ثم قدم المدينة المنورة في سنة ١٠٢٧ هـ زائراً ، ثم استقر فيها منذ سنة ١٠٣٢ هـ ، وتزوج من بعض أهلها ، وتولى التدريس بالمسجد النبوي .

وله عدة تصانيف ، منها : (نزهة الأبصار في السيْر ، فيما يحدث للمسافر من الخير) ، و (هتك الأستار في وصف العذار) ، وشرْحُ تائية ابن حبيب الصفدي ، سماه : (المنح الوفائية في شرح التائية) ، في التصوف ، و (الدرّ الملتقط من بحر الصفا ، في مناقب سيدي أبي الإسعاد بن وفا) .

وكان إلى بروزه في الفقه والنحو ، يتعاطى الشعر أيضا ، ومن ذلك أن بعض أحبابه كتب له :

يا غائبا يشكر إقباله قلبي ، ويشكو بُعْده الناظر

---

(١) خلاصة الأثر ٢ : ٣٩٧ .

أوحشتَ طرفي ، واتخذت الحشا   دارًا ، فأنت الغائب الحاضر

فأجابه :

ما غبتَ عن طرفي ولا مهجتي   بل أنت عندي فيهما حاضر
إن غبتَ عن عيني تمثلت في   قلبي يراعي حسنَك الناظر

وبنَى شيخُ الحرم عبد الكريم المصاحب ، منزلاً بالمدينة ، بمكان يسمى (بئر ودّي) . فكتب له درويش مصطفى هذه الأبيات :

بشراكَ يا من صار جارَ الكريمْ   بطيب عيشٍ أنت فيه مقيمْ
أصبحتَ في خدمة خير الورى   ترفل في روض جنان النعيم
بطيبةَ - طابت لمن حلّها -   حديثُ (ودّي) في هواها مقيم
طوبَى لمن أمسى مقيماً بها   يَلْقى أهاليها بقلبٍ سليم
(مصاحبَ) السلطان ؛ نلتَ المنى   بما ترجّي من غفورٍ رحيم
بنيتَ إيواناً به قد سما   بـ (بئر ودّي) للصديق الحميم
بغاية الإحكام ، تاريخه :   مقعد أنسٍ شاد (عبد الكريم)

وأراد بغاية الإحكام : آخرها ، وهو الميم ، على طريقة التعمية ، وعدد الميم أربعون ، فلما شاعت الأبيات ، وقف عليها فتح الله بن النحاس الحلبي ، فهزئ بها ، وألف رسالة سماها : (التفتيش على خبالات درويش) ضمنها الاعتراض على هذه الأبيات ، فغضب لذلك صديقه السيد محمد كبريت ، وألّف كتابا ينتصر له فيه سماه : (نصر من الله وفتح قريب) .

وتوفي درويش مصطفى في السابع والعشرين من ذي القعدة سنة ١٠٨٠ هـ بالمدينة ، ودفن بالبقيع [١] .

---

(١) خلاصة الأثر ٤ : ٣٨٧ .

١٣ - إبراهيم بن عبد الرحمن بن علي بن موسى بن خضر الخياري ، المدني .

ولد بالمدينة ليلة الثلاثاء ، ثالث شهر شوال ، سنة ١٠٣٧ هـ . واشتهر بالبراعة في الحديث والأدب والتاريخ وغيرها من المعارف ، وكان واسع المحفوظات ، حلو العبارة ، لطيف الطبع ، محبوباً لدى معاشريه .

وكان والده انتقل إلى المدينة من مصر سنة ١٠٢٩ هجرية ، واستقر بها ، وتولى الخطابة فيها ، والتدريس بإحدى مدارسها .

كان شيخه الأول والده ، ثم أخذ التصوف عن السيد ميرماه البخاري المدني الحسيني ، السابق ذكره ، وأخذ الحديث عن محمد بن علاء الدين البابلي حين مجاورته بالمدينة .

وحضر بعض دروس التفسير على قاضي الحرمين العلامة محمد الرومي ، المعروف بالمُلَّغْري ، وأجاز له .

وكان أكثر اشتغاله على الإمام عيسى بن محمد بن محمد بن أحمد بن عامر المغربي الجعفري ، المدني ، ثم المكي . وكان الخياري بعد ذلك كثير اللهج به والثناء عليه ، ناسباً براعته في العلوم إليه .

وتولى إمامة وخطابة المسجد النبوي الشريف ، والتدريس ببعض المدارس التي كانت تأتي مخصصاتها من أوقاف الحرمين بمصر ، ورث التدريس بها عن أبيه ، ولكن غلبه بعد ذلك على التدريس فيها أحد العلماء من المجاورين ، فغضب لذلك ورحل إلى القسطنطينية شاكيا ، واستطاع بمساعيه ومكانته العلمية أن يستعيدها منه ، ويعود إلى التدريس فيها ،

مستعينا في ذلك بشيخ الإسلام يحيى بن عمر المنقاري المتوفى سنة ١٠٨٨ هـ ، حيث مدحه بقصيدة ضمّنها شكواه ، منها :

تفضل بعَوْد الدرس لي وبمثله لأغدو ولي هامي نداك : خضاب
وضُمّ إليه ما يقوم بفاقتي وصُنْ ماء وجهي ، فالتذلّل صاب
عَلُوفة مصرٍ ، مع جراية بُرّها [1] ليندفع الضُّرّان : عسرٌ وإتراب

وكان سفره إلى القسطنطينية صحبة الركب الشامي ، فدخل دمشق يوم ١٨ صفر سنة ١٠٨٠ هـ ، فانتشر ذكره بين علمائها ، ووقع بينه وبين أدبائها محاورات ومطارحات كثيرة ، ذكرها في رحلته . وكانت إقامته بها ثمانية عشر يوماً ، وأخذ فيها عن المحدث الكبير محمد بن بدر الدين البلباني الصالحي الحنبلي ، والعلامة عبد القادر بن مصطفى الصفوري .

ومن دمشق سافر إلى بلاد الروم ، فتوجه إلى (ينكي شهر) ، حيث كان السلطان محمد مقيماً بها مع حاشيته ، وفيها اجتمع بالمفتي يحيى بن عمر ، ودرس عليه جزءاً من تفسير البيضاوي ، وأجاز له ، وأعاد له عمله في المدرسة بالمدينة ، وكل المخصصات التابعة لها . ونال عند الصدر الأعظم مصطفى باشا حظوة كبيرة ، وقرر له جرايتين وثلاثين عثمانيا من خزينة مصر في كل يوم . ثم عاد إلى القسطنطينية ، وبها أخذ عن أبي السعود عبد الرحيم الشعراني .

ثم عاد إلى دمشق ، واحتفى به أهلها ، وأخذ عنه من طلاّبها كثيرون ، منهم المحبي صاحب (خلاصة الأثر) ، حيث أجازه بجميع مروياته ،

---

(١) العَلُوفة : اسم أطلق في عهد الدولة التركية – من القرن العاشر – على المرتب الشهري أو السنوي – حمد الجاسر : مجلة العرب – السنة الثانية ٣ : ٢٣٣ ومقدمة البرق اليماني ٧٩ .

وذلك سنة ١٠٨١ هـ ، وفي طريقه إلى مصر نزل (الرملة) ، وأخذ بها عن خير الدين بن أحمد الرملي الحنفي . ومرّ بالقدس ، والخليل ، وغزة ، وأخذ بها عن عبد القادر بن أحمد المعروف بابن الغصين . ثم دخل القاهرة ، وأخذ بها عن العلاء الشبراملسي ، ومحمد بن عبد الله الخرشي المالكي ، ويحيى بن أبي السعود الشهاوي الحنفي ، والسيد أحمد بن السيد محمد الحنفي ، المعروف بالحموي ، وأقام بها إلى ٢٤ شوال من السنة نفسها ، حيث رحل مع الركب المصري إلى المدينة ، فدخلها في يوم ٢٨ ذي القعدة ، وعكف فيها على التأليف والتدريس حتى توفي ليلة الإثنين ثاني رجب سنة ١٠٨٣ هـ فجأة مسموماً ، ودفن بالبقيع .

أما الذي سقاه السم فقالوا : إنه شيخ الحرم النبوي ، ربما غيرة منه لنيله الحظوة عند رجال الدولة ، حيث عمد إلى النيل من الشافعية عموماً بالمدينة ، فألزم أئمتهم وخطباءهم أن يُسِرُّوا في الصلوات بالبسملة ، كالحنفية ، فلم يمتثل الخياري ، وقال : هذا الأمر ليس إليك . فدس إليه من سقاه السم ، والله أعلم .

ومن أشهر مؤلفاته : (تحفة الأدباء وسلوة الغرباء) ، الذي سجل فيه أحداث رحلته إلى بلاد الروم وعودته منها . وله إلى جانب ذلك رسائل وأشعار [1] .

١٤ - محمد بن عبد الرحمن بن علي بن موسى بن خضر الخياري المدني .

وهو أخ إبراهيم الذي قبله ، ولد بالمدينة في شعبان سنة ١٠٤٠ هـ ،

---

(١) خلاصة الأثر ١ : ٢٥ .

وبها نشأ وحفظ القرآن ، وأخذ عمن كان بها من العلماء ، ومنهم والده ، ورحل إلى مصر ، والشام ، والروم .

ومن شعره يمدح شيخ الإسلام يحيى المنقاري مفتي الروم ، والذي سبق لأخيه أن امتدحه :

في كل قطر حيث ذكرك ينشر ... يبدو الثناء عليك مسك إذ فر [1]
وتودّ أرباب المقام بأنها ... من تُرْب نعلك دائما تتعطر
شرُفت بك الأيام حتى أنها ... ودتْ تراك الماضيات الأعصر
وأتى الزمان إليك عبداً طائعاً ... يصغي لما تنهاه عنه وتأمر
وقد اقتصرتُ على مديح جنابكمْ ... إذ مدحُ خير الخلق فيكم أكبر
في قوله : العلماء ورْث قد كفى ... الصادق المصدوق فيما يخبر
وإذا أردت بأن أصوغ مدائحاً ... فيكمْ ، فإني ما حييت مقصِّر
من أجل هذا قال قبلي من مضى ... بيتا ، وذاك البيت فيكم أشهر :
(وعلى تفنّن واصفيه بحسنه ... يفنى الزمان وفيه ما لا يحصر)
فإليك يا مولاي صغت دراريًا ... تهدىَ إليك ، وأين منها الجوهر ؟
ضمّنتها أوصافك الغُرّ التي ... ما شامها الثقلان إلا كبّروا
لا ترتجي إلا القبولَ إجازةً ... وإجازةُ الشعراء أبيض أصفر

وتوفي بالمدينة في رمضان سنة ١٠٨٣ هـ ، ودفن بالبقيع [2] .

١٥ - أحمد بن عبد الله بن أبي اللطف البرّي .

ولد بالمدينة سنة ١٠١٠ هـ ، وبها نشأ وقرأ القرآن بالروايات ، وأخذ

---

(١) يبدو الثناء : كذا بالخلاصة ، ويترتب عليه أن يقول : مسكاً إذ فرا ، ولعلها يبدِ الثناء .
(٢) خلاصة الأثر ٣ : ٤٩٣ .

عن علمائها ، ورحل إلى مكة ، وأخذ بها أيضا عن مجموعة من العلماء ، منهم : الشيخ عبد الملك العصامي ، والشيخ عبد الرحمن بن عيسى المرشدي . تولى الإمامة والخطابة بالمسجد النبوي ، وكان أحد أعيان العلماء بالمدينة .

ولما وصل القاضي تاج الدين المالكي المكي للمدينة الشريفة سنة ١٠٤٥ هـ ، ومدح أهلها بالأبيات التالية :

يا ساكني (طيبةَ) ، فخراً فقد	طابت فروع منكمُ والأصولْ
وآيةُ الأنصار فيكم سرتْ	كأنما المقصود منها الشُّمول
تُصْفون محض الودّ من جاءكُمْ	فما عسى مادحكمْ أن يقول
وليهنكمْ ما قد خصصتمْ به	فيالها خصيصة لا تزول
جورتمُ المختار خير الورى	وفزتمُ في سوحه بالحلول

أجابه البري بقوله :

أعظمْ بأهل الركن من سادةٍ	في مفرق العلياء جرّوا الذيولْ
جيران بيت الله ، من قدرُهمْ	تحار في دركِه مداه العقول
بمكة حَلُّوا فحلَّوْا بها	جيدَ المعالي عليةً لا تزول
من مثلُهمْ ؟ والفضل حقٌّ لهمْ	ومنهمُ (التاجُ) إمامُ النُّقول
رئيس هذا العصر ، من جلّةٍ	سماذع ، غرٍّ ، كرامٍ فُحول
أكرِم به إذ قال من أجلنا :	(طابت فروع منكمُ والأصول
وآية الأنصار فيكم سرتْ)	لكنني بالإذن منكم أقول
: يا نخبة الأنصار ، منكم لنا	حتى شهدتمْ وصفكم لا يحول
وأنتمُ جيران ذاك الحمى	والآن أنتمْ في جوار الرسول
جمعتُم فضلاً إلى فضلكمْ	فسُدْتُم الناس ، وحق المقول

فالله ربُّ العرش سبحانه يوليكمُ الحسنى وحسن القبول
حتى توافُوا القصد في نعمةٍ تثرى ، وعُمْرٍ في سرور يطول
ودولة الأفضال تسمو بكم وتزدهي طوراً وطوراً تصول
ما غرّدت ورقاء في دوحةٍ غنًّا ، وغنّت حين طاب الدخول

توفي في أربع وعشرين صفر سنة ١٠٩٢ هـ ، ودفن في بقيع الغرقد ، ورثاه جمعٌ ، منهم تلميذه أحمد بن إبراهيم الخياري ، رثاه بقصيدة طويلة أرخ وفاته فيها بقوله : (مات الخطيب) ، منها :

فجأ الأنام جميعهمْ خَطْب ألَمَّ بهم عجيبْ
ومصيبةٌ قد أوجبتْ للطفل فيها أن يشيبْ
ورزيةٌ عظمت بِبدا رِ المصطفى ، (طه) الحبيب
فقْدُ الإمام الحافظ الـ ـعلاّمة الشهم الخطيب
فأجبتهمْ متأوِّهاً بلسان محزونٍ كئيب
زِلْ أوّل الأعدادِ[1] من تاريخه ، لتكن مصيب[2]
واسمع فقدْ وافى لنا تاريخه : (مات الخطيب)[3]

١٦ - عبد الغني بن صلاح الدين الخاني ، الحلبي .

ولد بحلب سنة ١٠٤٨ هـ ، وبها نشأ ، وتخرّج بالشيخ قاسم الخاني ، ورحل إلى مصر والروم والعراق واليمن ، للتجارة . ثم قصد الحرمين للمجاورة ، فتوطن المدينة ، وأكب فيها على تحصيل العلم ، ولازم الشيخ إبراهيم الكردي الكوراني ، وتولى بعد ذلك فيها عدة مناصب عالية .

---

(١) أول الأعداد : رقم : ١ .

(٢) الصواب لتكون مصيبا .

(٣) خلاصة الأثر ١ : ٢٣٠ .

وكان أديباً معروفاً بقول الشعر . توفي بالمدينة في ثاني عشر صفر سنة ١٠٩٥ هـ ، ودفن بالبقيع [1] .

١٧ - عبد الله بن إلياس المدني .

ربما كان أخاً لمحمد السابق . كان ناثراً شاعراً ، ومن ذلك ما قاله في علم العروض :

إن العروض لبحرٌ　　تعوم فيه الخواطر
فكل من عام فيه　　دارت عليه الدوائر

وقوله :

يا سيّدي قم لي ، ولا　　تخش بحرمتك العتَبْ
كيلا يقال : مقصر ،　　فأكون فيه أنا السبب

وكتب إليه محمد كبريت :

يا أيها المولى الذي فاق الورى　　ببيان منطقة البديع الزين
هات ، افتنا في (زيد) المخفوض في :　　ما قام إلا زيدٍ المسكين !

فكتب مجيباً :

يا من بشمس علومه زال المِرَا　　فغدا بمصباح الهدى كالعين
إني أقول جوابكم وبيَ الجوى　　في فرد بيتٍ زان في العينين
(زيد) تُصوِّر جرُّه بإضافةٍ　　للآل ، وهو العهد للاثنين

ولم يذكرو سنة ولادته ، ولا سنة وفاته [1] .

★ ★ ★

(١) خلاصة الأثر ٢ : ٤٣٤ .

(٢) الخلاصة ٣ : ٣٩٩ .

بقي أن أقول : إنه يوجد شاعر آخر يدعى فتح الله الحلبي ، كان معاصراً لشاعرنا ابن النحاس ، زار المدينة و لم يستقر فيها ، بل رجع إلى حلب ، وله ديوان شعر في الإلٓهيات ، موجود بالظاهريّة . مكتوب على غلافه أيضا : (ديوان فتح الله ابن النحاس) بخط مغاير لخط الديوان ، وقد يكون هذا الخطأ في كتابة العنوان ناجماً عن التشابه في اسمي الشاعرين من جهة ، ومن كون ناسخ الديوانين واحدا ، - فيما يبدو - فهو في النسخة (ب) لديوان ابن النحاس : (سيد مصطفى) ، وهو في ديوان سميّه : (مصطفى علي) ، فربما كان اسمه : (سيد مصطفى علي) ، وإذا كان تاريخ النسخ مختلفا بفارق (٤٤ سنة) فإن الخط في الديوانين والمسطرية واحد .

وبتوفيق من الله تبين لي وجه الصواب ، فديوان الإلٓهيات ليس لابن النحاس ، بل هو لسميّه ، وهو :

فتح الله بن محمود بن محمد بن الحسن الحلبي ، العَمْري ، الأنصاري ، البَيْلُوني ، الشافعي .

أخذ العلم عن والده البدر محمود ، واشتهر بالعلم والأدب ، وسافر إلى بلاد الروم صحبة الوزير (نصوح) معلماً له ، ثم ولي إفتاء الشافعية بالقدس .

وكان من المكثرين في الرحلة ، فقد دخل مكة ، والمدينة ، والقدس ، ودمشق ، وطرابلس ، وبلاد الروم ، وغيرها .

له مؤلفات كثيرة منها : (حاشية على تفسير البيضاوي) ، و (خلاصة ما يعوّل عليه الساعون في أدوية دفع الوباء والطاعون) ،

إليه الزركلي ، وأثبت منه المحبي نماذج ، وقال : إن بعضه في (الجواهر الثمينة) للسيد محمد كبريت [١] ، كانت ولادة البيلوني في شهر رمضان سنة ٩٧٧ هـ ، ووفاته سنة ١٠٤٢ هـ ، بحلب ، ودفن بزاوية آبائه .

وقد أدى هذا التشابه بينهما في الاسم إلى أن بعض أشعارهما اختلطت نسبتها إليهما لدى بعض الرواة . يقول المحبي في ترجمة البيلوني :

وقوله – وينسبان لفتح الله بن النحاس – والصواب أنهما لفتح الله هذا :

يقولون : وافق أو فنافق مرافقاً على مثل ذا في العصر كلٌّ لقد دَرَجْ
فقلت : وأمر ثالث ، وهو قول : أو ففارق ، وهذا الأمر أدفع للحَرَجْ [٢]

والبَيْلُوني : نسبة للبَيْلون ، بعامية أهل الشام آنذاك ، يعني الطَّفَل ، وهو اسم لنوع من الطين الناعم ، يستعمل في الاستحمام كالصابون تغسل به الأبدان ، لاسيما في الحمّام ، ولا يزال الناس في مصر والشام وشمال أفريقيا يسمونه طفلا . وفي الصحاح : الطفَل – بالفتح – : الناعم ، ومنه جارية طَفَلة أي ناعمة .

قال المحبي : ولعله سمي به هذا النوع من الطين لنعومته [٣] .

★ ★ ★

(١) بالرجوع إلى النسخ المخطوطة التي لدي من (الجواهر) وجدت ما يشير إليه المحبي .
(٢) ورد هذان البيتان في ديوان البيلوني ، ولم يردا في ديوان ابن النحاس .
(٣) خلاصة الأثر ٣ : ٢٥٤ ، والأعلام ٥ : ١٣٥ .

الـديــوان

سبق لهذا الديوان أن طبع مرتين :

الأولى في بيروت ، بالمطبعة الأُنسية ، لم يسعدني الحظ بالحصول على نسخة منها ، وذلك لأنها - فيما يبدو - تمت في وقت مبكر ، وبنسخ محدودة ، يقول زهير شاويش عن هذه الطبعة ، وهو يسوّغ طبعه للديوان مرة ثانية : (غير أن نسخه قد عفت لمرور الزمن عليها ، وصارت نادرة ، مما جعل الشاعر مغمورا لا يعرفه إلا القلّة) .

والطبعة الثانية تمت في دمشق بعناية المكتب الإسلامي وصاحبه زهير شاويش ، ورعاية المغفور له صاحب السمو الشيخ علي آل ثاني أمير قطر ، الذي كَلِف بطباعة مجموعة كبيرة من كتب التراث على نفقته ، في علوم الشريعة والأدب والعربية ، وعمل على توزيعها بالمجّان على طلاب العلم والمعرفة ، وبخاصة في قطر .

ولم يشر الشاويش إلى النسخ الخطية التي اعتمد عليها في عمله ، ولا إلى مدى استفادته من الطبعة الأنسية للديوان ، غير أن التطابق الكبير بين طبعته والنسخة الخطية الظاهرية (أ) التي بين أيدينا يؤكد أنها كانت معتمده الوحيد ، وربما كانت هذه النسخة أيضا هي معتمد الطبعة الأنسية ، وحذف الشاويش بعض الأبيات والقصائد ، معللاً ذلك بقوله : (وقد قمنا

بحذف بعض الأبيات والقصائد ، لأن منها ما لا يجوز في الشرع قوله أو اعتقاده ، ومالا فائدة ترجى منه ، وأشرنا إلى هذا الحذف في مواضعه من الديوان) (١) .

ولا أعرف إلى أي مدى يستقيم هذا الموقف من التراث ؟ وإلى أي مدى يجوز أن تمتد إليه يد أحدنا بالحذف ، وبخاصة أنه يعتمد في موقفه على تقديره الشخصي وفهمه الخاص لمقصد الشاعر ، والكلام حمّال أوجه كما قيل ؟

ثم لا أعرف إلى أي مدى يتفق هذا العمل مع الأمانة العلمية من جهة ، ونقل الصورة الصادقة الأمينة عن البيئة الثقافية التي ينتمي إليها المؤلف من شاعر أو ناثر من جهة أخرى ؟ فإذا قلنا - مثلا - : إن العصر الفلاني كانت تسوده روح التصوف والخرافة أو فساد العقيدة ، ثم عمدنا إلى آثار ذلك العصر المكتوبة فنقيناها من كل ما يشوبها من تلك المظاهر ، فأي شاهد يبقى لنا على صدق ما نقول ؟ أو ليس الأجدى والحالة هذه أن نبقي النص على حاله ، وننبه على ما فيه من خطأ أو فساد ؟ وبخاصة أن علماءنا قالوا : إن ناقل الكفر ليس بكافر . ولم تزل كتب الحوار في الفكر الإسلامي تورد الشبهات والمقولات الفاسدة ، لتدحضها بعد ذلك وتردّ عليها . إننا إذا عمدنا إلى الحذف فقدنا كثيرا - فيما أحسب - من سماتنا الفكرية وتراثنا الحضاري ، وفقدنا شواهدنا وأدلتنا على الانحرافات العقدية والوضع الصوفي والخرافي الذي انحدر إليه العالم الإسلامي في بعض فتراته ، ونهض المصلحون إلى محاربته وتقويمه ، وتعرضوا إلى ما تعرضوا له رحمهم الله .

---

(١) انظر مقدمة الناشر .

ولهذا فإنني آثرت الإبقاء على النص ، والتزمت بالتنبيه على ما يجب التنبيه على فساده .

ونشر الشاويش الديوان على الطريقة التي ذكرناها معية ديوان الشاعر علي بن مقرَّب العُيوني (٥٧٢ - ٦٢٩ هـ) بتسلسل رقمي واحد ، بلغ (٩٤٠) صفحة من القطع المتوسط ، في مجلد يحمل العنوان التالي : (ديوان علي بن مقرَّب العُيوني - ويليه ديوان فتح الله بن النحاس) .

وشغل الديوان من المجلد (٢٠١) صفحة ، كتب عليه الطبعة الثانية ، ولعلها كانت ثانية بالنسبة للطبعة الأنسية المشار إليها ، ولا يعرف سبب معقول لجمعه الديوانين في مجلد واحد ، ولا جامعَ بين الشاعرين من عصر أو بلد أو مذهب شعري ، مع منافاة ذلك الجمع لفنيات إخراج الكتب وبخاصة الدواوين الشعرية .

ولم تخل هذه الطبعة من بعض التصحيفات ، فالكمال لله وحده ، ومما يحمد لصاحبها قيامه بشرح بعض الألفاظ بالهوامش .

ومن المؤكد أنه لم ير النسخة (ب) للديوان ، رغم وجودها بالظاهرية ، ودليلنا على ذلك اختلاف ترتيب القصائد بينها وبين المطبوع مع عدم إشارته إليها ، ووجود قصائد بها لم يشملها المطبوع أيضا .

ويحتوي الديوان في طبعتنا هذه على (٨٢) وحدة شعرية ، ما بين قصيدة ومقطوعة ، منها إحدى عشرة يمكن عدّها في المطولات ، فقد ذكر الباحثون أن القصيدة إذا تجاوزت أربعين بيتا عدت في المطوّلات ، وتتراوح هذه القصائد بين (٤١) بيتا ، و (٨٤) .

أما الأغراض التي توزعت الديوان فأهمها :

١ - المدح	٣٩	منها أربع مقطوعات .
٢ - الغزل	٢٠	منها قصيدتان .
٣ - الشكوى وعتاب الزمان	٤	منها قصيدة واحدة .
٤ - مناجاة الله	٣	منها قصيدة واحدة .
٥ - الوصف	٢	منها قصيدة واحدة .

والباقي في أغراض مختلفة . على أن جانبا من الغزل والشكوى جاء مبثوثاً في قصائد المدح أيضا بشكل بارز ، إذ لا تكاد تخلو قصيدة مدح عنده من مقدمة غزلية رائعة ، ولعلّ جزءًا كبيراً من شهرته إنما جاءه من ذلك الغزل الرقيق المرقص - على حد قول الزركلي - ، فقد نال شعره إعجاب معاصريه ، وفاخر هو بينهم بشعره دون معارض . يقول عنه المحبّى : (لم يكن أحد يوازيه في أسلوبه ، أو يوازنه في مقاصده ، وكثير من أدباء العصر يفاضل بينه وبين الأمير منجك ، ويدّعي أرجحيته مطلقا) ، ثم يحكم في هذه القضية فيقول : (وعندي أن أرجحيته إنما هي من جهة حسن تراكيبه وحلاوة تعبيراته ، وأما أرجحية الأمير فمن جهة معانيه المبتكرة) ، ثم يقول : (وبالجملة فهما شاعرا الزمان ، ولعمري إن زماناً جاد بهما لسخيّى جدًّا) [1] . ويقول جامع ديوانه عن شعره : (وهو موجود بأيدي الناس يتداولونه ويتدارسونه ، ويتناقلونه ويروونه ، ولرغبتهم فيه يعدّون كل شعر دونه) [2] . وعمد بعض معاصريه تحت وطأة هذا الإعجاب ، إلى معارضته في بعض قصائده ، بغية الاحتذاء

(١) خلاصة الأثر ٣ : ٢٥٧ .

(٢) انظر مقدمة الديوان .

أو رغبة في التفوق ، وذلك كما فعل الشاعر محمد بن حجازي بن أحمد الرَّقباوي الإنبابي المتوفى بأبي عريش سنة ١٠٧٨ هـ ، الذي كتب إحدى مدائحه للشريف زيد بن محسن ، شريف مكة ، على بحر الرمل وروي الحاء المضمومة ، معارضاً بذلك حائية ابن النحاس في مدح محمد بن فرّوخ ، فقال [١] :

كل صبٍّ ماله في الخد سفْحٌ … لم يُرَق في عينه نجدٌ وسفح
ومتى يعلو بشأن في الهوى … وله شأنٌ به فيه يشح ؟
إنما الدمع دليل ظاهرٌ … إن يكن للحب متن فهو شرح
والذي يصبو لأغصان (النَّقا) … لم يكن عنها بغير الطَّرْف يصحو
يستحي من أن يوافيها الحيا … وهو أوفَى منةً ، والغيم يمحو
كيف يستسقي لها ماءَ السَّما … وله جفن متى شاء يسحّ ؟
روضةٌ للغيد كانت ملعباً … وهي في لَبّة جيد الشرق وضح
كلما نقّطها قطرُ النَّدى … رشفَ الطَّلَّ بها رند وطلح
وإذا مرّت بها ريحُ الصَّبا … سحَرًا أرَّجها بالمسك نفح
وتغنّت فوقها وُرْق الحمى … ولداعي بلبل الأشواق صدح
رُبَّ ريمٍ ذات لحظ فاتن … فاتكٍ ، بالكسر والسُّقم يصح
كنَستْ في ظل ذيّاك (النقا) … وأذابت كلَّ قلب فيه جُرح
طنَبتْ في مهجتي ، واستحكمت … فيَّ قطعاً ، ليْتها بالوصل تنحو
أتراها استعذبت يوم النوى … لعذابي كأسَ بيْنٍ ، وهو ملح
مالها – لاعبثَ الدهرُ بها – … لا ترى الهجران كافٍ [٢] ، وهو ذبح
كنت أشكو صدَّها من قبل أن … تنتوي ، والآن عندي فيه شح

---

(١) خلاصة الأثر ٣ : ٤١٥ – ٤١٨ .

(٢) كافٍ : الصواب نحوياً كافياً .

يا نُـوارُ ! اصطنعينـي باللقــا ... فلكمْ قاليتِ من في العشق يلحو

إن تكوني شمتِ في ليل الصبا ... بارقاً ، فهو لروض الحلْم فتح

كم جلوتِ الشمس في غربيّه ... وسمحت وجناحُ الفَوْد جُنـح

فاجعليه شافعاً فيما بـدا ، ... أيُّ ليل ماله يا بدرُ صبـح

ولقد أعلم حقًّا لم يكـن ... منك عن ذنب ظهور الشيب صفح

غير أني أرتجي منك الوَفـا ... وهو في شرع ذوات الحسن قبح

كم أداري فيك عذّالي ! وكم ... ساءني فيك على التبريح كشح !

وإذا فعْـلُ الغـواني هكــذا ... كلُّ ذي سكر بهم لا شك يصحو

سأذودنَّ فـؤادي راغبـا [(١)] ... عن هوى مَنْ جدُّه بالصدق مزح

يا خليليَّ اعـذُراني ، إن لي ... نارَ وجدٍ مالها بالعشق لفح

خلِّياني والـذي ألقـاه مـن ... زند شوقي ، ماله بالغيد قدح

أنا عن ألحاظهم في معـزل ... وحديثي ظاهر وهـو الأصح

قد نسينا مـا حفظنـا منهمُ ... ورأينا أن بعض العذل نصح

لا أرى العيش صفاً ما لم أعش ... وفؤادي من حروف اللهو ممحُو

وعن التشبيب ما أغنى ، ولي ... في علا (زيد) العلا ، شكر ومدح

سيد السادات ، سلطان الملا ... فارس الخيلين ، يوم الروع ، سمح

قامعُ الأقران في يوم الوغـى ... تحت ظل السُّمرِ ، والحربُ تفحّ

أبيضُ الوجه إذا النقع دجـا ... واضحُ البِشر إذا الفرسان كُلْح

كم لـه يـوم فخارٍ منتمـىً ... ولوقع البَيض بالهامات رَضح [(٢)]

صبّح الأقيالَ حرباً ، ولكَـمْ ... شرّقتْ من خيله حربٌ وصلح

يـوم أورَى بقـديح المصطلَـى ... قدْحَ زندٍ ورْيُه بالفوز قدْح

---

(١) سأذودنَّ : ليس هذا من مواضع تأكيد الفعل المضارع بالنون . ولعلها : لأذودنّ .

(٢) رضح : هي كالرضخ ، وهو الدق والكسر بالحجر .

وعلى العمرة أربتْ يده ... وله في يومها عفوٌ وصفح
أذْكَرَ الصنفين إذ ذاك بها ... يوم صِفِّين ، وللخيلين ضَبْح
ولغا عنّي ضلال بعدما ... طاش من تصحيفه في فيه صَمْح[1]
ولكم سارع بالخيل على ... حرم الله ، وللأعمال دَلْح[2] !
مانع الجارِ ، فلو لاذَ الدجى ... بعواليه ، لما جلاّه صبح
ولَو انّ الشمس تحكي نورَه ... ما علاها في ظلام الليل جُنح
واهبُ الأرواح في يوم الوغى ... لأعاديه الأُلى بالمال شحّوا
ولقد كان أبوه هكذا ... ولماءِ الورد بعد الوِرْد نضح
أشغلت هيبتُه فكْرَ العدا ... فهمُ في غمرة الإشفاق طُرْح
لو رأوه في الكرى لانتبهوا ... ولهم من خوفه بالرعب قرح[3]
وإذا شامُوا بروقاً أيقنوا ... أن أعناقهمُ بالبيض مُسْح
وإن انقضّت نجومٌ في الهوى ... زعموا أن مُطار الشهب رزح[4]
بأبي أفديك يا بحر الندى ... يا مضيء الرأي إن أظلم قدح
يا عتيدَ الخيل يوم الملتقى ... يا شديدَ البأس ، والأقران طُلح[5]
يا عريضَ الجاه ، يا حامي الحمى ... يا ملاذ الكون إن لم يُغن كَدْح
يا جميمَ الفضل ، والسيفُ له ... بغَدادِينِ الطّلى حصدٌ ومَسْح[6]
خذ حديثي ، واستمع قولي ، فما ... كل من قال قريضا فيه صَحّ

---

(١) الصمْح : اشتداد الحر.

(٢) الدلح : المشي ببطء .

(٣) القرح : الارتفاع .

(٤) الرزح : الضعف .

(٥) الطُلح : المتعبون .

(٦) الغدادين : جمع غُدُنَة ، وهي لحمة غليظة في العنق .
والطّلي : جمع طِلْية ، وهي العنق .

أنت أولى الناس بالمدح ولو ... لم يكن للبحر عن وصفك نزْح
هاك نظمَ الدُّر من معدِنه ... رائق المعنى له بالمدح مزح
واجعل الأبكار في نور الوَفا ... واختبرها فهي بالعرفان فُصح
ضمنَ الدهرُ لها التخليدَ في ... صفحات الكون ، والأيامُ فُسْح
وهي كالجُرْدِ السلاهيب ، لها ... بمجال الشكر في علياك مَرْح
حاصرت ما شادَ (فتح)[1] قبلها ... وتلت : نصر من الله وفتح
أحرز السبقَ ، ولكن فُقتُهُ ... بكَ يا ابن الطهر ، والآياتُ وُضْح
لا يروق المدحُ إلا في الألَى ... لهمُ الأنسابُ كالأحساب رُجْح
أين مَنْ جدّاه : طه المصطفى ... وعليٌّ المرتضى ، ممن يزحُّ
برز الفالُ بها من منطقي ... لك بالإيراد والإسعاد سنْح
وأنا منك أيا غوثَ الورى ... لم يكن صوتي كما قيل أبح[2]
ولقد أغنيتني عن مطلبي ... منك بدًّا ونظيري لا يُلح
لو درى (النحاس) أني بعده ... أصنع الإبريز لم يمسسه قَرْح
لا أرى الغربةَ ألوثُ ساعدي ... ولباعي بنداك الجمّ سَبْح
طالعي بالسعد وضّاح الحجى ... بك في بُرج الهنا ، والرجو ضَحّ[3]
ولقد بلَّغتني كل المنى ... بأحاديث لها في النفس سَرْح
نعمة منك علينا لم تزل ... يقتفي آثارَها فوزٌ ورِبْح
دمتَ يا شمس الهدى ما ابتسمت ... بك أفواهُ الدجى ، وافترّ صبْح
ما همتْ عين الغوادي ، وبدا ... بك في وجه الزمان الغض رشح[4]

---

(١) فتح : يعني الشاعر فتح الله ابن النحاس .

(٢) أبحّ : هو خبر لم يكن ، فهو منصوب ، ولكن الروي مضموم .

(٣) الضّح : الشمس .

(٤) أوردنا القصيدة كاملة لإتاحة فرصة الحكم للقارئ .

ولم يستطع الإنبابي أن يبلغ شأو قصيدة ابن النحاس أو يكسف من قدْرها ، رغم ادعائه التفوق ، بل ظلّت على مر العصور تجتذب إليها الشعراء ، وتنتزع إعجابهم ، وتدفع بعضهم أيضا إلى معارضتها ، وذلك كما فعل الشاعر المدني ، السيد جعفر بن السيد محمد البيتي السقّافي باعلوي (١١١٠ - ١١٨٢ هـ) في قصيدته التالية ، التي أجاب بها عما كتبه إليه بعض المكيين (١) :

أدمُعي (بالسَّفح) من عينيَ سُفْح ... كم (بجزْع السِّيح) أجفاني تسحّ !(٢)
كم وُلوع ! كم غرامٍ ! كم ضنى ! ... عمّت البلوى ، وزاد الجُرْحَ جُرح
في هوى أحوى رشيقٍ قدُّه ... في فؤادي يالَقومي منه رُمْح
أدعج العين ، مُشاكٌ ، أفلجٌ ... جَعْدُه ليلي ، وذاك الوجهُ صبح
مثل ما فيه من الحسن الذي ... ضل عقلي فيه في العاذل قبح
إن يكن صحّ الضنى من طرْفه ... لَبِّى ، فالصحة أمرٌ لا يصح
بدْرُ تمٍّ طالعٌ من خولـه ... شَعْرُه ، (إن يمض جُنح يأت جُنح)
غصُنٌ ، ويلمِى من تعديلـه ... صحَّ لي من ذلك التعديل جرح
دائما تغزو رَنـاه مهجتـي ... ولمغزاهُ لبابِ النصر فتـح
كلما رقّيتُ في الحب قسا ... ودموعي كلَّمـا شحّت يشح
كيف ترجُون سلوّي بعـده ... والعِدا تلحو ، وأشواقي تلـحّ
يا سميري ليلةَ السبت لقـد ... جَدَّ بي منك من البارح برْح
يا أمير الحسن ، طالعْ قصتي ... ليس لي في متنها غيرك شرْح
لي على ساقك حربٌ قـائم ... مع لَوَاحِيَّ ، ومع عشقك صلح

(١) مخطوطة ديوان البيتي - الورقة (٤) .

(٢) موضع معروف بالمدينة .

إن صحا طرْفُك من سكرته   ربّما أني من السكرة أصحو
كفّ يا خالي مراراتِ النوى   ما جزائيَ منك يا سكّر ملح
يا ضيا عيني ، ويا روحَ الحشا   هل لعيني منك يا عينيَ لَمْح
خذ جميع المال ، حتى مهجتي   إنَّ خُسْراني على ذا الوجه رِبح
شُمَّ عشقي من ثيابي ، شمّني   فيَّ من عشقك يا تفاحُ نَفح
فكرتي تسبح بي في : هل أتى !   ولإنساني ببحر الدمع سَبْح
أذكر الطلح وباناتِ الحمَى   ياسقي لي بالحمى بانٌ وطلح
من سفيري برسالات الهوى   أبداً أكتبها والدمع يمحو ؟
يسأل الجافلُ عني : لمْ نأى ؟   ولما يعرض عن نحوي وينحو ؟ (١)
هكذا قسمةُ حظي عنده   بعد ذاك الجمع ، والألفةِ ، طرح
يا بني بدرٍ فداكمْ عاشق   عربيٌّ من بني عذرةَ ، قحٌّ
خلعَ العُذر ، وولّى جامحاً   في الخلاعات له مَرْح وشطح
أخفق المسعى عَذولي فيكمُ   وأنا قد صحّ لي – والحمدُ – نُجْح
نُشِرتْ أعلامُ سعدي باللقا   فانطوى من جانب الكاشح كشح
وغدا البدر بمدحي نازلاً   بالثريّا ، حبذا بدر ومَدْح
يا زنادًا بالذكا يقْدح لي   مِدحةً أورت ولا في المدح قدح
كلّ أبنائك روضٌ ، سَرْحُه   مثمرٌ حسناً ، وأفكاريَ سَرْح
صرّحت عنك بفضل فاضل   إذ لها في قبّة الأفلاك صرْح
من مروجٍ كنتَ فيها ، لا تلم   إن يكن أصبح لي في المرج مَرْح
كل شعري معك غُفْلٌ قِدْحه   ومُعَلاّك له يا فذُّ قِدْح
طفحَ اليمُّ ، وزاد النيل ، إذ   زاد من بحر القوافي فيك طفح
أنت قد جدّيت في القول ، فجُدْ   بقبولِ العذر إن جاءك مَزْح

---

(١) ولما : أبقى الألف للضرورة العروضية .

في فمي الماء ، وفكري جامدٌ   غُضٌ عن شُحيَ ، فالخاطر سمح
لا خلا طيرك ميموناً ، وفي   دوحة الفضل له صدْع وصدْح
كلما أنشد أو أنشا شجٍ :   أدمعي بالسفح من عيني سُفح

ويعجب بها أيضا الشاعر إبراهيم ناجي ، فيستفيد منها في قصيدته الشهيرة (الأطلال) وذلك في قوله :

أيها الشاعر تغفو   تذكر العهد وتصحو
وإذا ما التامَ جرح   جدّ بالتذكار جرح [1]

فإنه أخذه بتصرف من قول ابن النحاس :

كم أداوي القلبَ ! قلّت حيلتي   كلما داويت جرحاً سال جرح

غير أن بيتي ناجي من مجزوء الرمَل ، وقصيدة ابن النحاس من وافيه .

وأكثر من ذلك أن بعض أبيات هذه القصيدة وشطراتها جرت على ألسنة كثير من الناس مجرى الأمثال ، وشاعت بين المغنين بألحان مختلفة ، ولذلك قال الزركلي : (أشهر شعره حائيته المرقصة التي مطلعها : (بات ساجي الطرف والشوق يلح) .

ويعود البيتي مرة أخرى لابن النحاس ، ليعارضه في عينيته التي مطلعها :

رأى اللوم من كل الجهات فراعه   فلا تنكروا إعراضه وامتناعه

ولكن بعد أن يحوّر في الموضوع ، فيقول وهو بينبع البحر سنة ١١٤٣

(١) ديوان إبراهيم ناجي – ليالي القاهرة – ص ١٣٩ ، دار العودة – بيروت ١٩٨٠م .
(٢) مخطوطة ديوان البيتي ، الورقة ٢٢ – ٢٤

هجرية ، بأسلوب فكه ساخرٍ ، يعتمد على النقد الاجتماعي والسياسي ، ويصف أوضاع ينبع ، ويشكو حظه فيها :

رأى البقّ من كل الجهات فراعه / فلا تنكروا إعراضه وامتناعه
ولا تسألوني : كيف بتُّ فإنني / لقيت عذاباً لا أطيق دفاعه
نزلنا بمرسى (ينبع البحر) مرةً / على غير رأيي . ما علمنا طباعه
نقارع من جند البعوض كتائباً / وفرسانَ ناموسٍ عدمنا قراعه
فلو عاينت عيناك ميدان ركضه / رأيت جريء القلب فيه شجاعه
وجنداً من الفئران في البيت كمّناً / متى وجدوا خرقاً أحبّوا اتساعه
ومن حطَّ شيئاً في جرابٍ وبَطةٍ[1] / فما رام عند الفأر إلا ضياعه
وسُرْبة قمل تنبري إثر سُرْبَةٍ / خفافاً إلى مص الدماء ، سراعه
ينازعها البرغوث لَحْمِي ، فليتَهُ / رضِي بتلافي ، واكتفيْنا نزاعه
فلو يجد الملسوع من عِظْم مابه / من الصخْر دِرْعاً لاستخار ادِّراعه
فرُبَّ قميصٍ كان شرًّا من الْعَرَا / إذا ضمّه الملتاعُ زاد التياعه
كأني وصيٌّ للبراغيث قائماً / أُقِيتُ له أيتامه وجياعَه
إذا شبع الملعونُ مَجَّ دماً على / ثيابي ، فلا أحيا الإله شباعه
فما رشّنا بالدمِّ إلا لسانُه / ولم ترَ عيني فكره وخداعه
سلُوا عن دمي ساري البعوض فإنني / علمت يقيناً أنه قد أضاعه
فللّه جِلد صار بالحك أجرباً / أخاف عليه يا فلان انقشاعه
وعظْم سِلاَقٍ قد تولَّع بالخِصَى / وحرٌّ أذاب الجسم ، ثمّ أماعه
ونَتْن كنيفٍ ربّما جلب العمَى / وسبّب للآتي إليه انصراعه
فلو كان يجدي المرءَ تجديعُ أنفه / لودّ الذي يأتي الكنيفَ انجداعه

---

(١) البطة : وعاء .

ولو كان قطعُ الأكلِ والشُّربِ نافعاً ... لأكثَرَ بين العالمين انقطاعه
وكم قد أكلنا نملةً وذبابةً ... وفأراً بلغنا رجلَه وكراعه
وماءِ زِلاعٍ صار معجونَ علّةٍ ... شربناه كُرْهاً ، وادّخرنا زلاعه
وباءٌ ، وسقم ، لا محالة كلُّه ... ونرجو من الله العظيم ارتفاعه
فلا تعذِلوا المسكين إن عيل صبرُه ... وأظهرَ من جور الزمان انفجاعه
فقد مارس الأهوال في أرض (يَنْبع) ... ووطّأ فوق النائبات اضطجاعه
ذرعتُ الْعَنا فيه يميناً ويَسْرةً ... وصيّرتُ صبري والتأسّي ذراعه
فأعدمني طولُ المُقام تجلّدي ... وكشّف عن وجه اصطباري قناعه
إذا رنّم الناموس حولي أعلّني ... وصدّع قلبي بالسّجوع ، وراعه
وإن مصَّ من دمّي وطار ، تبعتُه ... إلى فائتٍ منه أرجّي ارتجاعه
عدمتُ غناءًا مثل أنغام سجعه ... فما كان أشنى سَجْعه وابتداعه
ضعيف قوًى ، لا يستقر من الأذى ... وأضعفُ منه من يرجّي اصطناعه
وقد نفدت في دفعه كلّ حيلةٍ ... ولو كنتَ بالحسنى طلبتَ اندفاعه
فيا لأُصَيْحابي اقتلوني ومالكاً ... فقد مدّ نحوي مفسدُ البقّ باعه
وأصبحتُ في دار المشقة والعَنا ... أخالط أوغاد الورى ورعاعه
وكلباً من الأعراب يعوي كأنه ... يريد إذا لاق الأمينَ ، ابتلاعه
فلو صاح فوق الصخر خرّ لوقته ... وأبصرتَ من ذاك الصياح انصداعه
براه إلّه الخلق للناس نقمةً ... وقدّ من الصخر الأصم طباعه
فلا رحم الرحمن أرضاً يحلّها ... وباعَدَ عنّا بالسنين انتجاعه
ومن كل جبّار عنيد يرى الورى ... عبيداً لديه ، والبقاعَ بقاعه
شقيٍّ عصى الرحمن في كل أمره ... ومال إلى شيطانه وأطاعه
فقلْ لرعاة الوقت : إن نعاجكمْ ... أتاح لها ريبُ الزمان سباعه
فهل لكمُ في لمّ شملِ الذي بَقي ... برأيٍ بديع تحسنون ابتداعه

وإلا فإن الأمر لله كلّه ... ولا رأي في خرْقٍ يريد اتساعه
سلونا عن الدنيا ، فكل نعيمها ... متاع غرورٍ لا تديم متاعه
وما اعتضْتُ من كوني أديباً وفاضلاً ... لدى الناس إلا قوله وسماعه
ومن كان يرجو في الأمانة مغنماً ... فخلُّوا له أوضاعه وخراعه
وقولوا له : هَذاكَ (ينبُعُ) حاضرًا ... لمن رام يبلو ضَرَّهُ وانتفاعه
فكم كاتبٍ أفنى اليراع كتابةً ... وملّ ، وألقى في التراب يراعه
وكم بدويٌّ داسه فوق بطنه ... ومزّق ما بين الأنام رقاعه
ومن جاءكم منّا مع الليل شارداً ... فذاك لهول واقعٍ قد أراعه
ومن يمتنع عن خدمةٍ مثل هذه ... فلا تنكروا إعراضه وامتناعه
فما يكسب الكيّالُ إلا غباره ... ولا الكاتب المسكين إلا صداعه

ويبدو أن شعر صاحبنا ابن النحاس إنما نال هذه الشهرة نتيجة لرقة ألفاظه وجمال صياغته – كما أشار إلى ذلك المحبّي – ، ولا يضره الإعراب في اللفظ أحياناً ، ورفعه اسم إن وكأن المتأخر توهماً منه أنه الخبر ، وذلك حينما يكون الخبر متقدماً وهو ظرف أو جار ومجرور ، وقع منه ذلك ثلاث مرات هي قوله (١) :

لا كان قولهمُ ، فإن لوقعِهِ ... بصميمِ قرطاس القلوب ندوب

وقوله (٢) :

بدا فانجلى الخطبُ الجليل بطلعةٍ ... كأن بها تحت الغمامة فرْقدُ

---

(١) القصيدة : ١٧ .
(٢) القصيدة : ١٥ .

وقوله [1] :

المُصْدِرُ العافين قبل ورودهمْ غَرْقَى ، كأن براحتيه سيولٌ

ولعل لمقروءاته الشعرية أثراً في ارتفاع مستوى أسلوبه على شعراء عصره ، فكثيرا ما تلمح على قصائده ظلالاً من أشعار المتنبي ، بل إننا نجد المقدمة النثرية لقصيدته (رقم ١٩) ، تصرّح بالتصاق شاعريته بالمتنبي على وجه من الوجوه .

ومما يضاف لشاعريته أنه ابتعد بشعره عما خاض فيه بعض الشعراء آنذاك كالغزل بالمذكر ، والكتابة في الأحاجي والألغاز ، والمعمّيات ، والتشجير ، والتأريخ الشعري ، ونحو ذلك مما أثقل شعر تلك الفترة ، ووصمه بالثرثرة والعبث ، كما ابتعد عما كان يقع فيه الشعراء العلماء أمثاله من استخدام للمصطلحات الفقهية والنحوية والمنطقية وغيرها ، في أشعارهم ، فتقتل نبض الشعر فيها . وخلت لغته الشعرية من الألفاظ العامية ، إلا ما جاء منها عندما عمد إلى الكتابة في بحور : الدُّوبيت ، والمواليا ، والسلسلة ، ويمكن أن نعتذر له عن ذلك بأن العامية من الخصائص الفنية المباحة أو اللازمة لتلك البحور . وقد كان لبعض الأماكن التي كثر ورودها في الشعر العربي القديم سيطرة على شعره ، وهو يستعملها في الغالب رموزاً إيحائية ، ترفد تجربته وتقوّيها ، ولا تفصلها عن بواعثها وإطارها الحركي العام ، وذلك مثل : عاقل - دار اللّوى - عالج - شعب الحائل - رامة - النقا - زَرُود - يذبل - شمام - الخ .

وتنبه لما في اسمه من دلالة معنوية ، فاستغلها في شعره تصريحا

---

(١) القصيدة : ٥٠ .

أو تلميحاً عن طريق التورية ، وذلك كقوله [1] :

علم الناسُ بأن الـ ـفتح للباب منيب
أنا (فتح الله) ، والفتـ ـح له منك نصيب

وقوله [2] :

وقيل : قاضي القضاة دام عُلاً إليه (فتحي) يدلي وينتسب

وقوله [3] :

إني أنا (الفتح) سمعتمْ به ما همُّه حربٌ ولا صلح

ولعلنا مما قدمناه ، وبعد قراءة الديوان ، ندرك مع المحبّي أهمية هذا الشاعر بين شعراء عصره ، ونقول معه : إن زماناً يجود بمثله لسخيّي جدا .

---

(١) القصيدة : ٣ .

(٢) القصيدة : ١٠ .

(٣) المقطوعة : ٥٤ .

وصف النسخ المعتمدة في التحقيق

اعتمدت في تحقيقي لهذا الديوان على ثلاث مصوّرات لثلاث نسخ مخطوطة ، بالإضافة إلى النسخة المطبوعة .

١ - النسخة المطبوعة :

سبق الحديث عنها في ص ٤٦ - ٤٩ .

٢ - المخطوطة أ :

تتكون من (٤١) ورقة من القطع الصغير ، أي (٨٢) صفحة ، بما فيها صفحة عنوان الكتاب ، وتحوي كل صفحة منها واحداً وعشرين سطراً ، مكتوبة بخط نسخ واضح .

وتبدأ بمقدمة كتبها جامع الديوان الذي لم يعلن اسمه ، وربما كان أحد أدباء المدينة المنورة ، ولذا قال عن ابن النحاس : (قدم المدينة الشريفة) ، ولو كان من غيرها لقال : (رحل إلى المدينة الشريفة) ، أو نحو ذلك .

وصرّح بأن الذي دفعه لجمع شعر ابن النحاس في ديوان ، إنما هو شهرته وانتشار شعره وحاجة الناس إليه وطلبهم له ، يقول عن شعره : (وهو موجود بأيدي الناس يتداولونه ويتدارسونه ، ويتناقلونه ويروونه ،

ولرغبتهم فيه يعدون كل شعرٍ دونه ، ولكنه متفرق بأيديهم لا صوان له يجمعه ، ولا ضابط يحفظه من التحريف عند من يسمعه ، وكان الطالب له مشتت البال ، لتطلّبه من الدفاتر وأفواه الرجال ، وترى كثيرا من نسخ قصائده أخرجت من مسوّداته ، وفيها اختلاف كثير ، وتحريف من الرواة شهير ، بحيث يؤدي إلى اختلاف المعنى ، واختلال المبنى)[1] .

فجامع الديوان إذن أديب يهتم بجمع الأشعار ، ومنها شعر ابن النحاس ، والفضلاء يثقون بأدبه وروايته ، فيطلبون منه القيام بمهمة جمع هذا الديوان : (وقد كنت حررت الكثير من ذلك ، واعتنيت بالجلّ مما هنالك ، مع جماعة من الفضلاء ، وطائفة من النبلاء ، واجتمع عندي من ذلك جملة كثيرة ، فالتمس مني من تجب المبادرة لمطلوبه ، والمسارعة لإنالة مرغوبه ، أن أجمع الموجود من كلامه ، وأن أضم ذلك العقد إلى نظامه)[1] .

وليس لهذه النسخة خاتمة ، بل هي تنتهي بنهاية القصيدة (٧٧) التي نبّه إلى أنها لم توجد بتمامها .

أما صفحة الغلاف فأول ما يلفت النظر فيها هو ختم المكتبة الظاهرية الأهلية بدمشق ، التي صورت منها هذه النسخة ، ولا يظهر على هذا الختم أي تاريخ رغم حداثته ، ومكتوب على الركن الأيمن العلوي والسفلي ، الرقم العام للمخطوطة بالظاهرية ، وهو ٩٠٢٤ ، وعلى الركن الأيسر العلوي : (نظر فيه الفقير أحمد العطار بن الموقع) . وغير بعيد منه . (ملكه الفقير محمد شاكر ، عُفيى عنه) ، وفي الوسط يوجد بيتان من الشعر باللغة التركية ، بينهما كتب : (من نظم كاتبه الفقير) .

---

(١) انظر مقدمة الديوان .

ثم كتب بخط واضح مثقل : (هذا ديوان فتح الله ابن النحاس ، الحلبي ثم المدني) ، وتحته مباشرة كتب : (في سلْك مِلْك المملوك إلى مِلك الملوك ، محمد يحيى بن عبد الرحمن ، ازْمرْ لي ، ثم المدني) ، وبيت الأزْمرْلي من البيوتات الكبيرة الآن بالمدينة ، وفيهم أصحاب شهادات عليا ، ووظائف كبرى . وقد كان منهم قديما علماء وأدباء ، ولعل في مكتبتهم التي ضمت إلى المكتبة العامة بالمدينة كغيرها من مكتبات الأسر العلمية المدنيّة بعد منتصف القرن الثالث عشر الهجري شاهداً على ما قلناه . أما (محمد يحيى) المشار إليه فقد كان حيا بالمدينة سنة سبع وستين ومائتين وألف ، حسب الوثيقة الشرعية الصادرة من الحاكم الشرعي الحنفي بمحكمة المدينة المنورة : (محمد بن السيد مدني الحسيني) التي توكله فيها عتيقة عمر أفندي بن مصطفى أفندي أزميرلي على ما آل إليها بالإرث من ابنها محمد علي بن عمر أفندي أزميرلي في الدار الشهيرة لديهم آنذاك بدار الأزمرلي ، قرب باب السلام (دخلت الآن في التوسعة الجديدة) ، بين وقف السلطان قايتباي ومدرسة السلطان محمود خان ، وقد ظلت هذه الدار بيدهم مدة طويلة ، ففي وثيقة أخرى محررة في اليوم السابع والعشرين من محرم الحرام من سنة ١٣١٢ هـ نجد كلثوماً بنت محمد سعيد أزمرلي ، زوجة مصطفى بن محمد يحيى أزمرلي تبيع نصيبها الآيل إليها من زوجها المذكور إلى محمد سالم بن محمد سعيد بن محمد يحيى أزمرلي [١] .

وأسفل منه كتابة متعمدة المحو ، وعلى الجانب الأيسر قريباً من ذلك : (من تملكات الفقير إلى الله محمد أسعد سنة ١٢٤٠ هـ) ، ثم كتابة متعمدة

---

(١) هاتان الوثيقتان حصلت عليهما من الأستاذ عبد العزيز بن علي أزمرلي ، مدير ثانوية الملك عبد العزيز بالمدينة ، جزاه الله خيراً .

المحو ، وفي أسفل الركن الأيسر : (طالع فيه ، وتأمل معانيه ، داعيا بطول البقاء ، وعلوّ الارتقاء ، العبد الفقير إلى الله عزّ شأنه ، عبد الوهاب بن يحيى مصطفى ، غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين ، وذلك في منتصف ربيع الأول الأنور ، بمولد سيد البشر ، صلى الله وسلم عليه وعلى آله الأمجاد الزهر ، ....)[1] .

وعلى الصفحة اليمنى لورقة الغلاف : (في كتبخانة شيخ الإسلام يوجد هذا الديوان في نمرة ١٣٤) ، وهذه العبارة هي التي دفعتني إلى البحث عن النسخة (جـ) في مكتبة عارف حكمة بالمدينة .

وإذا كان لا يوجد لهذه النسخة خاتمة فإنه تبعاً لذلك لا يعرف كاتبُها ولا تاريخ كتابتها .

٣ - المخطوطة ب :

تتكوّن من (٢١) ورقة من القطع الكبير ، أي (٤٢) صفحة ، وتحوي كل صفحة ثلاثة وثلاثين سطراً ، مكتوبة بخط نسخ واضح ، ورقمها العام في الظاهرية ٨٥٦٨ وليس عليها ورقة غلاف ، ويبدو أنها من المجاميع الشعرية ، وفيها سقط فيما بين صفحة (٣٧) ، وصفحة (٣٨) ، حيث تنتهي الأولى بالبيت (٣٥) من القصيدة رقم (٩) من النسخة (أ) ، والتي مطلعها :

رأى اللوم من كل الجهات فراعه ... فلا تنكروا إعراضه وامتناعَه

وتبدأ الأخرى بالبيت (٦) من القصيدة (٣٠) ، وليس معنى هذا

(١) كتابة يسيرة غير واضحة .

أن كل ما بين القصيدة (٩) ، والقصيدة (٣٠) ساقط من (ب) ، لأن ترتيب القصائد أساساً مختلف بين النسختين ، متطابق بين (أ) والمطبوع ، و (جـ) ، والساقط من (ب) هو القصيدة : (١٠) ، (١٧) ، (٥٠) ، (٥٦) ، (٧٠) ، (٧٣) ، (٧٥) ، (٧٦) .

والمقطوعة : (٢٨) ، (٣٤) ، (٣٥) ، (٤٧) ، (٥٥) ، (٦٤) ، (٦٧) ، (٦٩) .

أما المقطوعة (٣٦) فساقطة من كل النسخ ، وموجودة في المطبوع .

وأما المقطوعتان : (٤١) ، (٤٢) ، فإنهما ساقطتان من (ب) خاصة ، ونبه المطبوع إلى أنه تعمّد إسقاطهما لكونهما بالعامية ، مع أنه أثبت غيرهما رغم عاميته . وهذه الأسقاط من النسخة (ب) ليس من الضروري أن تكون ممثلة للسقط الناجم عن التصوير ما بين ص ٣٧ ، ٣٨ ، بل قد يكون سقطا حقيقيا من الناسخ ، وذلك لعدم توافق النسختين في ترتيب القصائد .

هذا وتزيد هذه النسخة على الجميع بالمقطوعات : (٧٨ ، ٧٩ ، ٨٠) . وخاتمتها كما يلي :

تمّ الكتاب بعون الملك الوهاب ، بعون الله تعالى وحسن توفيقه . وصلى الله على أشرف المخلوقات سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه وسلم . سنة ١١٣٤ (هجرية) على يد الفقير لله - عُفي عنه - سيد مصطفى .

٤ - المخطوطة ج :

هذه النسخة من مكتبة شيخ الإسلام عارف حكمة بالمدينة المنورة ، ورقمها ٨١٠/٥٠ تقع في (٤٩) ورقة ، أي (٩٨) صفحة ، من القطع المتوسط ، وتحوي كل صفحة خمسة عشر سطرا ، مكتوبة . بخط نسخ واضح ، هذا عدا المقدمة المكتوبة بخط مغاير ، في صفحة واحدة ، وهذا نصها :

(الشيخ الفاضل الأوحد ، الناظم الناثر الأمجد ، وارث عبد الله بن المعتز في الاستعارات والتشبيهات ، وثاني الأرَّجاني [1] في سلامة النظم وحسنه ، مع الجزالة والمتانات ، فتح الله بن النحاس الحلبي ، المجاور بالمدينة الشريفة ، على الحالِّ بها أفضل الصلاة والسلام .

خرج المذكور من وطنه أوائل سنة الأربعين بعد الألف إلى مصر ، وأقام بها نحو العامين في كنف الشيخ أبي الإسعاد الوفائيّ ، وله فيه مدائح ، ثم أنه حج وأقام بمكة نحو الثلاثة الأعوام في كنف عتاقي أفندي شيخ الحرم المكي ، ثم خرج صحبة الأمير محمد بن فرّوخ إلى نحو دمشق ، وله فيه مدائح ، واستمر في كنفه ، وحج من عامه معه ، وقد سعى له في شيء من الجوالي يدرّ عليه في كل عام بالمدينة الشريفة ، فرحل إليها ، وقطن بها إلى حين وفاته .

وكان له باع طويل في عدة علوم ، خصوصاً علم النحو ، والصرف ، والعروض ، وقْرض الشعر . وله حلقة اشتغال بالحرم النبوي ، وبُلي بجماعة

---

(١) الأرجاني : هو أحمد بن محمد بن الحسين ، ناصح الدين (٤٦٠ - ٥٤٤هـ) اتصف شعره بالرقة والحكمة ، توفي بتُستر ، وله ديوان مطبوع جمعه ابنه . (الأعلام ١ : ٢١٥) .

من أهل المدينة يمقتونه ويؤذونه [1] ، وحَنّن الله عليه أغوات المسجد وأكابره ، فكانوا يبرونه ويرفعون مجلسه . وبالجملة كان [2] لا يجاري في نظم الشعر ، لأنه كان مقتدراً عليه . توفي إلى رحمة الله في سنة اثنتين وخمسين وألف ، ودفن بالبقيع ، وعمره يربو على السبعين ، رحمه الله تعالى - كذا لخّصته من بعض التراجم ، مع إضافة كاتبه) .

وعلى الجانب الأيسر الأعلى من هذه الصفحة مكتوب تملُّكٌ هذه صورته : (من عواري ... علي ... ... المدني محمد بن حسن بن محمد السعيد العباسي (أو العياشي) الهاشمي الحسيني ، عام ١٠٨٠)[3] . وفي وسطه (نمرة ١٢٩) ، ثم (نمرة ١٣٤) ، وهي التي وردت بطرف مصوّر النسخة (أ) الظاهرية ، إشارة إلى هذه النسخة ، ثم (نمرة ٤٩٣) ، ثم عبارة (من كتب الدواوين) ، وفي الركن السفلي منه ختم مكتبة عارف حكمة بالمدينة المنورة .

وفي أعلى الصفحة ، وقبل البدء في المقدمة : (ديوان ابن النحاس) . وكتب قبل البسملة والقصيدة الأولى من الديوان : (مما وجد لأديب العلماء ، وعالم الأدباء ، فتح الله بن النحاس) .

ويلاحظ أن هذه النسخة خالية من ذكر مناسبات القصائد في عامتها ، وأنها تشترك مع النسخة (ب) في خلوّها من المقطوعتين : (٦٧ ، ٧٣) ، وتستقل بأسقاط أخرى هي القصيدة (٧٤ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٧) ، والمقطوعة (٧٨ ، ٧٩ ، ٨٠) . وجاءت خاتمة هذه النسخة كما يلي :

---

(١) في الأصل : يمقتوه ويؤذوه . وهو خطأ .

(٢) في الأصل : فكان .

(٣) تمثل النقط كلمات غير واضحة .

كتبه عبد الله باعفيف عام ثمانين وألف ، من هجرته ﷺ . ثم قال : وللشيخ فتح الله رحمه الله تقريظ على سفينة ... للشيخ عارف بن الشيخ محمود المدني :

سفينة أشعار هي البحر ، دُرّها نتائج أفكار وشتى معارف
بها اللفظ كأس ، والمعاني مُدامة وماذاق منها نشوةً غير عارف

عملي في التحقيق :

(أ) - وازنت بين النسخ فوجدت ما يلي :

١ - أن النسخة (أ) خالية من تاريخ كتابتها واسم كاتبها ، بينما توافر ذلك للنسخة (ب) ، (فتاريخ كتابتها سنة ١١٣٤ هـ ، واسم كاتبها : سيد مصطفى) ، وللنسخة (جـ) ، (فتاريخ كتابتها ١٠٨٠ هـ ، واسم كاتبها : عبد الله باعفيف) .

٢ - أن النسختين : (ب ، جـ) وإن تميزتا بذكر اسم الكاتب وتاريخ الكتابة ، مع ملاحظة قرب تاريخ كتابة (جـ) من تاريخ وفاة المؤلف ، (٢٨ عاماً) ، فإنهما لم يحويا كل شعره ، فالأسقاط التي أشرنا إليها فيهما ، تعيبهما وتقدم عليهما النسخة (أ) ، والمطبوع .

٣ - أن النسخة (أ) معضدة بتوافقها مع المطبوع والنسخة (جـ) في ترتيب القصائد ، مع سلامتها من النقص الذي وقعت فيه (جـ) .

٤ - أن النسخة (أ) معضدة أيضاً بهذه المقدمة الدالة على أن عالماً بالشعر مهتماً بالشعراء ، قد عنّى نفسه بجمع الديوان ، ودقق في ألفاظه وترتيب قصائده ، ولا يقدح في هذا أن المقدمة نفسها موجودة في النسخة

(ب) ، لأن النسخة (ب) كثيرة التصحيف ، كثيرة الأسقاط ، أبياتاً وقصائد ومقطوعات .

(ب) - لكل ما تقدم جرى توزيع الرموز : (أ ، ب ، جـ) على النسخ ، وكانت النظرة في أثناء التحقيق ، والتزمت بها في التعليقات والتصحيحات عند الاختلاف .

(جـ) - استفدت في بعض المواطن من (خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر) للعلامة محمد المحبِّي ، فقد أورد في ترجمة الشاعر مجموعة طيبة من شعره .

(د) - رقمت القصائد والمقطوعات لتمييزها وسهولة الرجوع إليها ، ولم أشأ أن أضع لها عنوانات ، لأن ذلك - في اعتقادي - تدخّل في النص لا تجيزه أصول التحقيق ، وإن وقع فيه بعضهم جرأة أو جهلاً .

(هـ) - قمت بشرح الألفاظ التي أحسست بالحاجة إلى شرحها .

(و) - كتبت بعد ذلك مقدمة للتحقيق ، شملت ترجمة الشاعر ، وكلمة ضافية عن الديوان وشاعرية صاحبه ، ووصف النسخ المعتمدة في التحقيق ، وبيان ما قمت به من عمل .

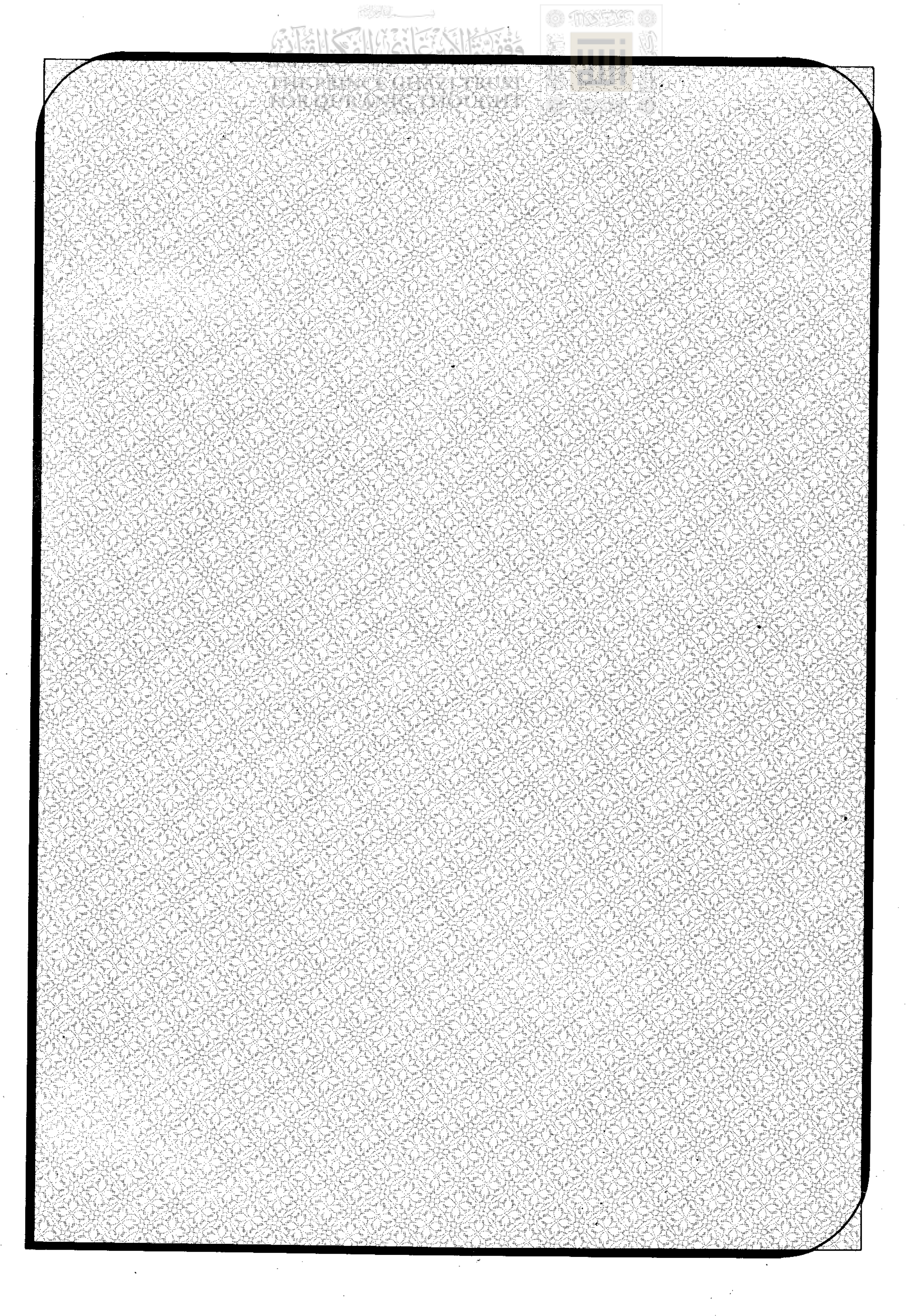
وقد كان يمكنني أن أختصر بعض الاختصار في الحديث عن ممدوحي الشاعر ومعاصريه بالمدينة ، وفي قصيدة الإنبابي ، وقصيدتي البيتي اللاتي عارضا بها ابن النحاس ، ولكنني رأيت أن الاختصار سوف يخل بالصورة التي أردت أن أقدم بها الشاعر لأول مرة لقرّاء لا يعرفون سوى أصداء لبعض قصائده ، وشذرات من أبيات له متناثرة هنا وهناك ، وربما كانت

هذه المقدمة أول تقديم موسع له على الإطلاق . ولله الحمد والمنة ، والله أسأل أن يرزقني حسن النية وسلامة القصد ، وأن يجمع لي بين صلاح الدنيا والآخرة ، آمين .

المدينة المنورة ١٠ شعبان ١٤٠٩ هـ — **الدكتور / محمد العيد الخطراوي**

★ ★ ★

صور بعض الصفحات
من النسخ المخطوطة




هذا ديوان فتح الله ابن
النحاس الحلبي ثم المدني

صفحة الغلاف للمخطوطة (أ)

هل لك في فخرك من مفاخر • هل لك في فضلك من مفاضل

وما عسى فخرهم ومجدهم • كما دروا قسيمهم كما قل

قد قصدوا والله غير قاصد • وافتعلوا والله غير فاعل

وخاصموا بمجد الليس له • للدين غير النصر من حمايل

راموا الكتمان نور حق باهر • وحاولوا قصر كمال طايل

وما سمعنا او رأينا في الدجى • قد كتمت شعشعة المشاعل

اجب كل مربح معشبه • وامن الاكف كف باذل

اذا اراد استكشف منقب • خاف رماه بعناد جاهل

لولا اشتعال النار واضطرامها • ما عرف الرمث من العشادل

فانتم لا سيف عزم كاهم • ولا جواد همة بنا كل

قطعتم بعجلة على القنا • كدق لا مبيت بغرق نابل

قد يدرك المجد بجهل جاهل • ويحجب الذل بعقل عاقل

لا عدم الناس جنا فضيلة • منك وانت معدن الفضائل

وقال [illegible] انه ولم توجد بتمامها

سمح بطرفك من انجى الى بلدي • حتى تبدل من عيني بالوسن

علمت نظرة عين عاذبت حشاي • لولا التأوه للعواد لم يبن

من لي بزورة هجر نيل مقلتها • لم تخم منها طلاب الزعف والمحن

زارت بلا بي ليلا قبل مطلعها • شمس النهار بدت في غيهب الدجن

لما نجي للحرى هذا الغضب اتى • يبغي الي وهذا الظبي كلمني

يا عاذلي لكم ان زار الكرى مقلي • علي وخال هذا النصح في اذني

لا انثني عن طريق الحب ذا ملل • باق تثني ذلك الغصن

لا بد أن ترت همتي هام السها شرفاً • ولا نحلّ بجار القِلّ من فطن

وبالأنشكى ونجد عزّي يوم معركة • تحت العجاجة حيناً سطوة الزمن

إن طال حملي عباء الذل في بلد • فطاول الأكم فيها قمة الفتن

لا تركن النضاد رزاياً كانت لها • شدو بذي ولد بالجد مفتتن

لا يخبط السوط منها عزماً متقبلاً • بحسها الخوطب للخوض والعطن

مثل الفتى كلا ماذمت فلما • ألا واشفقت أن تكو على النفق

تجاج النوم في وقت الكرى مقلي • كأنما الطرف جسمي والكرى ومني

أخشى ردا ها فتبكي لي صلاتها • كأنما حادثت في أمم أبي الحسن

مطلب

الصفحة الأخيرة من المخطوطة (أ)

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمدك اللهم ان اطلعت في سما البلاغة شموسا وبدورا وابدعت
من مكنونات خزائنك من حليت بهم الدهر لبابا ونحورا وملكتهم ازمة
العلوم فقادوا من المعاني كل شرود ومكنتهم من ذروة الفهوم
فاستملوا وحطوا على مناهلها صدورا وورود فجاسوا خلال
رياضها [illegible] انية القطوف وما سواين عمامها وعليهم من
الاهديه شفوف يتفقون في مناهجها من معانيها ما يقول له
السمع هل من مزيد وشكرا لك على ما حليت الاوك وتباركت
اسماؤك ان جلت الادب انسان عينها وشكرا لما [illegible] بهما به
تمهد البلاغة بنواصيها وتستنزل الفصاحة من صياصيها الاوان
القريض ثمرة ذلك الروض الاريض به تستعقل الاماني وتستنزل
عقد الاماني ايدت نبيك في مواطن تنبو اعنها المعالي وتقف
دونها المجلي والمصلي والتالي وناهيك بها رفعة في رتبة الكلام
اخبار عليه الصلوة والسلام بانه اشد عليهم من وقع السهام
وهو سبب لحلول النفس محل الراحة كما استنشد صلى
الله عليه وسلم من عبد الله ابن رواحه والناس متفاوتون في
درجاته متفاضلون في بحوره لا وجاته وكان ممن اخذ به
بالقدح المعلى ونال الذروة من الخط الاعلا العلامة الفريد
والفهامة المجيد حامل راية الادب الذي تنسل اليه طلابه
من كل حدب الفائق ان نظم او نثر او خطب المسترق للالباب
اذا كتب من كتب مولانا المرحوم الملا فتح الله الحلبي ثم المدني
الشهير بابن النحاس قدم المدينة الشريفة واقام بها سنين حايزا

الصفحة الأولى من المخطوطة (ب)

الصفحة الثانية من المخطوطة (ب)



الصفحة الأخيرة من المخطوطة (ب)

فالدر مثل ما تستمعي . فيه ومثل الحلك
ملكت في سبدعي . لنفديك من ممالك
ادركت كل غاية . وفت كل مدرك
لك المعالي وعلى . الفضل تسمان الدرك

كتبه عبد الله باعفيف عام
ثمانين و الف من
[illegible]

وللشيخ فتح الله رحمه الله مقرضا على شعر للشيخ عارف ابن الشيخ محمود الدري
سننشد أشعاره بالمرد رها بنائج أفكار ونشأ مجارف
بها اللفظ كاس والمعاني مليئة وماذا في شمائل تشمر عارف

ولبعضهم من أبيات
أفدي الذي فيه الحبيب دنعرف فيه النعاويه الغسيله نجننا
دمعي العشق ومعصر [illegible] فى خطري المشاء
[illegible]

الصفحة الأخيرة من المخطوطة (جـ)

ديوان ابن النحاس

الشيخ الفاضل الأوحد الناظم الناثر الماجد وارث [illegible]
[illegible] في الاستعارات والتشبيهات ومالك [illegible] في سلوك
النظم وحسنه مع الجزالة والمتانات بهاء الدين النحاس الحلبي
[illegible] بالمدينة الشريفة على الحال بها أفضل الصلاة والسلام
خرج المذكور من وطنه في أوائل سنة الأربعين بعد الألف إلى مصر
والقاهرة [illegible] في كنف الشيخ أبي الإسعاد الوفائي [illegible]
وامتدحه بمدائح ثم إنه حج وأقام بمكة نحو الثلاث الأعوام في كنف [illegible]
[illegible] ثم خرج صحبة الأمير محمد بن فروخ إلى نحو دمشق [illegible]
[illegible] بمدائح [illegible]
[illegible] في كل عام بالمدينة الشريفة [illegible]
وفاته [illegible] في عدة علوم خصوصا علم النحو والصرف
والعروض وقرض الشعر [illegible] الاشتغال [illegible]
أهل المدينة [illegible]
[illegible] في نظم الشعر أنه كان [illegible]
عليه [illegible] في سنة اثنتين وخمسين وألف ودفن بالبقيع [illegible]
[illegible] رحمه الله تعالى [illegible]

صفحة المقدمة من المخطوطة (جـ)

دراسات حول المدينة المنورة
١٥

ديوان

فتح الله بن النحاس

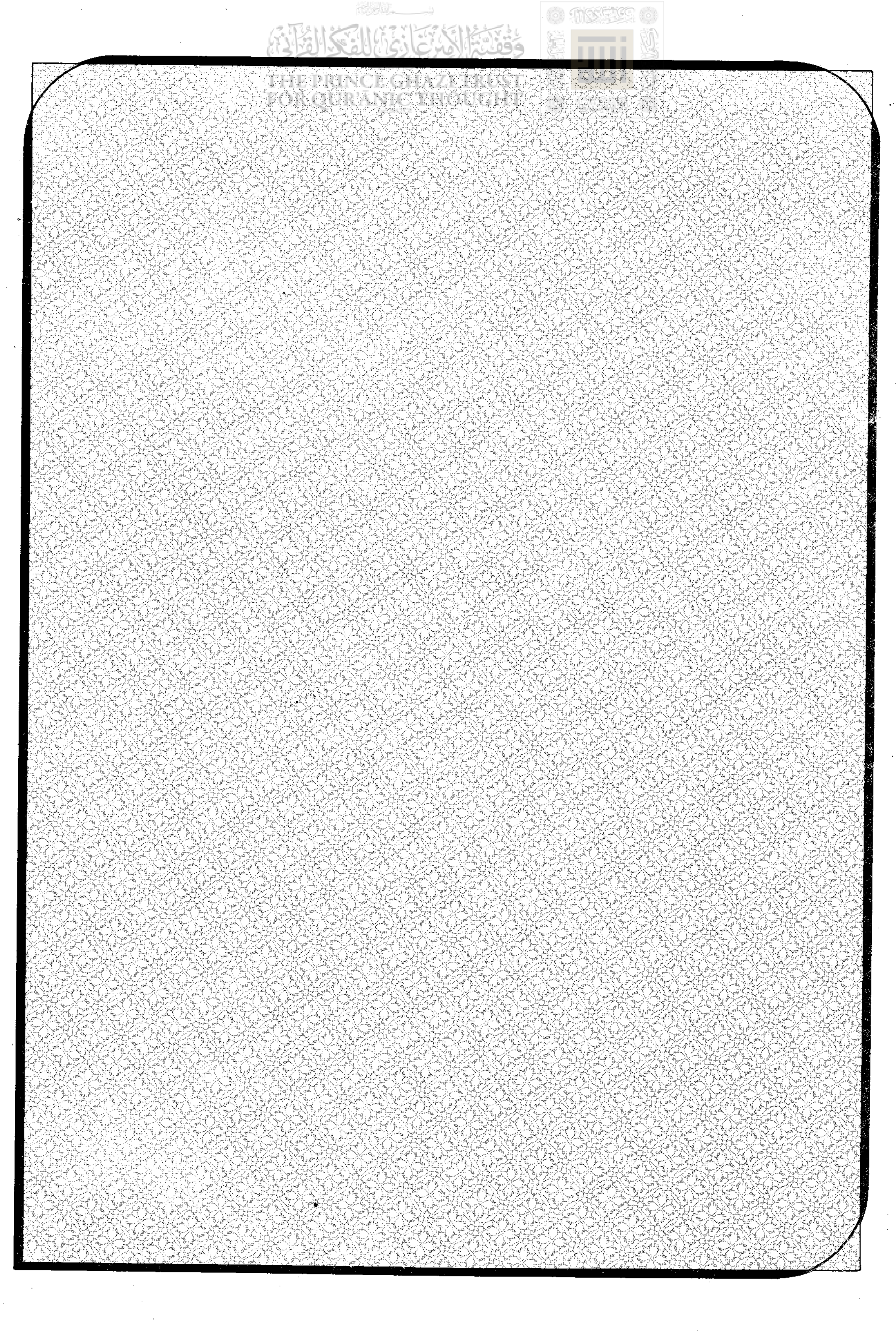
الحلبي المدني

المتوفى سنة ١٠٥٢ هـ

تحقيق وتقديم

الدكتور محمد العيد الخطراوي

مكتبة دار التراث
للنشر والتوزيع



[مقدمة جامع الديوان]

نحمدك اللهم أن أطلعتَ في سماء البلاغة شموسا وبدورا ، وأبدعت من مكنونات خزائنك من حلَّيْتَ بهم الدهر أجيادا ونحورا ، وملّكتهم أزمّة العلوم ، فقادوا من المعاني كل شرود ، ومكنْتهم من ذروة الفهوم ، فأضحوا ولهم على مناهلها صدورٌ وورود ، فجاسوا خلال رياضها الدانية القطوف ، وماسوا بين غياضها وعليهم من الأردية شفوف ، يتفنون في مناهجها ، ويتنقلون في مباهجها ، يأوون من مبانيها إلى كل قصر مشيد ، ويرِدون من [1] معانيها ما يقول له السمع : هل من مزيد ؟

ونشكرك جلّت آلاؤك ، وتباركت أسماؤك ، أن جعلت الأدب إنسان عينها ، وسلسال مَعِينها ، به تملك البلاغة بنواصيها ، وتُستنزل الفصاحة من صياصيها . ألا وإن القريض ، ثمرة ذلك الروض الأريض . به تُستعقَل المعاني ، وتُستنزَل عُقُل الأماني ، أيّدتَ به نبيك صلى الله عليه وسلم في مواطن تنبو فيها العوالي ، ويقف دونها المجلّي والمصلّي والتالي [2] . وناهيك به رفعة في مراتب الكلام : إخبارُه عليه الصلاة والسلام ، بأنه

(١) (ويتنقلون ... ويردون من) : هذه الجمل ساقطة من (ب) .

(٢) المجلّي : الفرس السابق لغيره في الحلبة . والمصلي : الفرس الثاني في السباقَ والتالي : الرابع في السباق .

عليهم أشد من وقع السهام (١) ، وهو سبب لحلول النفس محل الراحة ، كما في استنشاده صلى الله عليه وسلم من عبد الله بن رواحة (٢) ، والناس متفاوتون في درجاته ، متفاضلون في حوزهم لأوْجاته .

وكان ممن أخذ فيه بالقدح المعلَّى ، ونال في ذلك الحظ الأعلى ، العلامة الفريد ، والفهامة المجيد ، حامل راية الأدب ، الذي تنْسِلِ إليه طلابه من كل حدب ، الفائق إن نظم أو نثر أو خَطب ، المستنزل للزواهر إذا كتب (٣) ، مولانا المرحوم المُنلاّ (٤) فتح الله الحلبيّ ثم المدني ، الشهير بابن النحاس .

قدم المدينة الشريفة ، حائزا من المجد تليده وطريفه ، وأقام بها سنين ناشراً لمطاوي العلوم ، سبّاقاً لمغازي المنطوق والمفهوم ، إلى أن أدركه الحمام ، فتوفي بالمدينة النبوية على مشرِّفها أفضل الصلاة والسلام ، ليلة الخميس ، ثاني عشر من صفر الخير ، من شهور سنة اثنتين وخمسين وألف ، تغمده الله برحمته ، وأسكنه بحبوح جنته ، آمين .

فله الشعر الفائق ، ذو المعنى الرائق ، وهو موجود بأيدي الناس يتداولونه ، ويتدارسونه ، ويتانقلونه ويروونه ، ولرغبتهم فيه يعدّون كل شعر دونه . ولكنه متفرق بأيديهم لا صوان له يجمعه ، ولا ضابط يحفظه من التحريف عند من يسمعه . وكان الطالب له مشتّت البال ، لتطلّبه من الدفاتر وأفواه الرجال ، وترى كثيرا من نسخ قصائده أخرجت من

---

(١) انظر كتابنا : المدينة في صدر الإسلام – الحياة الأدبية – ص ٢٥ .

(٢) المرجع السابق ص ٢٦ .

(٣) في الأصول (إذا كتب من كتب) .

(٤) المُنلاّ ، والمُلاّ : هو الشيخ في الكرديّة ، وهو نظير المولى في التركية . والإيرانيون يسمونه : الملاّ .

مسوّداته ، وفيها اختلاف كثير ، وتحريف بين الرواة شهير ، بحيث يؤدي إلى اختلاف المعنى ، واختلال المبنى ، وقد كنت حررت الكثير من ذلك ، واعتنيت بالجلّ مما هنالك ، مع جماعة من الفضلاء ، وطائفة من النبلاء ، واجتمع عندي من ذلك جملة كثيرة ، فالتمس مني من تجب المبادرة لمطلوبه ، والمسارعة لإنالة مرغوبه ، أن أجمع الموجود من كلامه ، وأن أضم فرائد ذلك العقد إلى نظامه ، وكلما حصل لنا بعد هذا الموجود أدرجته في ذلك السلك ، وقضيت لقائله بثبوت الملك . فبادرت إلى ذلك ، وجمعت ما هنالك .

- ١ -

قال رحمه الله - كما وُجد بخطه - في ثالث ذي الحجة ، مادحا سيد الكونين ، ورسول الله إلى الثقلين ، ﷺ ، في سنة ١٠٤٠ هـ .

تذكّر السفح فانهلّت سوافحه ... وليس يخفاك ما تُخفي جوانحه
صدْعُ الهوى يا عذولي غير ملتئم ... يَذْريه بالبان من أشجاهُ صادحُه
هي المنازل أشجاناً خلُقن لنا ... فلا يزيد على المشجون ناصحه
سقى (العقيق) من الساري الملثُّ بما ... شاء العقيق ، وشاءته صحاصحه[١]
حتى تخبَّ بأبناء الرجاء به ... في سندس لا ترى أيْناً طلائحه[٢]
تؤم من (طيبةَ) الفيحاء طيبَ ثرى ... لا تشتكي السُّقم أجفان تصافحه
فثمَّ قبرٌ من الأملاك في زجَلٍ ... وثَمّ عَرَفٌ من الفردوس فائحه
وثَمّ أشرف مبعوثٍ ، وأكرم من ... تكفّلت بغنى الراجي منائحه
قالوا : حمدتَ السرى ، فامدحه . قلت لهم : ... تحصى النجومُ ولا تحصى مدائحه
وما أقول إذا ما جئت أمدح من ... جبريلُ خادمُه ، والذكرُ مادحُه
مدحُ الكرام ِ رِشاءٌ لاستماحتهمْ[٣] ... وليس يَخْرَجُ بحْرٌ عمَّ طافحه[٤]
ثق بالنبيِّ ، وقف قدّام حضرته ... واطرق فمهما تَرُمْه فهو مانحه
يا أكرم الخلق ، فاعذر شاعراً وقفت ... عن دَرْك أوصافك العليا قرائحه[٥]

---

(١) الملثّ : المطر يدوم أياما . والصحاصح : جمع صحصح ، وهي الأرض المستوية الواسعة . والعقيق : أكبر أودية المدينة .

(٢) طلائحه : نُوقه المهزولة . والأين : التعب .

(٣) الرشاء : الحبل ، والمقصود هنا الوسيلة . والاستماحة : طلب العطاء .

(٤) في المطبوع : (وليس يغوز) .

(٥) في (جـ) : أوصافك الحسنى .

صفر - اليدين ، غريبَ الدار ، منكسراً أتاك ، والذنب أحنى الظهرَ فادحه

يهوى الحياة ، ولم يُسلف له عملاً يسرّ يـوْمَ يسرُّ المرءَ صالحه

يا ويله يوم يأتي للحساب غداً إن لم يكن بك مولاه يسامحه (١)

عسى بقرْبِك أن تُنفى رعونتُه وتستحيلَ إلى الحسنى قبائحه

وما أحثّك في حق الجوارِ له وكيف أُوضِح معنى منك واضحه(٢)

وإنما طالبُ الحاجات ذو قلقٍ كَلٌّ على من به تُقضَى مصالحه

فاستدْنِ من هو بالأعتاب منطرح غير الأسى ماله خلٌّ يطارحه

(فالفتح) بالباب لا تخفى علاقتُه لاسيما بابُ جودٍ أنت فاتحه

وكيف لا يأمن الإملاق(٣) في حرمٍ لا يُحرَمُ الجودَ غاديه ورائحه

عليك أزكى صلاةٍ كلما خُتمت بالمسك عادت بتسليم نوافحه (٤)

ما امتدّ للصبح باعُ الشرق فاعتنقا أو حنَّ نحو لقاء الإلف نازحه

والآلِ والصحبِ، ماروضُ الدجي ابتسمت ثغـورُه ، فاستعـارتها مصابحه

★ ★ ★

---

(١) بك : يقصد : بشفاعته ﷺ .

(٢) في (جـ) : فيك واضحه .

(٣) في (ب) والمطبوع : (الإغلاق) .

(٤) في (جـ) : فوائحه .

- ٢ -

وقال يناجي الله ويتوسل ، لحادثة نزلت به ليلة عيد الفطر :

يا من لمن يدعوه سامع ... وإليه منه الأمرُ راجع
يا ربّ ناصيتي ترا ... بُك ، ما لبثتُ عليه واقع
يا ربِّ عبدك أوترا ... بك في وسيع العفو ضائع
ماذ يضرّك وهو عا ... صٍ ، أو يفيدك وهو طائع ![1]
فارحم ترابك فهو بيـ ... ـن يديك يا ذا العزِّ ضارع
أنا عبدُك الشيخ المسيـ ... ـيءُ لبابِ فضلك جئت قارع[2]
ما في يديّ ولا لديَّ ... من الوسائل والذرائع
إلا مجاورةُ الكرام ... غيوث سلع والأجارع[3]
خير الخلائق نائلا ... وتقًى ، وأكرمهم طبائع
خير النبيين ، الذي ... نسخت شريعتُه الشرائع
الصادق المبعوث بالآ ... يات والكلم الجوامع
من لم يزل بحسام دعـ ... ـوته لعرق الشرك قاطع
[يا رب بالبيض الوجو ... ه ، نجوم حضرتك الطوالع
يا مطلع النور الذي ... ضاءت بطلعته المطالع
الرحمة العظمى إذا انـ ... ـذهلت برضَّعها المراضع
وبصاحبيه مضاجعَيْه ... كلاهما ، حيِّى المضاجع

---

(١) يحمل هذا الاستفهام على النفي .

(٢) في (ب ، جـ) : لباب عفوك .

(٣) سلع : أحد جبال المدينة التاريخية ، وقد أحاطت به المباني الآن من جميع الجهات .
والأجارع : جمع أجرع ، وهو الكثيب الذي يكون أحد جانبيه رملا ، والآخر حجارة .

فهـمُ الثلاثـة ما لنْجـوَا   هُمْ سوى الرضوان رابع] [1]

وبنـور وجـهك أستجيـ   ـرُ ، فإنـه للـخير جامـع

انظـر إلـيّ بحسن خـا   تمةٍ لأفعـالٍ فظائـع

سوّدْن وجـه صحيفتـي   شيخاً ، ومكتهلاً ، ويافـع

حتى لقـد عميتْ علـيَّ   مسالكـي والصبـحُ طالـع

وسّعتُ خرقـاً مالـه   إلاّك يـاذا العفـو راقـع

ويـلاهُ ..! واخـجلي إذا   فكّرتُ فيما كنت صانـع !

لا فعلـيَ الماضي يسرّ   ولا لحالي مـن مضارع

فارحم تعثّـر دمـع عصـ   ـياني إذا جـرت المدامـع

وامسح بعفـوك ثقـل أو   زاري ، وخذ بيدي ، وسارع

[بحياة صفـوتك الـذي   لك ساجد في القبر راكـع

أفديـه قبراً لم يـزل   نـور النبوة منـه ساطـع

يـا رب بـابك بابـه   ورجاي فيك وفيه طامـع

طـورًا أنـادي ربِّ ربِّ   وتـارة يـا خير شافـع

انظـر لواقعتـي وكـن   سندي ، فإني جئت فازع

يـا منبـع الجود الـذي   مـن راحتيـه الماء نابـع

هـذي ليـالي العيـد يصـ   ـطنع الكـرام بها الصنائـع

الـذنب يغفـر والجنـا   ح يراش ، والإحسان واسع

أنـا في حماك وأنت بـا   ب الله ليس عليه دافـع] [2]

---

(1) ما بين المعقوفتين يعتبر مخالفاً للتوسل المشروع ، أبقيناه للأمانة العلمية ، ولنتعرف أي خطأ كان يقع فيه أهل تلك العصور ، سواء في ذلك العامة والخاصة .

(2) انظر تعليق رقم : 1 .

وذيّلها الخطيب أحمد البرّي المدني بقوله :

صلّـى علـيك وسلّـم اللــ ـــهُ الـذي شرع الشرائــع
والآلِ والصحبِ الأُلَــــى جافُوا الجُنُوب عن المضاجع [1]
مـا أشرقتْ شمس ، ومـا قمرٌ بدا في الأفق طالــع

★ ★ ★

(١) جافُوا : الصواب : (جافَوْا). وهذه الأبيات ساقطة من (جـ) .

— ٣ —

وقال يمدح الأستاذ أحمد أفندي البكري ، (بن الأستاذ زين العابدين)[١]

عطف الغصنُ الرطيبُ[٢] وتلافانا الحبيبُ
أضمْر الدهرُ لنا الصلْـ ـحَ[٣] ، فلم يبق غضوب
زارَ والعَرفُ له من نفَس الصبح هبوب
والدجى بُردٌ على عطفيـ ـه بالنجم قشيب
من بدور الأرض في غصـ ـنٍ يثنّيه كثيب[٤]
من ظباء الإنس إن شئـ ـت ، وإن شئت ربيب[٥]
يُظهر البثَّ وأوْلى منه بالبثِّ الكئيب
كل لفظ منه للسَّمْـ ـع فصيحٌ وأديب
كل عضوٍ منه في الحُسْـ ـنِ عن الوجه ينوب
أي عضو تسرح الألـ ـحاظ[٦] فيه وتؤوب
فاتّقِ الله ، وغضَّ الطـ ـرفَ عنه لا يذوب
أنا والقلبُ إذا لا حَ سليب ولَسيب[٧]

(١) ما بين القوسين من (ب) .
(٢) في (جـ) : الغصنَ الرقيبُ .
(٣) في المطبوع : الدهر بنا ، وفي (جـ) : أضمر الصلحَ لنا الحظُ .
(٤) في (ج) ، والمطبوع : يُمشّيه كثيب .
(٥) ربيب : من معانيها الملِك .
(٦) في (جـ) : الألفاظ .
(٧) السليب : المستلب . واللسيب : الملدوغ .

بـأبي جنــة وصلٍ (١) منـه مـا فيها لُغــوب

بـات يدعوني بها طَوْ رًا ، وطـوراً يستجـيب

والمنى نُقْلٌ (٢) ، ومن نُدْ مـا نِنا كـأس وكـوب

أيها الــعشاق محزو نُ الهوى مني طروب

كلَّ وقتٍ (٣) ، ليس تنشقُّ قلــوب وجيــوب

إنّمــا يمرح لي في حَلْبـة الـعشق لعـوب

لي إذا بَــدَّ سرورٌ (٤) وإذا نَــدَّ نحيب

والذي يهجر في الحبِّ : لِلأحِيــــه نسيب (٥)

ما على من سرّه الوصـ ـلُ إذا غِيظ الرقـيب ؟

رنّــةُ القـوس لرامــيـها ، وللغير النُّـدوب (٦)

أنـا والحاصل طــرزي في الهوى مثلي غــريب

حسراتي هــي دمعــي ولها قلـبـي قلــيب

ليس لي مــالٌ ولكــن ذهبٌ قـولي ، صبيب

من بني جنسي ، ولكنّي مـع الغـزلان ذيب (٧)

كل يــومٍ لي صلاحٌ بخلاعـــاتٍ مَشُوب

ومتــى أمكـنتِ الفُـرصةُ أجنـي وأتــوب (٨)

في الهوى صحّ اجتهادي فأنــا المخطــي المصيب

---

(١) في (أ) جنة حسن .

(٢) نقل : ما يتفكه به من جوز ولوز ، ونحوهما ، وفي المطبوع : نفل ، وهو خطأ .

(٣) في المطبوع : أي وقت .

(٤) بدّ : بعُد .

(٥) في (جـ) لواجبه لبيب ، وهو خطأ .

(٦) هذا البيت والذي قبله ساقطان من (جـ) .

(٧) في (ب) : مع بني جنسي .

(٨) في (ب) : وإذا أمكنت .

هذه حالي ، وأحوال بني العشق ضروب
ورجائي في بني الصدِّيق أرجو لا يخيب
يا بني الصديق لي في حبِّكم شأن عجيب
كل يوم منه في لحمي ، وفي عظمي ، دبيب
[حبكم آل أبي بكر به تُمْحَى الذنوب
حبّكم دينٌ ومن يُبْغضكمْ طاغٍ مُريب
غضبُ الله عليه فهو بالحق كذوب] (١)
لكُمُ الرفعةُ والسطوةُ والحالُ المهيب
ذكركُمْ عند ملوك الأرض تعويذٌ وطيب
كل عصرٍ حضرة (القدْس) لها منكمْ نجيب
(أحمد البكريّ) في منبرها اليوم خطيب
(ابن زين العابدين) ، السيّدُ ، البرُّ ، الوهوبُ
ابنُ من يصدع بالحق ويعفو ، ويثيب
[ابن من كان به الغوثُ مع الغيث يصُوب
شاهد الحضرة واختصّ وناجته الغيوب] (١)
واستمرَّ الفيض للأستاذ ، والفتحُ القريب
بلبُلُ الحق ، لسان الغيث ، هطال ، سكوب
شفعَ الغيثَ بكفٍّ مالَها الدهرَ نضوب
قامعُ الكرْب وقَدْ نالتَ من القَلب الكروب
ضاحكُ الوجه وهل في طلعةِ القطب قطوب ؟
بأبي من هو للحق وللخلق حبيب

---

(١) مبالغة لا دليل عليها ، إلا إذا قصد الثواب على الحب في الله .

حُبُّـــه الشمس لها ... فـيَّ شروق وغـروب[1]
أيّ قلبٍ حلّ مني ؟ ... كل أعضائيَ قلـــوب
أيها الأستـاذ والأحـــ ... ـسابُ يحميها الحسيب[2]
ضاق صدري ، ومُعيني ... مـن أخـلاّئي معـيب[3]
ومـن الشيب حـرابُ ... ومـن الحظّ حـروب[4]
ومـــن الصبر مصاب ... ومـن الدهــر مصيب
واغترابُ كاغتراب الــ ... ـعِقْد جافاه التـريب[5]
أنا أفديك .. أنا ديــ ... ـك ، فهل منك مجيب ؟
بـرَّحتْ بي علّـةُ الحا ... لِ ، فهل منك طبيب ؟
عِلمَ الناس بأنَّ (الــ ... ـفتحَ) للباب منـيب
أنا (فتح الله) والفتـ ... ـحُ لـه مـنك نصيب[6]
كيف يغدو الفتحُ عن با ... بِك والفتــح قـريب ؟
فالتفِت لي ، واصطنعنـي ... فـلكَ البـاعُ الرحــيب
وتـنـزّه في ريــاضٍ ... أنـــا فيها عندلـــيب
لكَ من شعري (ابنُ هاني) ... وله منك (الخصيب)[7]

---

(١) في (أ ، ب) : جنة الشمس لها فيــ ... ـها شروق وغروب .
والتصحيح من المطبوع ، ومن (ج) .

(٢) في (أ) ، والمطبوع : النسيب .

(٣) هذا البيت ساقط من (ب) .

(٤) حراب : جمع حربة .

(٥) التريب ، يقصد التربية ، وهي موضع العقد ، جمعها : ترائب .

(٦) في (ب) أنت باب الجود ، والفتح ... الخ ، وهو مؤخر عن البيت الذي بعده .

(٧) ابن هانىء : هو أبو نواس الحسن بن هانىء .
والخصيب : هو صاحب خراج مصر ، وقد مدحه ابن هانىء بقصيدته التي مطلعها .
أجارة بيتينا أبوك غيور ... وميسور ما يُرجى لديك عسير

لكَ ما لم يُهْدِها من طيء قبلي (حبيب)[1]
حبذا من عَرَبِيّا ت الحلَى بكرٌ عروب
خاض منها الطرفُ في ما ءٍ به يُطفَى اللهيب
نسقت حسناً كما تُنْـ ـسق في الرمح الكعوب[2]
كل بيتٍ فيه للسمـ ـع خليل وخلوب
شعراء العصر من شعـ ـريَ بالسحر أُصيبوا
لا تقل طالت فشعري كلما طال يطيب
يا بني الصديق طاب الـ ـمدح فيكم والنسيب
كيف لا يُمتارُ نادِيـ ـكمْ وواديكمْ خصيب[3]
لا برحتمْ يا شموساً ما لكمْ قطُّ مغيب
فانعموا وابقَوا ولذّوا وانعموا ، واهنوا ، وطيبوا
كلما هبت صباً أو كلما هبّتْ جَنوب

★ ★ ★

(١) حبيب : هو أبو تمام .
(٢) هذا البيت في (ب) قبل سابقه .
(٣) يُمتار : يقصد لطلب الميرة .

وقال يمدح الأستاذ أبا الإسعاد الوفائي [1] ، قطب زمانه :

قد نفذت ذخائر الفؤاد فكم أربِّي الدمع للسهاد
فؤاد من يحب أو دموعه كلاهما مظنة النفاد [2]
إذا هَدَا الليل فطفل مقلتي يبيت بالنزيف غير هاد [3]
ومن بكى من النوى فقد رأى بعينه تقطُّعَ الأكباد
تمايلوا على الجمالِ مَيْلةً فعلّموها مِشية التهادي
وما سمعتُ بالغصون قبلهمْ مشتْ بها أكثبةُ البوادي
فإن تجد يدي على ترائبي فلا تقل لغيبة الفؤاد
وإنما رفعتها لأنها كانت لهم حمائل الأجياد
حمر الخدود إن تغب فشكلُها بناظريّ داخلَ السواد
لأجل ذا الدمعُ جرى بشكلها ونظمَ الياقوت في نجادي [4]
لا وأبي ، ومن يقل : لا وأبي فقد تلا أليّةَ الأمجاد [5]
ما عثر الغمضُ بذيلِ ناظري ولا انثنت لطيفهم وسادي
وهَبْ رشاش مقلتي حبائلا فأين منها زلقُ الرُّقّاد
آهٌ ، وآهٌ ، إن تكن ملء فمي فإنها مضمضة الصوادي

---

(١) في (جـ) ، والمطبوع : بن وفاء .

(٢) في (ب) ، والمطبوع : فؤاد من يحب مثل دمعه ودمعه مظنة النفاد .

(٣) في المطبوع : إن هدأ .

(٤) في المطبوع : بجادي . وفي (ب ، جـ) : جرى بشوقها .

والبجاد : الكساء المخطط . أما النجاد فهو علاقة السيف .

(٥) الأليّة : القسم .

قد نفض السمعُ كلامَ غيرهمْ   كما نفضت الصبر من مرادي[1]

أعاذلي وللهوى غواية   بعت بها كما ترى رشادي

ولعتَ بي وشعلتي كمينةٌ   كقادح يعبث في زناد[2]

دع الهوى يلعب بي ، وإن تشا   فعدّني من عذبات واد[3]

ما لحق اللومُ غبارَ عاشقٍ   حدا به من المشيب حاد

أما ترى الأقاح حول لمّتي   حكى ابتسام البرق في الدّآدي[4]

بشّرني طلوعه بأن لي   صبحَ وصالٍ في دجى بعادي[5]

ولم أقل : مناصلٌ تجردت   وأُركِزتْ بجانب الأغماد

كأن شيبَ الشعرات أَلْسُنٌ   على ضياع رونقي ينادي[6]

لبستُ ما أضاعني ، فإسوتي   كإسوة الجمرة في الرماد

وحاك في الرأس ضياه خيمةً   ذات طِنابَيْن إلى الأفواد[7]

كأنها عمامةٌ لبستُها   من يد مولاي أبي الإسعاد

مجرّد العزم ، فرنْدُه التُّقى   وغِدُه تبسّمُ الأجياد[8]

ما عرَكَ الجدبُ أديمَ أرضه   ومن يديه فوقها غواد[9]

---

(١) في (ب) : قد نفض الدمع . وفي (جـ) ، والمطبوع : حديث غيرهم .

(٢) في (ب) : كقادح يقدح . وكذا بها مش (جـ) .

(٣) عذبات : جمع عذبة – بفتح الذال – ، وهي طرف الشيء ، ولعله قصد هنا : أطراف الأغصان .

(٤) الدآدي : جمع دأداء ، وهي آخر أيام الشهر القمري ، يقال : ليلة دأداء ، أي شديدة الظلمة . وفي المطبوع ، وهامشي (أ ، جـ) : البوادي .

(٥) في هامش (ب) : في دجى بوادٍ .

(٦) في (أ ، جـ) ، والمطبوع : بيض الشعرات ، والتصحيح من (ب) .

(٧) الطناب : الطنب ، وهو حبل تشد به الخيمة ونحوها ، والأفواد : جمع فود ، وهو جانب الرأس . وفي (ب) والمطبوع (ضياء خيمة) .

(٨) في (جـ) ، والمطبوع : (تبسم الأجواد) .

(٩) في (ب) : ما عرك الحرب .

أما ولو ببابه احتمى الدجى ... لما اختشى خطبَ صباحٍ عاد
أو دخل النهارُ تحت ذيله ... مازحف الليلُ على العباد
لقيتُه ، ومن رأى بني الوَفا ... فقد رأى أهلّة الأعياد
الضاربين رفرفاً على العُلاَ ... الواضحين غررُ الرشاد
همُ البحار إن حبَوْا ، أو احتبَوْا ... قلت : الحيا دارت على أطواد
تميّزوا في الأولياء مثلما ... تميّز الملوكُ في الأجناد
همُ الذين فرّعوا خصائصَ الـ ... ـملوكِ من خصاصة الزهّاد
قد نقَد المجدُ لهم صفاتهمْ ... نقْد شياتِ الحسن للجياد
وقد رأيت فرقدَيْ بني الْوَفا ... كلاهما لمن يضل هاد
كلاهما منبع فضل وهدى ... يكرع منه حاضر وبادٍ
فيا مُفيضَ البركات ذِكْرُهُ ... إن نفدت راحلتي وزادي
أرسلني الحبّ إليك قاصداً ... وأرتجي كرامة القصّاد
وفي يدي من المديح تحفةٌ ... قليلةٌ لمثلها الأيادي
وباثنتين منك إن أجزتني ... غَنِيتُ عن جوائز الإنشاد
بنظرةٍ جالبةِ الودادِ ... ودعوةٍ قامعةِ الفساد
آهٌ ويارَبُّ عسى عنايةٌ ... وتُستقال عثرةُ الجواد
وتستقرّ مقلتي بمائها ... وأكتفي مع الورى جهادي
كم أزرع الشكر ، وما لزرْعه ... إذا أتى الإبّانُ من حصاد
وأتبع الهوى بكل غادرٍ ... ليس هواه في سوى عنادي
ولي حظوظ لا تفيد جملةً ... كما يخط الطفلُ بالمداد
تشعبتْ من الصبا ، وناصبت ... على السُّرَى مخارم البلاد
بين هوىً لخاتلٍ ، ومدْحةٍ ... لباخلٍ ، وفرقةٍ لغادٍ

فأنفثُ الرُّقَى على مُخبَّل   وأطلب الحراكَ من جماد [1]

نفرتُ من قصائدي لأنها   إلى الكثير سلَّمُ التعادي

لا أسفاً على ذوات أسطر   فإنها مراود الأحقاد

أَلِيَّة لولا هوى (بني الْوَفَا)   منزَّل منزلةَ اعتقادي

وأن تكون منهمُ التفاتةٌ   تُثبت فيَّ شهرة السداد

لما نظمتُ قولةً لِقولةٍ   من القوافِي الصعبةِ القياد

لكنني ادّخرتها وسيلةً   ونعمَ ما ادخرت من عتادي



(١) ورد هذا البيت في (ب) قبل الأبيات الثلاثة السابقة .

— ٥ —

وقال يمدح السيد أحمد البدوي [١] العارف بالله :

[هذه القصيدة وأمثالها من شعر كثير من الشعراء المعاصرين لابن النحاس ، لا تخلو – مع الأسف – من بعض العبارات الصوفية التي لا ترى حرجا في التوسل غير المشروع ، والتقرب بالمخلوق للخالق ، علماً بأن إخلاص الإيمان لله يستوجب أن لا يلوذ العبد إلا بالله ، وأن لا يستعين بالمخلوق إلا فيما هو قادر عليه من أمور الدنيا] المحقق .

يا أحمدُ البدويُّ ، دعوة مشفق ... قلق الركاب ، شجٍ ، قصيٍّ، صادر

عبث الهوى بقناته فتأودت ... وعدًا ، وزاد ، ففتَّ في الأعضاد

فقد الحمى ، فقدَ الصديق ، فجهدُه ... في الناس جهدُ الزند بالأصفاد

والدهر نازعني رداء شبيبتي ... وانتاش مني طارفي وتلادي [١]

وألفتُ كتْم خصاصتي فكأنها ... بين الضلوع ، تميمةٌ لفؤادي

وإلى جوار حماك أقْصَدني السّرى ... فنزلتُ ساحةَ كعبة القصاد

وعلمت إذ وافيتُ بابك أنني ... أنا والغنَى كنا على ميعاد

وعلمت أن حمى سواك من الورى ... كحمى رقادي إذ يُغير سهادي

---

(١) أحمد البدوي : هو أحمد بن علي بن إبراهيم ، الحسيني أبو العباس ، البدوي . متصوف له أتباع ، ولد بفاس سنة ٥٩٦ وطاف البلاد ، وأقام بمكة والمدينة فترة ، ودخل مصر في أيام الملك الظاهر بيبرس ، فاهتم به وصار من أتباعه . ومات بطنطا سنة ٦٧٥ ، ولا يزال أتباعه في مصر يقيمون له حفلة سنوية بمناسبة مولده تصحبها كثير من المظاهر التي ينبغي أن يتجنبها المسلم ، هدانا الله وإياهم إلى الطريق المستقيم . (شذرات الذهب ٥ : ٣٤٥ ، والأعلام ١ : ١٧٥) .

(١) وانتاش : أخذ .

أنا في ذمامك كيف كنت(١)، فلا تكل ... حبل المسيء لغارب الإبعاد

هل كان يكرع من فراقك وارد ... لو أن شرطاً عصمةُ الورّاد

هيهاتَ ! يأبى الفتحَ بابٌ منتدىً الـ ... ـبدويِّ فيه لحاضرٍ ولباد

فامدد إليه يد المغيث ، وناجه ... نجوى الكرام بألْسن الإمداد

وامسح بنظرتك الرحيمة زيغه ... حتى يعود مثقَّف المنآد(٢)

ويعود من وجه النجاح بغُرّة ... وُسمت بصبح تبسُّم الأجواد

وينيل كُورَ العيس غير مقذّف ... يرمي بها التأويب بالآساد(٣)

وافرج أبا فرّاج عقدة أُنسه ... فإليك آل قيادُه وقيادي

ركِبَا إليك من الرجاء هواديًا(٤) ... وإلى حماك سناك كان الهادي

اثنان ساقهما هواك ، فيمّما ... بحر البحور ندًى ، وبدر النادي

زجلُ السحاب ، فكم به من رحمةٍ ... وشهابِ قهرٍ في العدا وقّاد !

سيفٌ تحزّ طِلَى العُتاة بُروقُه ... وتُهزّ منه فرائص الآساد(٥)

خضلٌ بأنداء النبوّة ، روضُه ... أرِجُ التنسُّمِ ، طيب الميلاد

فاسلكهما سبل الكرامة والرضى ... بلِّغهما أسباب كل مراد

* * *

يا أحمدَ البدويُّ جملةُ أمرنا ... أنّا تجارُ بضائع الأمجاد

وتقَسمتْنا في البلاد مطالع ... خَلُقت لشقوتنا بليل كساد(٦)

---

(١) في (ب) : حيث كنت .

(٢) في (ب) : وانظر بنظرتك . والمنآد : المعوج

(٣) في (ب) : ويسيل كور العيس عفو .. والكور : الرحْل .

(٤) في (جـ) : من الرحال هواديا . والهوادي : جمع هادية ، وهي الناقة تكون في المقدمة .

(٥) في (ب) : طلى العداة . والطلى : الأعناق .

(٦) في (ب ، جـ) : خُنِقت لشقوتنا .

فاقدح زناد رواجنا ، والْمَعْ لنا بيد لها فوق السحاب أيـاد
ناداك من نادى الكرام ولم يجد إلا فتى الفتيان حين ينادي (١)

★ ★ ★

(١) فتى الفتيان : من ألقاب أحمد البدوي .

وقال يمدح الأمير منجك[١] الشامي ، رحمه الله :

نثر الربيع ذخائر النُّـ ـوّار من جيب الغوادي
وكسا الرُّبَى حُلَلاً فوا ضلُها تجرّ على الوهاد
وكأن أنفاس الجنا ن تنفّست عنها البوادي
والزيزفون يفتّ غا ليةً مضمّخةً بِجادِي[٢]
يُلقي بها للروض في ورَقٍ كأجنحة الجراد
هاجَ النفوس ولم يفتْـ ـهُ غيرُ تهييج الجماد
والورد مخضوب البنا ن ، مضرّجُ الوجناتِ ، ناد
نُصبتْ له سرُرُ الزبرْ جدِ ، والخيامُ ، بكلّ واد
حرستْه شوكةُ حُسنه من أن تُمدّ له الأيادي
والعندليب أمامه بفصيح نغمته ينادي
من رام يعبث بالخدو دِ ، فدونها خرْط القتاد
وحذارِ مخضوب البنا ن إذا تمكّن من فؤاد
فامسح بأذيال الصّبا عن مقلتيك صدَى الرُّقاد
هل هذه بكَرُ الرُّبَى أم هذه غرزُ الرشاد ؟[٣]
وانهض لكسب جديد عمـ ـرٍ من بُكورِك مستفاد
واقنع بظلّك أو بظلّ الدوح عن ظلّ العِباد
ما راج من طلب المعيـ ـشة بين إخوان الكساد

(١) في (ب) : منجك باشا .
(٢) الغالية : الطيب . الجادي : الزعفران .
(٣) أم لا تأتي بعد الهمزة ، بل المكان لأو .

لا يعجبنّك لينُ من ... أبصرتَه سهلَ القياد

وأبيكَ ما لانَتْ لغيْـ ... ـرِ الطعنِ ألسنةُ الصعّاد [1]

لا تشتكِ وجعَ الفؤا ... دِ، مضى زمانُ الاتحاد [2]

نفسي الفداءُ (لمُنجكٍ) ... المستعـزِّ بالانفـراد

لا يُجتنَى إلا بمُجْـ ... ـلِسِ فضْلِه ثمرُ الوداد

أدبٌ كريّـان الحدا ... ئقِ، في سجايا كالغوادي

متكثّر، بغنَى الشما ... ئلِ لا بعاجلة النفاد

شِيَمُ الجواد هي الغنَى ... لا ماحوته يـدُ الجواد

ومتى الجواد يبيت من ... جور الزمان على وساد؟ [3]

كالعين تُفرِح غيرها ... وتظـلّ لابسة الحداد [4]

والدهر مغلولُ اليديْـ ... ـنِ، وذاك مبسوط الأيادي [5]

من ها هنا جُبِل الزما ... نُ مع الكرام على العناد

مولاي قد جاءتك من ... خفر الملاحة في تهاد

نفحتْك بالنوّار من ... روض الكلام المستجاد

قفّيتُها آثار خُلْـ ... ـقِك في الطلاقة والسداد

هذي العلاقة بيننا ... ظهرت تبثّ جوى البعاد

تلهيك عن ذكرى (حبيـ ... ـبٍ) في هوى (ابن أبي دؤاد) [6]

★ ★ ★

(١) وأبيك: هذا تعبير شاع في العربية لا يقصد به القسم، وإنما هو لمجرد التأكيد، والصعاد: جمع صعدة، وهي قناة الرمح المستوية.

(٢) في (أ، جـ)، والمطبوع: لا تشتهي.

(٣) في (ب): وإذا الجواد. وهو خطأ.

(٤) في (ب): لابسة السواد.

(٥) في المطبوع (مقبوض اليدين)، وفي (أ، ج): مشغول، والتصحيح من (ب).

(٦) حبيب: هو أبو تمام. وابن أبي دؤاد: هو أحمد بن أبي دؤاد بن جرير بن مالك الإيادي. من رءوس المعتزلة، تولى القضاء للمأمون والمعتصم، والواثق، وولد سنة ١٦٠ ومات سنة ٢٤٠هـ (لسان الميزان ١: ١٧١).

— ٧ —

وقال يمدح الأمير محمد بن فروخ، أمير الحاج الشامي :

بات ساجي الطرفِ، والشوقُ يلحُّ — والدجى إن يمضِ جُنح يأت جُنح
وكأن الشرق بابٌ للدجى — ماله خوفَ هجوم الصبحِ فتح
يقدح النجمُ لعيني شرراً — ولزند الشوق في الأحشاء قدح[1]
لا تسل عن حال أرباب الهوى — يا ابْن ودِّي، ما لذاك الحال شرح[2]
لستُ أشكو حرب جفني والكرى — لم يكن بيني وبين النوم صلح[3]
إنما حَلْيُ المحبين البُكا — أيّ فضلٍ لسحابٍ لا يسحّ[4]
يا ندامايَ وأيامَ الصِّبا — هل لها رجْعٌ ؟ وهل للعمر فسْحُ ؟
صبّحتْكِ المزنُ يا دار اللوى — كان لي فيها خلاعات وشطح[5]
حيث لي شغلٌ بأجفان الظِّبا — ولقلبي مرهمٌ منها وجَرْح
كل عيشٍ ينقضي ما لم يكن — معْ مليح، ما لذاك العيش مِلْح
وبذاتِ الطَّلح لي من عالجٍ — وقفةٌ أذكرها ما اخضرَّ طلح[6]
يومَ منّا الركبُ بالرَّكب الْتقى — وقضى حاجتَه الشوقُ الملحّ[7]
لا أذمُّ العِيَس، للعيس يد — في تلاقينا، وللأسفار نُجْح

---

(١) في (ب) : في الأعضاء .

(٢) في (ب) : ما لهذا القول .

(٣) في (ب) : لست أشكو حال .

(٤) في المطبوع : إنما حال .

(٥) اللوى : موضع بالجزيرة العربية .

وفي (أ، جـ) : مني منزلا . وفي (ب) : من منزلة .

(٦) ذات الطلح ، وعالج : موضعان أيضا . والطلح : شجر كبير ذو شوك ، وفي (ب) : من عامر . وفي المطبوع : ما اخضل طلح .

(٧) في المطبوع : حيث منا .

قـرّبتْ منا فمـاً نحو فـمٍ ... واعتنقنا فالْتقى كشْح وكشحُ
وتـزوّدتُ شذًا من مـرشفٍ ... بفمي منه إلى ذا اليوم نفح
وتعاهدنـا على كـأس اللّمَـى ... أنني مادمتُ حيًّا لستُ أصحو
يا تُرى هل عند من قد ظعنوا ... أن عيشي بعدهم كدٌّ وكدح
كنتُ في قرْح النَّوى فانتبذتْ ... من مشيبي كربةٌ أخرى وقرْح [1]
كم أداوي القلب ! قلّت حيلتي ... كلما داويت جُرحا سال جُرح [2]
ولكَمْ أدعـو ومـالي سامـع ! ... فكـأني عندمـا أعـدو أُبَـحّ
أشتكي برْحَ الجوى إذ لم أر ... (كابن فرّوخ) ، فتًى لم يُشْكَ بَرْح
كل من أسهره مـن رُعْبِـه ... نومُه اليوم بظل السيف سَدْح [3]
ابنُ مـن كان لعـابِ سيفُـه ... ماله إلا بأعلى القِرن مسح [4]
ما مضى حتى لقُوا من نسله ... لهباً قبل مساس الجلد يلحو [5]
يولـد الطفـلُ لهم أو ينـتشي ... وعليه من نقيع الرعب نضح [6]
فإذا قيل : (ابن فروخ) أتى ... سقطوا ، لو أنّ ذاك القول مَزْح
بطلٌ لو شاء تمزيق الدجـى ... لأتاه من عمود الصبح رمح
كم سطـورٍ بالقنـا يكـتبها ... وسطورٍ بلسان السيف يمحو [7]

---

(١) في (ب) : كنت في قرح الهوى فانتبذت ... من مشيبي عبرةٌ أخرى وقرح
وفي (جـ) : فانتدبت .
(٢) في (ب ، جـ) : كم أداري .
(٣) السدح : الصرع ، والطرح .
(٤) في المطبوع : أين من كان .
والصحيح ما أثبتناه ، فهو يشير إلى والد الممدوح .
(٥) يلحو : من قولهم : لحا العصا ، إذا قشرها .
(٦) هذا البيت ساقط من (ب) والنضح : الرش .
(٧) في (ب) : وطروس بلسان السيف يمحو .

بـأبي أفـدي أميري إنـه ... صادق الطعن، جريء القلب، سمح[1]
كل ما قد قيل من ترجيحه ... في الوغى ، أو في النَّدى ، فهو الأصح
يا عروس الخيلِ ، والسيفُ له ... في قراع الخيل والأبطالِ صدح
يا رحَى الهيجاءِ ، والخيلُ لها ... في حياض الموت بالفرسان ضَبْح[2]
حُطّ سيفَ الجود في حظّي الذي ... هـو كالدهـر يمنِّـي ويشح
طالـع الإدبـار مـالي ولـه ... إن يكن من كوكب الإقبال لمح
آه من جور النوى لا سقيت ... تعطبُ الحُرَّ، وما للحرِّ جُنح
حسنُّوا القول ، وقالوا : غربة ... إنما الغربـة للأحـرار ذَبْـح
فانتقـدني ، واتخذني بلبـلا ... صدْحُه بين يدَيْ علياك مدح[3]
بقوافٍ كسقيط الطـلّ ، أو ... أنها من وجنات الغيد رشح
خُلقت طوع يدي عما ترى ... لا كمن يتبعها وهـي تشح
كل بيتٍ في العُـلا كلّلـه ... من نفيس الدرّ والياقوت صرح
ناطقٌ عنّيَ بالفضل الـذي ... إن يبارَ فله في الفوز قِدْح

★ ★ ★

---

(١) في (ب) ، والمطبوع : صادق القول .

(٢) في (ب) : يارحـاة الحرب ، والخيلُ لـها ... فـي حياض الموت بالفرسان مبـح .
والضبح : صوت أنفاس الخيل المحترة ، وهو دون الصهيل والحمحمة .

(٣) فانتقدني : تخيرني .

وقال يمدح الخواجا عبد العظيم الحمصي شاه بندر مصر :

طرقتْ طروق الطيفِ وهْناً ميّالةُ الأعطاف حسنا[١]
مصقولة الخدين ، مثـ ـلُ السيف ألحاظا ومَتْنا
أرْخَتْ وشاحًا فوق غصـ ـنٍ ، فوق دعصٍ قد تثنى[٢]
ومشت فشيّعها عبيـ ـر الروض من هَنَّا وهَنَّا[٣]
في حلّةٍ من جنس ما يكسو الربيعُ الغصنَ ، دَكْنا[٤]
الدلّ ينبت من مسا حب ذيلها ، والحسن يُجنَى
تمشي فرادَى ، ثم تمْـ ـشي خلفها الأرداف مثنى
حوراء إن سمحت بكشـ ـف قناعها ملأتك حُسنا
وإذا اشتهتْ رجعتْ عليْـ ـك ، فعاد ذاك الحسنُ حُزْنا
لو خاطبتْ وثناً لحنَّ مع الجمود لها وأنّا
طارحتُها شكوى النوى ولثمتُها أعلى وأدنى
وعجبتُ من قُبَلي التي ولهتْ بها وَلَهَ المعنّى
تركت يداً وفماً وجيـ ـداً ، وانتحت ذيلا ورِدْنا[٥]
وأقمتُ أنصب نحوها طرْفاً ، ونحو الباب أُذْنا
أخشى يحسّ بنا النسيـ ـم ، فيخبر الروض الأغنّا[٦]

(١) في المطبوع : مياسة الأعطاف . والخواجا : كلمة فارسية معناها : السيد .
(٢) الدعص : كثيب الرمل .
(٣) هَنَّا : لغة في هُنا .
(٤) دَكْنا : أصلُه دكناء بالمد ، قصرها للضرورة ، والدُّكْنة : اللون الضارب إلى السواد .
(٥) الرُّدن : الكم .
(٦) في (أ ، ب ، جـ) : الحيّ الأغنّا . والتصحيح من المطبوع وهامش أ .

ويولّـد الـوسواسَ لي جرْسُ الحلـيِّ إذا أرنّـا
فتقـول : مسكين المتيّــ ـم بالنسيم يسيىء ظنـا
طب يا فتى نفسا فقد نـامت عيـون الحيِّ عنـا
واجلب لنا تحف الحديـ ـث ، ومن جميلك لا تَدعْنا [1]
فأقول : أنت من المهـا فتقول لي : إنِّي وأنّـى ؟
وإذا ذكــرتُ لها ثَنَـا (عبْدِ العظيم) تقول : زدنا
المتبِـعِ العَـذرَ العطـا لا المتبـعِ الإحسان مَنّـا
مَلِكُ التِّجارِ ز أبو الفخا ر ، إذا يلقّب ، أو يُكنّى
يدعونـه (عبـد العظيـ ـيم)، وجوده يدعوه (معنا)[2]
لـو كان للأيـام وعــ ـدٌ كان أدرك ما تمنّـى
مــا كان أولاه ولـــ ـكن دولةُ الأيام رَعْنا [3]
قبِّـل يديـه ولا تـقس بنـداهما سيـلاً ومُزْنـا
واستغـنِ بالبحـر الـذي أمواجـه يُسرَى ويُمنـى
يا من هـواه هو الحبيـ ـب لنا ، وحيث يكون كنّا
أنت الجواد فـلا تبـا رَى ، والوحيد فلا تثنّـى
ولقـد تتبـعتُ الرجـا ل ، ورُزتهمْ بالعين وزْنـا
وصحبتُهـمْ ، ومـدحتهمْ وخبرتهم سهـلا وحَزْنـا
فـرأيتُ مـا يُجتَـى بـه داء القَذى فيغضّ جفنـا
مسخُوا النـوال فصار بخـ ـلاً ، والودادَ فصار ضغنا

---

(١) في الجميع : تحف اللسان . والتصحيح من هامش أ . وفي المطبوع : ومن جميلك لا تدعنا .

(٢) معنًا : هو معن بن زائدة المشهور بالكرم .

(٣) رعنا : رعناء ، أي حمقاء .

(٤) في (جـ) : داء العِدَا .

وغبيّهم نفخوه بالتـ ـعظيم حتى صار دنّا [1]

ما فيه غير الريح إن قلّبته ظهْرا وبطنا

والناس فوضى حوله إن طنَّ طيشا قيل : غنّى

قل عنده : أنا شاعر وانظره كيف يموت جُبْنا

ومن البلية أن لي معهم مداراةً وسكنى

عقدت خُطاي يَدُ القضا لتعثُّري ، وقعدتُ رهنا [2]

في بلدة سبحان مَنْ أغنَى اللئام بها ، وأقنى [3]

بلدٌ إذا طلب الكريـ ـم يعيش فيها مات غَبْنا

بلدٌ أضعتُ بها الشبا بَ ، وبَعْده لم ألق خدنا

وكأنما نسجت برأ سي عنكبوتُ الشيب وَكْنا [4]

وكأن سندُسَ عارضي ندفَ المشيبُ عليه قطنا [5]

★ ★ ★

---

(١) دنّا : خابية ، وفي (جـ) : وغنيّهم .

(٢) في (ب) : وقعدت مضنى .

(٣) أقنى : أعطى .

(٤) الوكن : عش الطائر .

(٥) ندف : نفش .

وقال رحمه الله بعد خروجه من حلب لأمر اقتضى ذلك :

رأى اللومَ من كلِّ الجهات فراعه ... فلا تنكروا إعراضَه وامتناعـه
ولا تسألوني عن فؤادي فإنني ... علمت يقينا أنه قد أضاعه [1]
له الله ظبيًا ، كل شيء يروعه ... ويا ليتَ لي شيئا يزيل ارتياعه [2]
ويا ليته لو كان من أول الهوى ... أطاع عذولي ، واكتفينا نزاعه
فما راشنا بالسوء إلا لسانُه ... وماخرّب الدنيا سوى ما أشاعه [3]
أشاع الذي أغرى بنا ألسُنَ العدا ... وطيّر عن وجه التغالي قناعه
وأصبح من أهوى على فيه قفلُه ... يكتّم خوف الشامتين انفجاعه
وآلى على أن لا أقيم بأرضه ... وأحرمني يوم الفراق وداعه [4]
فُرحتُ وسيري خطوة والتفاتةٌ ... إلى فائت منه أرجّي ارتجاعه
ذرعتُ الفلا شرقاً وغربا لأجله ... وصيّرتُ أخفافَ المطيِّ ذراعه [5]
فلم يبق برٌّ ما طويتُ بساطه ... ولم يبق بحرٌ ما رفعتُ شراعه
كأني ضميرٌ كنت في خاطر النوى ... أحاط به واشي السُّرى فأذاعه [6]
أخلاّيَ من دار الهوى زارها الحيَا ... ومدَّ إليها صالحُ الغيث باعه
بعيشكمُ عوجوا على من أضاعني ... وحيُّوه عني ، ثم حيّوا رباعه

(١) في (ب ، جـ) : ولا تسألوه .
(٢) في هامش (أ) : هو الظبي أدنى ما يكون نفاره ... وأصعب شيء ما يزيل ارتياعه (نسخة) .
(٣) راشنا : أصابنا .
(٤) وأحرمني : الصواب وحرمني .
(٥) في (جـ) : أخفاف المطيّ قناعه .
(٦) في هامش (أ) : أحسَّ به ، وكذا في المطبوع .

وقولوا : فلانٌ أوحشتنا نكاتُه ... وما كان أحلى شعره وابتداعه[1]

فتى كان كالبنيان حولك واقفا ... فليتك بالحسنى طلبتَ اندفاعه

أبحت العدا خرقاً ، فلا كانت العدا ... متى وجدوا خُرقاً أحبوا اتساعه[2]

فكنت كذي عبدٍ ، هو الرِّجلُ والعصا ... تجَنَّى بلا ذنب عليه فباعه

لكلّ هوى واش ، فإن ضعضع الهوى ... فلا تلُمِ الواشي ، ولُمْ مَنْ أطاعه

إذا كنت تُسقَ الشهدَ ممّن تحبه ... فدَعْ كل ذي عذلٍ يبيع فِقاعه[3]

وقولوا : رأينا من حمدتَ فِراقه ... ولم تُرِنا من لم تذمّ اجتماعه

وأين الذي كالسيف حدًّا وجوهرا ... لمن رام يبلو ضُرَّه وانتفاعه

وما كنتما إلا يراعاً وكاتباً ... فمَلَّ ، وألقى في التراب يراعه

فإن أطرقَ الغضبانُ ، أو خطّ في الثرى ، ... فقولوا : لقد ألقى إليكم سماعه

عسى يذكر المشتاق في طيِّ رقعة ... فحسبُ الأماني أن تُروني رقاعه[4]

فرُبَّ كتابٍ كان أشجى من المُنَى ... إذا ضمه المهجور أطفَى التياعه[5]

وبالله كفُّوا إن تمادى فإنه ... رقيق حواشي الطبع ، أخشى انصداعه

وإياكُمُ تعصوا هواه إذا قسا ... فما حبَّه مَنْ كان يأبى اتباعَه[6]

وإن تعرفوا في لحظه نظرة القِلَى ... فإياكُمُ مما ينافي اتباعه[7]

وبالله كفُّوا عن حديثي فإنه ... ملول ، وأخشى أن تثيروا صُداعه[8]

---

(١) في هامش (أ ، جـ) : شعره واختراعه .

(٢) في (ب ، جـ) المطبوع : أبحت العدا سمعًا .

(٣) الفقاع : جمع فِقعة ، وهي من من الكمأة أردأها ، وفي المثل : فِقْعة بقَرْقَر ، يضرب للذليل .

(٤) في (جـ) : أن يكنّ رقاعه .

(٥) في هامش (جـ) من اللقا .

(٦) تعصوا : منصوب بأن مقدرة . وهذا البيت غير موجود في (ب) .

(٧) هذا البيت غير موجود بالمطبوع .

(٨) هذا البيت والذي بعده غير موجودين في (ب) . لسقوط بعض الصفحات .

ولا تجلبوا ذكري له بحياتكمْ فإن حبيبي لا أحب صداعه
وإن نصب الشكوى عليّ فسابقوا ، وقولوا : نعم ، نشكو إليك طباعه
وإن تنظروا في وجهه شاهد القلى فخلّوا اتباعي ، واستخيروا اتباعه
وإن رام سبّي ، فاحدثوا لي معائبا وسبًّا بليغا تحسنون اختراعه [1]
ولا تختشوا إثماً فإني أجزتكمْ إذا كان من أهواه يهوى استماعه
وميلوا إلى من مال لو كان واشياً وخلّوا له أوضاعه وخراعه [2]
وهنُّوا رقيبي بالرقاد ، فطالما جعلتُ على جمر السهاد اضطجاعه
ولا تحسدوا ودّ ابن يومين عنده فإن حبيبي تعلمون خداعه [3]
ودُورُوا على حكم الغرام ، فإنه قضى لِظباه أن تهين سباعه [4]
ضعيف الهوى من بات يشكو زمانه وأضعفُ منه من يرجّي اصطناعه
ولو علم المشتاق عقبى اتصاله لآثر بين العاشقين انقطاعه
ومن طلب الأحباب حرصا على البقا فما رام بين الناس إلا ضياعه
وكل اتحاد للهوى فيه سَوْرة ولم يكسب المخمور إلا صداعه

★ ★ ★

---

(١) في (جـ) : سبًّا شنيعًا .

(٢) في المطبوع : واختراعه . والخِراع : الضعف . وأوضاعه : جمع وضْع ، وهو الكلام الموضوع ، أي الكاذب .

(٣) في (جـ) : تعرفون خداعه .

(٤) في هامش (أ) : ودوموا على حكم .. الخ .

وقال مادحا أحد قضاة مصر ، رحمه الله تعالى (١) :

خذ بيدي إن بيننا نسب ... الفضل والإغتراب والأدب
يدلي الفتى للفتى بمقربةٍ ... وذي ثلاثٌ ما بيننا قُرَبٌ
أنت رجانا ، ولا شفيع لنا ... ومن شفيعُ الكرام إن يهبوا
تمرّغ الجود في يديك كما ... تمرّغت فوق نعلك السحب
وإن أرضاً وُلّيتها فلكٌ ... يحرسها من يَراعِك الشهب
لأهلها صارمٌ ، وذو لِبدٍ ... وكافلٌ منك ، مشفقٌ ، وأب
فُقْتَ – ولم تَسْعَ – سؤددا وندىً ... كذاك أهل العلا إذا خطبوا
وجهك صبحُ الغنَى ، ولي زمن ... آمل إقبالَه ، وأرتقب
فما جوابِيَ إن قيل : أيّ غنى ... نلتَ ؟ وماذا أفادك الأدب ؟ (٢)
وأنت كالشمس في منازلهم ... طلوعها كلَّ بكرة يجب
جاوزْت كفًّا عَداك صيّبُها ... واستنقعتْ منه عصبةٌ غيب (٣)
ملأتَها بالنقود من قُبلٍ ... فصار منها لغيرك الغلَب
ونفّر الوُرْقَ عن منابرِها ... قوم إذا ما تفصحوا نعَبُوا
فمن يكفّ العدا وألْسُنَها ... إذا بحيّات ضغنِهِمُ لَسَبُوا (٤)
إن لم يكن منك سَوْقُ عارفةٍ ... يدِرّ لي ضَرْعُها وأحتلب
لا ترض لي أن أعيش في سمل ... وليس غيرُ السحاب لي جُبَب (٥)

---

(١) هذه القصيدة ساقطة من (ب) .

(٢) في (جـ) والمطبوع : أفادك الطلب .

(٣) غيب : أصلها بالتشديد ، وهم الغائبون .

(٤) لسبوا : لدغوا .

(٥) السمل : البالي من الثياب .

مِنْ بعد ما شاع أن لي سندا ... منك ، به في الأمور أحتسب
وقيل : قاضي القضاةِ دام عُلاً ... إليه (فتحي) يُدلي وينتسب
واجتذَبَتْني يَدٌ غمائمُها ... حيث يكون الغليل تنسكب [1]
أطلِقْ لساني ، واسمعْ عجائبه ... إن كنت ممن يهزه الطرب
أنا امرؤ صنعتي التغزل والمد ... ح ، وفنّي الإنشاد والخطب
تُلقي المعاني إليَّ زهرتها ... فأجتنيها ، والغَيْر يحتطب
وكم بيوتٍ ملأتها حِكماً ... وهُنَّ إن شئت خرّدٌ عُرُب
أسْوَغُ من جرعة الزلال على الـ ... ـقلب ، وفي حلق حاسدي لهب
وربما ملتُ للمجون فما ... عذبُ رضابِ الظِّبا؟ وما الضَّرَب [2]
أحلُّ سحر اللسان في ذهب الـ ... ـقول ، فأسبي به واختلب [3]
به يبيت الجليس من طربٍ ... يسجد من سمعه ويقترب [4]
راقت كذَوْب الكأس لي شيمٌ ... وراق مَعْها فضائل نخب [5]
هذي على جبهة العُلاَ رقَمٌ ... وتلك في مبسم المنى شنب [6]
يا مصر ما للغريب من نُزُلٍ ... عندك إلا الهموم والكُرَبُ
دار اغترابي التي غُنيتُ بها ... أنتِ ، وداري ، وحبذا حلب
دار تُميت الهمومَ نفحتُها ... وتغتذي من عبيرها الكُتُب
لا قُرْبُها للكرام مضيعةٌ ... ولا حماها لضيم منقلب

---

(١) الغليل : العطشان .

(٢) في المطبوع : رضاب الظباء والضرب .
والضرب : العسل .

(٣) في هامش (أ) : في نسخة : ولبَّ الألباب أختلب .

(٤) في المطبوع منه يبيت ...

(٥) في (جـ) : كذوب الكؤوس .

(٦) رقَم : علامة . والشنب : بَرْد وعذوبة .

صافحْ ثراها إذا نـزلتَ بها فِمـنْ ثراها الأعـزّة النُّـجب
فارقتها ، والكرامُ من قِـدَمٍ تقسّمُوا في البلاد ، وانشعبوا
علـيّ أن لا تنـام لوعتُهـا بين الضلوع ، همومُها شُعب[1]
آهٍ ، ومَنْ للغريب في بلـدٍ إن سغبٌ مسَّه ، وإن لَغب
أضحكُ في أسرتي ، وتُشرقني - إذا خلوا - عبرتي ، فأنتحب
أهُزّ جذْعَ المنى ، وما يبدي إلاّ نواه ، وشوكه حـطب
أيّ ريـاضٍ يكـون بلبلُهـا مثلي ، ويُخفي أسىً ، ويُجْتَنَب ؟
يسومني الضيمَ من وثقت به لأَمٌ من يرتضي به الحرب[2]
لا أقبلُ الضيمَ ، كيف أقبله ؟ والمجدُ يأباه فيَّ ، والحسب
والشمس صوناً لضوء طلعتها قبل لحاق الظلام تحتـجب[3]
يظن صدعي لقـرع نائبـةٍ وإنما مـن أُحِبّـه النـوب
كأنني مـن زجاجـة جسد أحبابه في انـكساره السبب
فامسح دموعي ، فما سواك يدي فـعبرةُ الحرِّ صونُهـا يجب[4]
لعـل نيـل الأمـان يَلْحقنـي وصدعُ هذا الفؤاد ينشعب

★ ★ ★

---

(١) في (جـ) : بين ضلوعي .

(٢) لأَمّ : لقصد .

(٣) في المطبوع : (والشمس ضوء) ، وهو خطأ . وفي هامش (أ) : بخوف لحاق ... .

(٤) يدي : من الدية . وفي (ج) : فعبرة الحب .

— ١١ —

. وقال يمدح (ويهنئ) محمد أفندي الدفتري بدمشق ، (بالمنصب ، وكان عيد ، ونوروز) [١] :

ثلاثةُ أعياد أتت وهي تبسِمُ : ربيع ، ونوروز ، وعيد معظّم [٢]
ثلاث مسرات رأتك بمنصب فجاءت مع النعمى عليك تسلّم
وإن من النعمـاء أنك سالم وعينك يقْظى ، والحوادث نُوَّم
تَقِرُّ مُهاباً في ذرى جلّ منصب كما قَرَّ في أعلى قنا الخطِّ لهذم [٣]
فمن لدمشق الشام ؟ إنك لم تزَلْ على يدك الأرزاق فيها تُقسّم
رأوك فثنَّوْا بالهلال فعيَّـدوا بعيدَيْن ، لكنّ الأبرَّ المقـدّم
أكبُّوا على نُعماك في العيد ، فالتقى على بابك الفوجان : مُثرٍ ، ومُعْدم
وعادوا جميعا باسطين أكفَّهـمْ إلى الله أن يجزيك خيرا عنهمُ [٤]
يقول ليَ الأصحاب : عيدٌ مبارك عليك ، وكيف الحال ؟ قلتُ : مُنعَّم
تمشَّى الندى في سُقْم حالي ، فأنجحتْ نجاحةَ جرح في زواياه مرهم
ومادام جودُ (الدفتريِّ محمد) فلي كلَّ يوم منه عيد وموسم
فتًى أجلسته خشيةُ الحق مجلساً تهذّبَ فيه صمتُـه والتكلُّـمُ
له منه إذ ما يجمح الغيظُ واعظٌ يلقّنه خلْقَ الكرام فيحلُـم
ويحنو على ذي الجُرْم حتى يُرينا ليدلي إليه بالـذي هـو مجرم

---

(١) ما بين قوسين من (ب) .

(٢) في (أ) : ثلاثة أعياد وهن تبسّم .

(٣) ذرى : جمع ذروة . واللهذم : القاطع من الأسنة . وفي (أ، ب) ، والمطبوع تقربها باقي .. ، ولعلها : تقر مهاباً في ذرى خير منصب .

(٤) في (جـ) والمطبوع : إلى الله إنّ الله يجزيك عنهم . وهو خطأ .

تكرَّم حتى ظُنَّ حاشاه معدماً ... على حين قال الناس : مات التكرُّم

وليس لباسُ الخزِّ ما فوق عِطْفِه ... ولكنه بُرْدٌ من المجد مُعْلَم

تتبَّعَ آمالي بألطاف برِّه ... فحقّق لي ما لم يكن يُتوهم [1]

سأنسج من حُسن الثناء لمجده ... طرازاً ، يُسدَّى بالنجوم ويُلْحَمُ

نجوم معانٍ يشهد الفضل أنها ... على لبّة العلياء عقد مُنظّم

إذا أبرزته فكرتي طار ذكرُه ... إلى أن تراه وهو للنجم يَزْحَم [2]

يلين له عِطفُ الكرام ويثني ... ويُنسَى لديه الأتحميُّ المسهَّمُ [3]

ولا فضلَ لي فيما أقول ، وإنما ... أياديه عندي ألْسُنٌ تتكلم

★ ★ ★

(١) في (ب) : لم أكن أتوهم .

(٢) في (أ ، ب) : يرجم .

(٣) الأتحمي : البرد المخطط بالصفرة ، والمسهّم : المخطط .

وقال يمدح العلامة أحمد أفندي بن شاهين ، الشامي الشهير [١] :

ألذُّ الهوى ما طال فيه التجنُّب ... وأحلاه ما فيه الأحباء تعتب [٢]
وما بُعْدُ دارٍ من حبيب مذَمَّماً ... إذا لم يجدْ فيه مناه المؤنِّب
وما القلب إن سيمَ القِلى وأطاعه ... بقلبي ، وإن غال القلوبَ التقلُّب
قضى الحظُّ إلا أن أكون مبعَّدًا ... وألقى الذي لاقَى المحبُّ المعذَّب[٣]
لبستُ الصِّبا بردًا قشيباً يروقني [٤] ... فما بالُ قلبي من عِذاريَ أشيبُ
أُسالمُ من أحببتُه وهو واحدٌ ... فيرجعُ أعداءً لحربيَ تعصَّبوا [٥]
وما أنا ممن قلبُه عند غيره ... فتبكي عليه الشامتون وتندب
ويعمَى عن الأمر الذي فيه رشدُه ... ويجهد في عقبى الأمور ، وينصب[٦]
ولكنّ لي نفسَ الوَقور ، وعفةَ الـ ... ـقدير وقلبي في المهمات قُلّب [٧]
لَيَ النظرةُ الأولى إلى وجه صاحبي ... تريني خفايا لا يراها المجرِّب [٨]
وأحتمل المكروه ممن يملّني ... ولم ألْوِ جيد الودِّ عمن ينكّب
نصلتُ من الأيام وهي قشيبةٌ ... وعفْتُ لذيذ العيشِ، والعيشُ طيب[٩]

(١) في (ب) : يمدح أحمد أفندي الشاهيني ، ويهنئه بقدوم والده من الحج الشريف .
(٢) في المطبوع : الأحبة . وفي (ب) : الأخلاء .
(٣) هذا البيت ساقط من (ب) .
(٤) في (أ) : يشوقني . والعذار : الخد .
(٥) في (جـ) : لحربي تؤلّب .
(٦) في (ب) : ويحمل في عقبى .
(٧) في (ب) : ولكن بي نفس الغيور . والقلّب هنا : البصير بتقلب الأمور .
(٨) في (أ ، جـ) ، والمطبوع : قلب صاحبي ، والتصحيح من (ب) .
(٩) نصلت : خرجت .

فما كلّ معسول اللَّمَى يستفزني ... ولا كل مطلوبٍ لديَّ محبّب

ولا مسمعي روضٍ يُصوِّح بالْهجا ... ولا بندى مدح ينير ويعشب

فيا ليت شعري! كم أداري الذي قسا ... وأكسوه ثوب العفو، والعذر يُسلب![1]

جدير لمثلي إن توطّنَ بلـدةً ... ولم يَرَ فيها مَن يُحِبُّ ويَصحَب

توطُّنُ مَتْنِ اليعْمُلاتِ فإنها الـ ... ـمآربُ إن يوماً تعطّل مطلب[2]

إذا أنا لم أدفع عن النفس ضَيْمَها ... فلا انجاب عنها من دُجَى الضَّيم غيهب

ولا وطئتْ خدَّ الفيافي ركائبي ... ولا سال حَزْنٌ بالمطيِّ وسبسب

وقائلة : راشُوا لهجوك أسهماً ... فحتّام فيهم بالمدائح تُطنب ؟

رويدك ، لا يدرون ما أنت صانع ... فخلِّ سبيل المدح ، فالهجو أقرب

فقلت – وعَرْفُ الحِلم يعبق من فمي ... بعفةِ نفس للمكارم تُنسب –

: هبيني امرأً يرضى المثالبَ خُطةً ، ... بأيِّ لسانٍ يابنة القوم أثْلُب

ومالي لسان غير ما بمدائح الأ ... جل (ابن شاهين) يلذ ويعذبُ

فتًى جاوز العلياءَ في الناس يافعاً ... ومن دونها ضلّتْ كهول وشُيَّب[3]

وقمّصه المجدُ المؤثَّلُ حلّـةً ... مدى الدهر أذيالَ المفاخر تَسْحَب

وقلد جيدَ الدهر منه فرائدًا ... تُعدُّ إذا عُدَّ الفخارُ، وتُحسب

همامٌ له إن أشكل البحثُ قولةٌ ... تخرّ لها الأسماع طوعا ، وتطرب

يمزِّق شمل المشكلات لـوقتها ... إذا شيمَ مِنْ فيه الحسامُ المذرَّب

توقّدَ حتى ليس يخبو ذكاؤه ... وكاد – وحاشا – فكرُه يتلهّب

وفاه بإعجاز القريض كـأنما ... له مَلَكٌ يمُلي عليه فيكتب

---

(١) في (ب) : ثوب العذر .

(٢) اليعملات : النوق السريعة .

(٣) في (ب) ، والمطبوع : في الفضل يافعا .

يرينا سنا العرفان برقُ ابتسامه ... وبرقٌ كثيرٌ في المعارف خُلَّب (1)
لك العذرُ يا من لجَّ في كنْهِ فضله ... متى تنجلي للعين عنقاءُ مُغرِب ؟
فتًى وأبوه في المكارم والندى ... على حدِّه ، والفرعُ للأصل يُجذَب
فمن مثلُ (شاهين)؟ ومن مثل (أحمد)؟ ... إذا ما ادّعى فخراً نزارٌ ويعرب
إذا السؤددُ الوضّاح في أفق العُلا ... له في سماء المجد شرقٌ ومغرب (2)
أعيذُك من قومٍ قذى العين شخصُهُمْ ... كأنهم جاءوا ليرضوا ويغضبوا
إذا ما اقتضاني للمذمّة فعلُهمْ ... نهاني عفافي ، والحجى ، والتأدّب
عرفتُك فيهمْ ، وامتدحتك دونهمْ ... وما غيرك المعنيُّ والقول مُسْهَب
ولو قلتُه جهلا لنُعماك كافراً ... عصتْني القوافي ، والقريضُ المهذّب
لمن تكشف الأشعارُ فضلَ قناعها ... فيبدو له منها السناءُ المحجّب ؟
وهل لأخي الآداب غيرُك قِبلةً ... فيفزع طوراً نحوه ويُصوِّب ؟ (3)
وغيرك هل في حلبة الشعر فائق ... تُقاد له غُرُّ القوافي ، وتُجْنَب (4)
وما هي إلا الزاهرات ، فلو بدتْ ... لقامت مقام الزُّهر ، والزُّهرُ غُيَّب
شهود على ما أنكرته حواسدي ... وللحاسدين الويل ، كم ذا يكذّب .!
فلا زلتَ ممدوحاً ، ولازلتُ مادحاً ... يجيد فنون السحر فيك ، فيغرب (5)
ويهنيك عَوْدُ المجد ، عوْدُ أبي النّدى : ... أبيك الذي لله يأتي ويذهب
ويسعى إلى أم القرى سعي طائع ... وقلَّ الذي في طاعة الله يرغب
ويرجع والغفران جُنْدُ ركابه ... يُحلّيه منه مِخْذمٌ ومُكعَّب (6)

(1) هذا البيت ساقط من (جـ) .
(2) في (ب) : في سماء الفضل .
(3) هذا البيت ساقط من (جـ) ، وفي المطبوع : فيفزع طوعاً .
(4) في المطبوع : (في حلبة الشعر سابق) . وجنّبه : قاده إلى جنْبه .
(5) في المطبوع : وغيرك مادح .
(6) في (ب) : ملء ركابه . والمخذم : السيف . والمكعب : الرمح .

كذا كان قدْماً ، طالما جاور الوغى   وشيّعه جيش من النصر أغلب [1]

بقِيتُ ، وأبقى اللهُ مثواك عنده   ومثواكما عند الإلّه مقــرّب

وما برح الحساد صرعى [2]، وكلّهمْ   على مثل ما في قلبه يتقلب

★ ★ ★

(١) في (جـ) : من الصبر أغلب .

(٢) في (جـ) : ولا برح .

- ١٣ -

وقال يمدح بعض الأعيان (١) :

مساعيك فرْع النجمِ عنها يُفرّع(٢) ... فحسبُ العِدا ما يصنعون وتصنع

أسرُّوا القِلى ، لكن بمقدار أن رأوْا ... بشاشتك الأولى ، فهشُّوا ، وأقلعوا

نسوا أن حالاً فيك لو خاطب الدجى ... لأوشك عن بشر الصباح يقطِّع

طلعت بوجه شاهقُ البغي دونه ... يُثَلُّ ، وعرنين الضلال يُجدَّع

وعدتَ تجرّ الذيلَ ، كلُّ بنانُه ... إليك ، وكلُّ واقفٌ يتخضّع (٣)

وعرضُك موفور ، ووفْرُك دونه (٤) ... كتدبير حساد الأمير مضيَّع

وكم صدماتٍ قام مجدُك دونها ... يحامي ، وجبّار السماوات يدفع !

وحالُك في الجلَّى كحالك قبلها ... وُقيتَ الرّدَى من أروع لا يروَّع(٥)

فخارُك أفْقٌ ليس يخفى ضياؤه (٦) ... وشمس الضحى من ذلك الأفق تطلع

توقّفَ ساعي الفكر عن غورك الذي ... لدى شأْوه سيّارة الأفق (٧) ظُلَّع

إذا أجدبت أرض دعتك ، فعمّها ... سحاب ندًى عن مثله تتقشّع

---

(١) في (ب) : بعض الأمراء .

(٢) في (ب) : منها يفرّع .

(٣) في المطبوع : وعدت تجر الذيل والكلّ سائر .

(٤) الوفر : الغنى .

(٥) الأروع : الشجاع .

(٦) في (ب) : كيف يخشى ضياؤه .

(٧) سيارة الأفق : النجوم .

كأن لديك المال يمسي ودائعا إذا ما بقي حتى علينا يوزَّع

على وجهك البسام منّا تحية تُقيم مع النُّعما ، وإن سرتَ تتبع

عرينك مأمون ، وشبلُك في حمى وغصنك ميّاد ، وواديك ممرع

★ ★ ★

وقال مهنئا أحد موالي مصر ، ويمدحه رحمه الله [١] :

قدومٌ لأعياد الربيع متمِّم ... ووجه كوجه الروض وضّاح ، يبسِمُ
به التامَ شِعبُ الأمن ، واستنقع الصدى ... وأقشعتِ الجلَّى ، وبان الميمّم
لقد جلَّ يوم عنك أصبح مسفرًا ... وطوبَى لمصرٍ ، أنت فيها محكّم [٢]
عبرتِ عليها وهي للجور لعبة ... يعاقَب بالتأخير فيها المقدَّم
فلا الرفق مشهود ، ولا القول شافع [٣] ... ولا الرأي محمول ، ولا الأمر مُحكم [٤]
وكان بها مثل السقام من النوى ... إلى أن دنا منها البشير المسلّم
قدمتَ سحاباً صادقَ البرق بعدما ... توسلتِ الأيدي إلى الله ، والفمُ
فكنتَ شفاها بعد من كان داءَها ... وياليت من لم يشفِ لا كان يُسقم
لشتّان ما بين المجدِّين في العلى ... وهل يستوي محمودها والمذمّم ؟
أتى واهاً في المال ، لم يطعم الكرى ... وعاد على أيامه يتظلّم
ولم يتنبّه أن للناس ألسُناً ... إذا نشبت في عرضه فهي أسهم
إذا المرء لم يحرز مع المال عرضه [٥] ... فما اعتدّ منه مغنما فهو مغرم
وإن مضيع الحزم من بات عمْرُهُ ... بغير الذي يرضي العلى يتصرم
يود حريصُ المال لو أن عُمْرَهُ ... يباع ، ولو أن المحصّل درهم
قضى الله ، والمجد المؤثَّل ، والعلى ... بأنك مطلوق الغرارين ، مخذم [٦]

---

(١) في (ب) : وقال مهنئا بقدوم حاكم إلى بلده .

(٢) في (ب) : أنت فيها مخيم .

(٣) في (ب ، جـ) ، والمطبوع : ولا القول سائغ .

(٤) في (ب) : ولا القول محكم .

(٥) في (أ) : إذا المرء لم يحرص .

(٦) الغرار : حد السيف . والمخذم : السيف القاطع .

إذا سيم ، فالأحقاد ظفرٌ مقلّمٌ وإن شيم ، فالأيام حدٌّ مثلّم

ولمْ لا وأنت ابن الذي امتد ذكرُه إلى غاية من أفقها النجمُ ينجم

مآثره في جبهة الدهر مثلما على صفحات الطرس تُتلَى وتُرقم

ولا يشبه الأستاذَ إلا نجيبُه : (أبو الفضل محمود) ، الرئيس المعظم

فيا أيها الممتاز في السبق فضله ومَنْ مجدُه في كل أرض مخيِّم

محوتَ ظلام الظلم في كل بلدةٍ [1] بِعدْلِك حتى ليس للظلم مَخْرم

فلو يشتكي العشاق من طول ليلهمْ لما كان خوفاً منك يَطغى ويَظْلِم

دعوتك والأخصام حولي قبائل : همومٌ ، وحسادٌ لئام ، ولُـوَّم

وأسلمني التغريب ، والخلّ خانني ومالَي من يُلْجَا إليه فيعْصِم

إذا لم يكن لي منك ريٌّ على الظما وبحرك فيّاض الجوانب ، مُفعَم

فهذا شبابي قد ترقرق ماؤه وإلا فهذي مهجتي كلها دم

أميل على هذا وهذا ، فأرتوي وأكرِمُ حُرَّ الوجه ، فالحرُّ يكرَمُ

★ ★ ★

(١) في (جـ) : من كل بلد .

— ١٥ —

وقال رحمه الله تعالى مهنئا ومادحا محمد أفندي القاضي بمصر إذّاك :

قدوم به تاج المسرّات يُعقَد ... وأمْنٌ أتانا كل يوم يجدَّد

صحا الناس، والفسطاط قرّتْ، وقد مضى ... بأهوائه من كان فيها يعربد

شكت ألم الداء العُضال ، فطبُّه ... على يد مولًى ما على يده يد (١)

من النَّفر الغرِّ الحماة إذا دُعوا ... فلا واحد إلا وفي السبق أوحد

أمانٌ لمرزوءٍ ، وظلٌّ لقائلٍ ... وللفضلِ مُتابٌ ، وللجودِ مورد (٢)

أفي الحق أن لا تحمَدَ العَيشَ (مصرُنا) ... وحامي ذمارِ الشرع فيها (محمد)

أتاها وفي أحشائها كل غلّة ... وطرْفُ ذويها من قذى الظلم أرمد

فمازال حتى استلّ منها قذاءها ... بصُنْعٍ به يُشفَى الغليلُ ويبرد

فلا جور في غير الحسان محكّمٌ ... ولا سيف في غير اللحاظ مجرَّد

بدا فانجلى الخطبُ الجليل بطلعةٍ ... كأن بها تحت الغمامة فرقد (٣)

كأن سجاياه وكفّيْه روضة ... بها من نثار السُّحبْ حلْي مُبدّد

ولو لم يكن بحراً من العلم صدرُه ... لما شكَّ راءٍ أنه يتوقّد

فلا زال رحبَ الباع، والصدرِ، والقنا ... يطوف به لطفٌ من الله سرمد

★ ★ ★

---

(١) في (جـ) : فطبّبت . وهذا البيت ساقط من المطبوع .

(٢) المرزوء : المصاب . والقائل : الذي ينام القائلة ، أي نصف النهار .

(٣) فرقدٌ : كذا في النسخ ، والمطبوع . والصواب نحويا : فرقدا .

وقال – عفا الله عنه – يمدح المولى الجليل عبد اللطيف أفندي أنسي رحمه الله تعالى :

إليك امتطى لجة البحر ظَهرًا ... فخلّف بحراً ، وصادف بحرا
فتًى بات يخبط ليل السُّرى ... ليرقب عندك للْحظٍّ فجرا
فيرجع ريّان كفٍّ المنى ... ويقبس من نشر نعماك بِشْرا [(١)]
دعوتُك في من تخيّرتُه ... ولم أدع إلا المِبَرَّ المِكَرَّا [(٢)]
ولم أدع إلا النجيبَ المجيـ ... ـبَ ، ولم أدع إلا الأعزّ الأغرّا
دعتْه المعالي بمخدومها ... وقالت : بأُنْسي كفى المجدَ فخرًا
فتى الفضل والبذل ، لا يأتلي ... يوفِّر فضلاً ، ويُتلف وَفْرًا
إذا طاش للخطب لبُّ الحليـ ... ـم رأيت امرأً ملء بُرديه وقْرا
كأن الخطوب قيون له ... فيرجع أحسن ما كان أثْرا
أيا مالك الفضلِ ، مولى الندى ... ومن عزَّ جاراً ، ومن جلَّ قدرًا
أريدُ الترحُّل لا سلوةً ... ومن ذا يطيق عن الحِبِّ صبرا ؟
ولكن لأملأ سمع الزمـا ... ـن من جوهري فيك حمدًا وشكرا
ولا مَنَّ ، فافخر بشكري الذي ... إذا حلّ في السمع ينحلّ درًّا
تُقاد لطبعي نجومُ الكلا ... م إلى أن يسمِّيَه الناس شعرا [(٣)]
عيون رُبًى ، أو دراري سماً ... فإن شئتَ زَهراً ، وإن شئت زُهرًا

---

(١) في (جـ) : من نشر نعماك نشراً .

(٢) المبرّ ، والمكرّ : الكريم ، الشجاع .

(٣) في (أ ، جـ) ، والمطبوع : أن يسمونه وفي (ب) : وإن نظمته الناس . والصواب ما أثبتناه .

إذا شاعرٌ رام عُونَ الكلا م فأعيا ، رآها بأذنيه بكرا[1]

تطير بذكرك ، لا تبتني[2] لها في سوى ذورة النسر وكْرًا

هنيئا لمجدك طول البقاءِ فإن به المجدَ يزداد عُمْرا

كأن كلاميَ تِرْبُ الهوى يفارق صدرًا ، ويحتل صدراً[3]



(١) العُون : جمع عَوان ، وهي الثيب .

(٢) في (جـ) : لا تنثني .

(٣) في (أ) : ربّ الهوى .

— ١٧ —

وقال رحمه الله مادحاً ومستعطفاً بعض إخوانه [١] :

أنا إن غضبتَ وإن رضيتَ حبيب ... وعليَّ تَعدادَ الذنوب ذنوب
أنا وردةٌ ويدُ الأحبة غصنُها ... ونسيمها فوق الرءوس يطيب
طافت سجايا الروض حول معاطفي [٢] ... فعلامَ مثلي عندكمْ مسبوب
لي في المحبة نشوةٌ تعصي الهوى [٣] ... وتتوب ، ثم تعود ، ثم تتوب
نالَ الهوى مني ، وليَّن جانبي ... لكنّما عُود الشباب صليب
ولئن صددت فكل عضوٍ راقص ... مني ، يكاد – وما دعوتُ – يجيب
الصبح يضحك كلَّ يومٍ من فتى ... يهوى ، ويعلو حاجبيه قطوب
غَضبي لأنك بينهمْ في غربةٍ ... إن الكريم على الكريم غضوب
من أين أنت ؟ وأين من عاشرتهمْ ؟ ... أوَ كلُ منتسبٍ إليك نسيب ؟
أمِنَ المروءةِ أن أُحِلَّك ناظري ... وتُحِلَّني حيث الظنون تخيب ؟
مازلت أعجب كيف غرّك قولُهم ؟ ... وأقول : أنْ تُصغي لهم لعجيب
لا كان قولهُمُ ، فإنّ لوقعِهِ ... بصميم قرطاس القلوب ندوب [٤]
الظلّ أثبتُ من ودادِ أجلّهمْ ... وإذا طلبت تهزّه فعسيب [٥]
جذبتْك يُمنى لا تخون شمالَها ... وثناك باعٌ بالوفاء رحيب
فطلعتَ من بعد الغروب ، وصار للـ[٦] ... ـحُسّاد من بعدِ الطلوع غروب

---

(١) هذه القصيدة ساقطة من (ب) .

(٢) في هامش (أ) : حول خلائقي .

(٣) في (جـ) : لي في المحبة نشأة .

(٤) ندوبٌ ، كذا بالنسخ ، والمطبوع ، وهو خطأ نحوي واضح .

(٥) عسيب : اسم جبل ورد في الشعر الجاهلي .

(٦) في هامش (أ) : وكان للحساد .

أأخي أفِقْ ، إن النجابة ذمّـة فينا ، وما خفرَ الذمامَ نجيب
والليث ملمـومُ العريـن بمثلـه وأبو الحُصَيْن بمثله مصحوب [1]
غصُّوا بِحُرْقٍ لم تزل لهواتُهمْ فيها - وإن شربوا الفرات - لهيب
جهلوا اتحاد السيف فيهم والطِّلا ونسُوا بأن الإنتقام قـريب [2]
أأخي ، وتِرْبَ فضائلي ، أنا للعلى أو أنت ، كلٌّ طالب مطلوب
جنِّب أخاك عن الملام ، وقل له ألسَّهْمُ يخطىء تارة ، ويصيب
لا تجعلوا خطأً المصيب عقابَهُ إن الصواب كما يلوح يغيب

★ ★ ★

(١) أبو الحصين : الثعلب .

(٢) الطّلا : جمع طِلْيَة ، وهي العنق . ويلحظ أنه قطع همزة الوصل في : الانتقام .

وقال – عفا الله عنه – مادحا الأمير مصطفى [١] :

أبثُّك ما عندي ، فهل أنت سامع ... وأدعوك للجلَّى ، فهل أنت دافعُ ؟
هززتُك عضبًا لا يرى الفلَّ حدُّه ... وما كلُّ عضبٍ هزّه المرء قاطع
وقد طال عهدي بالكرام ، ولم أجد ... سواك فتى تُثني عليه الأصابع
أميرٌ له في كل أرض يَحلّها ... حديث لأعلام المكارم رافع
أميرٌ زكتْ أحسابُه وأصولـه ... وطِيبُ زكاء الفرع للأصل تابع
أبوه الذي لله قد كان سعيُه ... وأخلاقُه منها العلَى والتواضع
فجاء على مضماره غير خاسرٍ ... وفاق ، ألا لله ما هو صانع
ولما استهلّت بالنجابة ذاتـه ... وغذَّته من دَرِّ الكمال المراضع
رأته المعالي ، فاصطفتْه لنفسها ... خليلا يحامي دونها ، ويمانع
فصار اسمه الوضّاح في الناس (مصطفى) ... وضاءت به الأحسابُ وهي سواطع
فدًى لأميري كلّ من بات حاسدًا ... وقلبٌ شناه لا حوتْه الأضالع
أحبُّك يا عزّ الكرام ، وكيف لا ... وعنديَ للإحسان منك تتابُع ؟ [٢]
وأضرع في حبي إليك ، وما أنا ... لغيرك إنساناً من الناس ضارع
وقد جاء شهر الصوم ِ والكيسُ فارغٌ ... وداريَ – لم أحنث يمينا – بلاقع [٣]
فخذني لغرس الجود تستثمرِ الثَّنا ... فنحن أناسٌ للكرام مزارع
بنا الحمد يبقى مثلما الذم يتّقى ... وكل مَصُون ما خلا الحمد ضائع

---

(١) في (ب) : يمدح بعض الأمراء .

(٢) في المطبوع : الإحسان . وهو خطأ .

(٣) في غير (ب) : لم أحلف يمينا .

ودونكها في جبهة المجد غرّةٌ عليها رواقٌ من مديحك لامع[1]

تُشيَّع من دُهْم الطروس بمِقْنب ، إليك برغم الحاسدين تسارع[2]

نثرتُ عليها من مديحك رونقا كما نُثِرت وسط السماء الطوالع

من (الفتح) بِكرٌ إن بدت تسحر النُّهى وتومي إليها بالسجود المسامع

فعش أبداً غوثاً وغيثا ، ودُمْ ، وصُمْ وأفطر بحالٍ فوق ما أنت طامع

عدوُّك مخذول ، وجارُك في حمًى ونجمُك مسعود ، وعيشك يانع

★ ★ ★

---

(١) في (ب) : في جبهة الدهر .

(٢) في المطبوع : دهم السطور . والمقنب : جماعة الخيل .

ـ ١٩ ـ

وقال مادحا المولى الأستاذ البكري ، ويهنئه بشهر الصيام ، ومضمنا كثيرا من أشعار قصيدة المتنبي [١] :

قَدِمَ الصيامُ ، وما استقرَّ به السُّرى ... حتى تولَّى الصبرُ منفصمَ العرى

لَمَ لا وقد جعل الوصالَ محرَّماً ... والضمَّ والتقبيل شيئا منكـرا

والرزق قتّره عليَّ ، ومثلُنـا ... يشكو الكريمَ إذا رآه مقتِّرا

حسبَ الجيوبَ من البطون ، فأصبحتْ ... إن كنتَ قد أبصرْتَ : ربْعاً مقفرا

حتى غدا جيبي يقول لكِيسه : ... ضلَّ الذي زعم الخلا متعذِّرا [٢]

ياسندس الأكياس ، ياخالي الذرى ، [٣] ... بادٍ هواك ، صبرت أم لم تصبرا

سقياً لنقدك ، وهو فيك كجدولٍ ... صافٍ ، أطلَّ على رداءٍ أخضرا

مادام فيك ، فأي قلبٍ لم يهِمْ ... بمصوَّر لبِس الحريـر مصوَّرا

لاحِبَّ أعلق بالحشا من درهمٍ ... وهو المضاعف حسنه إن كرِّرا

سجدت لصورته العيونُ ، وإنه ... أشهى مهاةً للقلوب وجؤذرا [٤]

رمضان أعدمه فذاب كـأنما ... أوردتُه من نار فكري مجمرا

إن جئت يا رمضان غير جيوبنا [٥] ... لمنعت كل سحابة أن تقطرا

عينٌ بياضُ وجوهِنا ببياضهـا ... رحلتْ فكان لها فؤادي محجرا

الريح تجري في جوانبِ صرّتي [٦] ... والنجمُ قد صرف العنان عن السُّرى

---

(١) في المطبوع : وقال يمدح السادة البكرية ويهنئهم بشهر الصوم . وانظر رائية المتنبي في ديوانه بشرح البرقوقي جـ ٢ ص ٢٦٤

(٢) في (جـ) : لكَسْبه مثل الذي ....

(٣) في المطبوع : ياعالي الذرى .

(٤) في كتابة هذا البيت في (ب) تحريف ظاهر . وفي (جـ) : أسبى مهاة .

(٥) في (جـ) : عين جيوبنا .

(٦) في (جـ) الريح تسري .

بالصوم أدركني الملال ، وخانني عزمي الذي يدع الوشيجَ مكسّرا[1]

حتى لقد نكر اللسانُ فصاحتي[2] ضعفاً ، وأنكر خاتماي الخنصرا

لبس الورى منه نحولَ هلاله لما رأوه وفي الحشا ما لا يُرى

لا في يد الساقي به قدَحٌ ، ولا قلم لك اتخذ الأصابع منبرا

ملأ البلادَ سُطًا ، ودوّخ أهلها كالخط يملأ مسمعْي من أبصرا

طلب الذي وقد العظام ، ولم يدعْ طلبا لقوم يوقدون العنبرا

لبس الدجى لهمُ ، وأوقد شمعه فرأوا سنًى ، وأسنّةً ، وسنوّرا

أخلَى الشوارع منهمُ ، لا مقبل فيها ، ولا خلق تراه مُدْبرا

دخلوا البيوت ، وأقفلوا أبوابها لو كان ينفع حائناً أن يحذرا

وعلى المؤذن في ترقّب فجره جعل الصباح بينهمْ أن يمطرا

يُخشَى ويُرْجَى ، وهو لا ينفك من نار الوغى إلا إلى نار القِرى

إن غاب آب ، فما يكون القول في من لا تسابقه الرياح إذا جرى ؟

نزلت لرتبته الشهور جلالةً ومن الرديف ، وقد ركبت غضنفرا

فكأنه (الأستاذ) في فرق العلى متملكا ، متبديا متحضرا

من عترة الصديق إن شاهدته[3] شاهدت رسطاليس ، والاسكندرا

يا ليت عينَ العاذلين على الهوى نظرتْ إليه كما نظرتُ فتعْذرا

يُعطي الكثير ويستقلّ ، فلو رأيـ ـتَ وجدت مشغول اليدين مفكرا

يا (فتح) قد شغَلَ الجوارحَ صومُها فكتمته ، وكفى بجسمك مخبرا

---

(١) الوشيج : قصبة الرمح .

(٢) في (جـ) : نكر الزمان .

(٣) في (أ) ، والمطبوع (من عترة) ، وهو خطأ .

أرسلتها تشكو الصيام خريدةً [1] لو كنتها لخفيت حتى تظهرا

خاضت حشا (الكندي) [2] واتصلت وقد جذبت قوائمُها العقيــقَ الأحمرا

جاريتُه وخلصت في تضمينها من أن أكون مقصّرا أو مُقْصرا

لفظا ومعنى كاد يقطر رقةً لما سألت به الغمام الممطرا

لا زال للأعياد منه ، وللنــدى الشمس تشرق ، والسحاب كَنَهْوَرا [3]



(١) سامح الله ابن النحاس ، وهل يشكى الصيام ؟

(٢) الكندي : المتنبي .

(٣) الكنهور : على وزن سفرجل ، هو قطع السحاب المتراكمة التي تشبه لضخامتها الجبال .

وقال مهنئا حضرة البكري الأستاذ الأمجد المومى إليه :

أتى البرءُ يقفو إثر ما صنع السُّقمُ ... كما بالغنى من ذي الغنَى يُقْتَفَى العُدْمُ[(١)]

دجَا الخطبُ حتى كاد أن يَسْتَشطّنا[(٢)] ... وضاق خناق الصبر ، واتسع الوهْم

وبتُّ وبتنا فيك والدمع حارس ... لأعيننا من أن يُلمّ بها حُلْم[(٣)]

نردّد أنفاسا إلى واسع العطا ... إلى كاشف الجلّى ، إلى من له الحكم

فما كان إلا ليلتان أغمّتا ... إلى أن أنار اللطف وانقشع الغم[(٤)]

وعالجك الطب الإلّهي عاجلا ... وصحّت بك الأحباب، واندمل الكَلْم[(٥)]

لبستَ شفاءً قُدّ من صحة العدى ... فحال إلى أجساد أعدائك السُّقم

لك الغُنْم من بُرْءٍ[(٦)] ومن كبْتك العدى ... على كل حال مثلما لهمُ الغُرْم

أبى الله إلا أن يكون لك البقا ... وشانيك إلا أن يكون له الرَّغم

وعلمُك إلا أن يكون مجسّداً ... فأنت لسانُ العلم ما نطق العلم

وما الويل. كلُّ الويل إلا لحاسدٍ ... عرانين مجدٍ كلها في العلى شُمّ

ذوي صاحب الغار الأُلَى أنت منهمُ ... ذوي الصدق إن قالوا، ذوي العزم إن همّوا

عصابةُ يَرْبِ المصطفى ، أنجُم الهدى ... عليكم سلامُ الله ما نجمَ النجمُ

دعوا خصمكم يكفيه في يوم بعثه ... بأن إلّه العالمين له خصم

ودونك من محض الفصاحة زبدةً ... بمسمع أرباب المذاق لها طعم

---

(١) في المطبوع : ينتفي العدم .

(٢) يستشطّنا : يصيبنا بالمشقة .

(٣) في المطبوع : الحلم .

(٤) في (ب) : وانقشع السقم .

(٥) الكلم : الجرح .

(٦) في (ب) : لك البرء من سقم .

مُمسّحة الأعطاف آلى وشاحُها   يُهدّيه إلا من سواعدك الضمّ
ثنائية (الفتح) الغريب بعثتها   وفي كل داءٍ من تلاوتها حسم
تهنّيك بالنُّعمى ، وتخبر أنه   إذا اشتدّ همٌّ سوف ينفرج الهمُّ
وتُذكرك الوعد الذي كان بيننا   ومثلك ماضي العزم إن نقض العزم[1]
ومثلك لا يألو ، ومثلك لا يني   ولا يتخطى نحو أفعاله الذمّ

★ ★ ★

(١) في المطبوع : ويذكرك العهد .

— ٢١ —

وقال يمدح الأستاذ أحمد البكري أيضا :

تفقّد محبًّا ولو بالسؤال ... فإن التفقّد بعض النوال[1]
فلي حرمة الجار ، جار الكرا ... م وما أنا في الودّ رث الحبال
أحبك في الناس حب الصِّبا ... وعصر الشباب ، وعهد الوصال
ولِمْ لا ؟ وأنت جمال الرجا ... ل ، جمال الزمان ، جمال المعالي
وأنت المبرِّز في كل فن ... رئيس الأكابر ، تاج الموالي
وأنت ابن صدِّيق خير النبيّـ ... ـين ، خير الأواخر ، خير الأوالي
ألستَ ابن من فضلُه قد أتى ... على ألْسُن الوحي من ذي الجلال ؟
أيخفى سناك وأنت الشها ... ب على الرافضيّة ، أهل الضلال ؟
فمن ذا يساويك ؟ أو من يدا ... نيك ؟ أو من يقاويك يوم النزال؟[2]
لك الحال والقال في نحرشا ... نيك ، من ذا مواضٍ ، ومن ذا عوال
فياويلَ أعداك إن جُلْتَ أو ... قلت : ألله أكبر يوم النزال
يظن الغبيُّ بأن المفا ... خر كُثْرُ الحطام ، وكِبْر السّبال[3]
إذن لا دّعى الفخر فُطْسُ البِغا ... ل ، وتاه الحمير بكُبْر المخالي
ألم ينظروا الفخر ثوباً عليـ ... ـك ، وما تحته من جميل الخلال
وأنك أحمدُهُمْ في المقا ... ل ؛ وأنّك أحمدُهم في الفعال
سهرتَ الدجى وادّرعتَ النحو ... ل ، ونلتَ من المجد صعبَ المنال

(١) في (أ ، ب) : فإن التذكر .

(٢) في المطبوع وهامش (أ) : يوم النضال .. وفي (ب) : بإذا النضال . وفي (جـ) : فمن ذا يساويك .

(٣) في (ب) وكِثْر السؤال . وفي (جـ) : وطول السبال . والسبال : اللحية .

فأطلعتَ فضلَك بـدراً يضـ ـيءُ لمَّا لبست نحول الهلال [1]

وأحييتَ ليلك بالعلم حتَّـى دعاك الأنـام : سراج الليـالي

فمن أين للقوم هـذا الفخـا ر ؟ وأين من الإنس هول السعال ؟

ولكنـه مـا يقـول البليـ ـغُ إذا لم يكن منصفاً في المقال ؟

فخذها لحلق الأعادي شجًى وللأصفيـاء مساغَ الـزلال

وخذهـا كما شئتها فـيصلاً تفـرّق بين الحصى والـلآلي

تبثك شجو متاعي الـذي رميت به في كساد الرجال

تبثك شجو [2] غـريب الديـا ر ، غريب المتاع ، غريب المثال

ومن قال قبلـيَ : إن الخلا محال ، لعمـري أتى بـالمحال

فذي صرّتي مثلُ قلب العذو ل ، وذا منزلي منذُكَمْ وهو خالٍ

فدُم سندا غير واهي القوى [3] مبيد الأعادي ، مفيد النـوال

★ ★ ★

(١) في (ب) : كما قد لبست .

(٢) في (جـ) تبثك شكوى .

(٣) في (ب) : واهي القرى .

وقال مادحاً أحد الأفاضل بقصبة منوف ، من أعمال مصر :

لي في ادعاء المكرمات حقوق — فسلِ الزمان ، وإنني لصدوق
ولئن حُرمت الأتحميَّ مسهَّماً — واليومَ مال بجانبي التمزيق [1]
فالشمس تعرى بالغمام ، وتكتسي — طوراً ، وينبو العَضْب وهو رقيق [2]
لا غرو إن فخرَ اللبيبُ ونفسُه — في ذروةٍ يعنُو لها العيّوق [3]
لك يا منوفُ أجلُّ طودٍ ينتمي — وبه الفخار – كما علمت – يليق
لكنه هجر الفخار تعمُّدًا — والصبحُ يظهر نورُه ، ويروق
كالبدر عن مدح الورى في غُنية — والبدر لا يُهدَى إليه بروق
هو والفضائل كالربيع ونَوْرِه — وأنا وغيري للربيع مَشُوق
أسقَى الزمانَ سلافةً من بِشْره [4] — فلذا يعربد تارة ويفيق
أنا أيها (الأستاذ) قلبي واثق — بك ، وهو في أيدي الظُّبا موثوق
وأنا المشُوق أروم منك تعطُّفاً — فاعطف، فأنت على المشُوق شفوق [5]

★ ★ ★

---

(١) الأتحميّ : بُرد معروف ، والمسهّم : البرد المخطط .

(٢) العضب : السيف .

(٣) العيّوق : نجم أحمر مضيء ، في طرف المجرة الأيمن ، يتلو الثريا لا يتقدمها .

(٤) في النسخ ، والمطبوع : من شعره . والتصحيح من هامش (أ) .

(٥) في (أ ، جـ) ، والمطبوع : وأنا الشفوق . والتصحيح من (ب) .

— ٢٣ —

وقال مادحاً ومعاتباً بعض أحبائه وأصحابه :

بك الْتَام مولايَ شَعْبَ(١) المُنَى ... فدام لك السعدُ طول الدوامِ

طلعتَ (بمصرٍ) بُعَيْدَ الغيا ... ب عنها طلوعَ هلال الصيامِ

فهل يسع العينَ أن لا ترا ... ك وتقنع بعد الضيا بالظلام ؟

صرفتُ كثير التفاتي إليـ ... ـكَ ، وتعرف أني كثير الغرام

وما بي غرام لغير العلى ... ولا لي اشتياق لغير الكرام

فكيف قضيت لنا بالبعا ... د وعدلُك قد شاع بين الأنام ؟

وكيف انبعاثك في مجلس ... وليس به مطرب من كلام ؟

وما نافعٌ قربُ دار الهوى (١) ... ومن دونها مانع الاحتشام

فإن ترني فبعين أرا ... ك ، فإني أراك بعين التمام

وبالله إن لم يكن بالكلا ... م ودادُك لي ، فليكن بالسلام

★ ★ ★

---

(١) الشَّعب : الصدع .

(٢) في (جـ) : وما نافعي .

وقال يمدح أحمد آغا بقلعة الطور بمصر، وهو إذّاك كان دزداراً :

خذ العفو، وأمُرْ بالذي أنت أهلُه فتحتَ يديك النهيُ والأمر كلُّهُ
ولا تنس أضيافاً على جودك ارتموا وإن كان معروفاً فإنّا محلـه
تبصَّر بنا، وازرع جميلك عندنا فزرعُك فينا لا يضيع مَغلُّه
أنا الكوكب السيّار في كل بلدةٍ تراعيه أعيانُ العلى وتجلـه
تطوف على سمع البلاد قصائدي ويخدمني سهلُ الكلام وجزله
أنا ابن الذين استوثقوا صهوة العلى ودَرَّ لهمْ وبْلُ السخاء [1] وطلُّه
نرى الذلّ في شكوى الزمان لغيرنا ولو سكنت في حبّة القلب نَبلُه
ولا خير في فضل الفتى بين قومه إذا لم يوارِ صدمةَ الدهر فضلُه
وإني لصبّارٌ لدى كلِّ صدمةٍ وكلُّ حسام لَيس تدريه فابْلُه
أضاع دنيءُ الأصل فضلي، ولم يضع، ويكفي سخيفَ العقل في الناس جهله
ويا رُبَّ باغٍ سلَّ سيفاً، وجاءني فكان بسيفٍ سلَّه فيه قتلُـه
وكلْنا جزاء الغادرين لغدْرهمْ وكل امرىء منا سيجزيه فعلُه
فلا يَشمتِ اليوم العدَا بمصابنا لعل غداً يأتي لهم فيه مثله
هو الدهر يمسي المرء في ليل أمنه وقبل انشقاق الفجر يدهيه ختله [2]
وما جرّب الأيام والدهر وارعوى من الناس إلا كل من تمّ عقله
لعمري لقد صاحبتُ دهري وأهلَه فلم أر إلا ما أرى وأملّـه
سوى حضرة (الآغا) رعى اللهُ قدره ودام به في قلعة الطور عدله
فأحمدت منه (أحمداً) لا أذمه وحُمِّلت منه نائلاً لا أقِلّـه

---

(١) في (جـ) : وبل السحاب .

(٢) في (جـ) : يدنيه ختله .

نزلنا فحيّانا ، وحيّت رجالُـه ... وكاد يحيّينا من الطور أثلـه

فأسفر كلٌّ عن أصالة غَرْسه [1] ... وفعْلُ الفتى يُنبي إذا غاب أصله

سأذكرهمْ في كل أرضٍ حللْتُها ... وذكْرُ الفتى للحشر يمتد حبله

أمِنّا به الأعداءَ من كل جانب ... ولولاه لم تُسلَك من البر سُبْلُه

فلا زال كهفَ الخائفين جنابُه ... ولازال مجموعاً كما شاء شملُه

★ ★ ★

(١) في (أ) : فأعرب كلّ .

وقال من محاضراته بالمدينة المنورة صحبة شمس الدين أفندي ، ويخاطب مريضاً [١] :

زال عن جسمك الذي أمّه الفضـ ـل به ، لا ضمائرٌ وعظام [٢]
أي جسم يندى فينْشَق ريّا ه ، وتُثني بالدرِّ عنه المسام ؟
فكأن المسامَ أفواه مدحٍ ملأتها بالدر قبلي الكرام
غربة الشكلِ دونها غربة الأهـ ـلِ ، وكلٌّ به الكريم يضام
غربةٌ كالليال بالحظ حبلى وزفيري منها توءام تَوْام [٣]
لم يضق منه وهو ضيف ، ولكن رُبَّ ضيفٍ يملّ منه المقام
قصدتْك الأعيان حتى المعاني والمعاني من بعضها الأسقام
ثم زالت وأقبلت صلة الأجـ ـر عوافٍ تحكي نداك ، جسام
بأبي أنت ركن فضلٍ وللكلّ التماسٌ من حوله واستلام
لك همٌّ وهمةٌ ، ولك الطَّوْ ل ، وعارٌ أن لا يهمَّ الهُمام
أنت ممّن تَضْنَى القلوب إذا اعتلّ وتَشفى ببرئه الأجسام
أقبلت نَضرةُ الشفاء ففرَّ الـ ـهمُّ ، واستتبعت به الآلام [٤]
ما بقي في الأنام والحمد للّـ ـه مريض إلا الجفونُ السِّقام

★ ★ ★

(١) في (ب) : وقال مهنئا لبعضهم بالعافية .
(٢) في هامش (أ) : آمله الفضل .
(٣) التؤام : المولود مع غيره في بطن ، من الاثنين فصاعدا ، والجمع توائم . والمقصود تتابع الزفير ، فكأنه يزفر في المرة الواحدة مرتين .
(٤) في (أ ، جـ) ، والمطبوع (أدركت نصرة) . والتصحيح من (ب) .

وقال – عفا الله عنه – مادحاً بعض الأكابر :

قل لمن رام أن يدانيك مجدًا : أَقْصِرِ اقصِرْ ، أطلت يا مغرور
نحن بيت لنا التقدم بالفضـ ـل ، على رغم من له التأخير
كل فردٍ منّا له كلَّ عصر فلَكُ المجد بالتهاني يدور
نحن بيتٌ لنا نصيب من النصـ ـر ، وحظٌّ على العدا موفور
نحن ما بين (ناصر) و (أبي النصـ ـر) ، ويكفيك والدي (منصور)[1]
قدوة العلم ، زبدة الحلم ، صدر تتعالى بأخمصيه الصدور
كان نجم الهدى ، وها أنا والنا سُ تراني : شهابُه المستنير
أنا كيدُ العدا ، وكوكب إقبا لي على ظلمة الحسود ينير
كم عدوٍّ كالوحش ينفر من حيـ ـثُ يراني ، وقلبُه مذعور
همي مستبدة ، وفخاري كلساني بين العدا مشهور
قسماً إن حاسديك لأموا تٌ ، وما يلبسون فهي القبور
فاقتطف أنت زهرة الحظ ، وانعم حيث باعُ الحياة منهم قصير
وابْقَ ، واستبق نعمة الله بالشكـ ـر ، تزدها ، فقد يزاد الشكور
واسْرَحِ الطرفَ في برود مديح لم يَحكْها غيري ، وأنت خبير
لك فصّلتُها فجاءت على العيـ ـد ، كما شئتها وشاء السرور
والذي حثني هو الودّ والإخلا صُ ، لا المَذْق والحطام اليسير[2]
أنا أولى بأن تصون ودادي مثلما بالمديح أنت جدير

(١) في (ب) مكان البيتين بيت واحد ، مكون من صدر الأول وعجز الثاني .

(٢) المذْق : من قولهم مذَق الودّ ، أي لم يخلصه .

رُبَّ مدح يُزهَى به الغير كالحَلْـ ـيِ مُعارًا يُزهَى به المستعير

هان من أمّ بالمديح أناساً يستوي الشعر عندهم والشعير

همم رثّةٌ، وألسنةٌ غُلـ ـفٌ، وأيدٍ أكفُّهن صخور

ضاعَ شعري بين الكبار كما ضا عَ سفاهاً بين العُراة البخور

من مُعيني؟ دهري اللئيم، أم الحظّ المنافي، أم الحبيب النفور؟

كيف أرجو الخلاص بين ثلاث ويدُ الكلِّ في قفاي تجور؟

★ ★ ★

وقال – رحمه الله – مهنئا بعض أحبائه :

تهنَّ على حين ارتقيْتَ اللياليا ... وقُدْت الأماني حافلات كما هيا
وكم شدةٍ حتى استدرَّيتَ ضرعها ... وكم قلق حتى اطمأنيت راضيا
حمدنا لك الله ارتياحا لفضله ... كثيرا ، وأكثرنا هناك التهانيا
وبالله قل لي بعد ذا الحظ كلّه ... أهنِّيك جهدي أم أعزِّي الأعاديا
همُ أبصروا من غرسك الغصن مثمرا ... وما كان من غرسٍ لهم صار ذاويا
فهبّت سَمُوم من لظى نظراتهمْ ... إليه ، فكان الله إذاك واقيا
على ابنك عينُ الله من كل حاسد ... وليس يبيح الله ما كان حاميا
ولازلت تاج العارفين إلى العلى ... كما شئت أو شاءت مساعيك راقيا
ولا عصفت ريح بما أنت غارس ... ولا صدَّع التفريق ما كنت بانيا



— ٢٨ —

وقال – عفا الله عنه – في صدر كتاب :

سلام محبٍّ رقّ حالا ومنطقا ... وجسما ، ومن يهوى يرق ويسقم[١]

لـه كل آنٍ أنّة بعد أنّـةٍ ... لظاها على أعضائه تتـقسّم[٢]

فمن يخبر النائين أن أضالعي ... على عهدهم محنيُّها لا يقوّم ؟

وأن اشتياقي بالأصائل والضحى ... بقلبيَ منه موضع الشوق مفعم

★ ★ ★

— ٢٩ —

وقال رحمه الله تعالى :

إلٰهي جعلت متاعي القـريضَ ... وقد صار عندي يعدّ السنينا

ولِمْ لا ؟ وقد دَرستْ سوقُه ... كأطلال أربابـه الأقدمينـا[٣]

ولابـد للشعـر مـن رازق ... فياويل من يقصد الباخلينا[٤]

أقطِّف من روض شعري لهمْ ... فـأنثر وردًا على نائمينـا

فيـارازق العـالمين اغنِنـي ... بـفضلك أن أقصد العالمينـا

فهـا أنا ذا شاعـرٌ واقـف ... ببـابك يـا أكـرم الأكرمينـا

★ ★ ★

(١) هذه المقطوعة ساقطة من (ب) . وفي (جـ) : راق .

(٢) في (جـ) : إثرأنة .

(٣) في (ب) : كأطلال أصحابه .

(٤) في (ب) : فياويح .

وقال – عفا الله عنه – في عتاب الزمان وذويه :

طمّنْ فؤادك ، أي حُرٍّ ... لم يُرَعْ بالخطب قلبُهْ ؟
ودع الملام ، فَداءُ مَنْ ... عالجتْ في التسليم طبُّه
لا تكثرنْ هلاّ فعلْـ ... ـتَ ، عليه ، فالفعّالُ ربُّه
المرء يصعب جهده ... ويلين بالمقدور صعبُه
لا تتّهمني فالمؤا ... خَذُ في الزمان النذل نَدْبُه[1]
وأبيك من زمن الترعْـ ... ـرُع لم يزَلْ دأْبي ودأبه
ومن العجيب لدى اللئا ... م عطاؤه ، ولديّ سلبه
يا دهرُ مثلي لا يقلـ ... ـقل عن سنام المجد جنبه
أنا لا أبالي إن رُميـ ... ـتُ ، وسبَّ عرضي مَنْ أسبُّه
السيفُ يُرْمَى بالفلو ... ل إذا فشا في الناس ضربُه[2]
والعين يُدميها الذبا ... بُ ، ويُعجز الآسادَ ذُبُّه
والتبْر يعلوه الترا ... ب ، ولا يضرّ التبْرَ تُرْبُه
وأبيك ما نكب اللبيـ ... ـبُ ، وفضلُه باقٍ ، ولُبُّه
هم يعرفون بأن نجـ ... ـمي يحرق الطاغين شهبُه
والصبر يْرقيني إذا ... وثبَ الزمان ، وعضَّ كلبُه
إن مجّني قومي فإن ... الموت ليس يصوغ شربه[3]

(١) الندب : الخفيف في الحاجة ، الظريف النجيب .

(٢) في (ب ، جـ) : إذا فشا في الصلد ضربه .

(٣) في (ب ، جـ) : إن مجني قوم .

أو قيل : قد ملّوه فالسـ ـمُّ الذعاف يُمَلُّ قربه

أمـا الملال فإننـي عُوِّدتـه ممن أحبّـه

وإذا تكلّـف في الـودا د أخو الوداد ، فكيف قربُه ؟ (١)

فاطوِ البساط فالاختـلا طُ قد انطوى في الناس سربه (٢)

والشعر أخلف نوؤه وتقشّعت في الجوِّ سحبه

مازال تلفحه سمُو مُ البخل حتى جف عشبه

كم ترتجي صنماً سوا ءٌ فيه مدْحته وثلبه

مستنكرُ الأنساب جعـ ـدُ الكفِّ ، جعدُ الوجه ، صُلْبُه

أُخيَّـي من يك شاعـرا فالخالق الرزاق حسبه

والرأس رأسُ المال إن يسلم فليس يقلّ كسبه

وكفى فتى العرفان خلاّ نًا فضائلُه وكُتْبُه (٣)

فعلامَ ترغب في سَرا بِ من شخوص الآل سربه ؟

يتقلبون مع الزما ن كأن حرْب هواك حربه (٤)

يشقى النجيب بهم ويُسـ ـلِمُه إلى الأعداء صحبه

وإذا جنى فكأن سلـ ـطان الذنوب الدُّهمِ ذنبه

فوجوههمْ طلل به يوم اللُّحى قد طال ندبه

وأكفُّهم قفرٌ أُميـ ـت الخصب فيه ، وعاش جدبه

ذهب الذين يعيش مثـ ـلي بينهمْ ، ويموت كربه

وبَقي الذي تضني العيو نَ حِلاه ، والأسماعَ كِذْبُه

---

(١) في (ب ، جـ) ، والمطبوع : فكيف غربه . وفي هامش (جـ) فكف . ولعلها : فكف قربُه .

(٢) في المطبوع : فالانبساط .

(٣) في (ب) : رسائله وكتبه .

(٤) في (جـ) : يتنقلون مع الزمان كأن حزب هواك حزبه .

مـن كل محلـول الـوكا ء ، مثقّف القضبان ثَقبُـه
لا بالعريـق ، ولا الصديـ ـق ، ولا الذي يرويك قعبه
مـن كل مَفْـرِيٍّ الأديـ ـم ، بصعدة السروال عقبه
يمشي ويمسح مـن معا طفه ، وكعب الشؤم كعبه
طُـولٌ بـلا طَـوْلٍ وأشـ ـهى ما يُرى للعين صَلْبه
ومـن العجـائب أن يملّ ولا يملّك قـطُّ عَتْبـه
آأخيّـى ، مـثلي لـيس تهـ ـدَى عن مُثار النقع شهبُه
لابـد مـن شرر يعـمّ الجوَّ والأعـدا مَصبُّـه
فـارقبْ خفـوقي إن سكنـ ـتُ ، فعاصفي يُرجَى مهبُّه
لا ينظـر الحساد حـا لي ، إنما المنظـور غِبُّـه
أوَ مـادروا أن الحسا م يُفَلّ ، ثم يُحَدُّ غَرْبُـه ؟
والبـدر يشرق في المطـا لع بعد ما أخفـاه غربـه
والـروض يذبـل ، ثم يكْـ ـسَى النَّوْرَ والأوراقَ : قُضْبُه
والـداء إن يومـا يشفّ فبالتـداوي يُشفَ ربُّـه
والدهـر إن يؤمَـنْ بغفـ ـلة لذةٍ يفجـأك خطبُـه [1]
لا يخدعـنّك سلمُـه فوراء سلم الدهـر حربُـه

★ ★ ★

(١) في المطبوع : والدهر إن تأمن نو ائبه فقد يفجأك خطبه.

وقال مخاطباً لأرمد اسمه صلاح الدين ، بمصر القاهرة :

سمعت أنّ بعينَيْ سيدي رمدا فقلت : ليت بعيْنِي ذلك الرمد[١]

وليت أعضاء جسمي وهي مَنْزِلُهُ لو عاد يصلح منها للفدا جلَد

إن رمت تنظر[٢] فعل البين في جسدٍ فانظر إليّ ، فإني ذلك الجسد

أنا الغريب الذي إن مات في بلدٍ لم يَرْثِه غير جاري دمعه أحد

إذا بكى كتبت في الأرض أدمُعُه : ألعشق لا ينقضي ، أو ينقضي الأبد

يندى الثرى من عظامي كلما بَليتْ ولا يزال عليه ينبت الكمد

علاقةٌ لي بـ (الشهباء)[٣] ماذكرتْ إلا استفاضت دما من مقلتي الكبد

دارٌ عرفتُ بها اللذات عن كثب[٤] وأنت يا سند العلياء لي سند

إذ للهوى بيننا صِرف ونحن على جاه الصِّبا[٥] في تعاطيه فمٌ ويد

تقضي الليالَي غيًّا[٦] ، وهي من حنَق نكاد بين شرار النجم تتقد

وبعد ما بلغت منا النوى أرَباً واستخلفت من شبابي بعدك الجَدَد[٧]

أمستْ بصُبْح الغنَى الأسفارُ توعدني[٨] ولم يزل يتمادى بيننا الأمد

حتى التقينا وضاءت منك أوديتي فكنت أنت الذي كانت به تعِد

(١) الرمد : اسم ليت مؤخر ، فحقه النصب .

(٢) في (ب) : تبصر ، وفي المطبوع : تعلم .

(٣) الشهباء : حلب .

(٤) في (أ ، ب ، جـ) : عقرت بها اللذات . والتصحيح من المطبوع .

(٥) جاه الصبا : كذا في النسخ ، والمطبوع ، ولعلها : جام الصبا .

(٦) في (أ ، ب) ، والمطبوع : عناءً ، وهو خطأ .

(٧) في (ب ، جـ) ، والمطبوع : مني النوى . والجَدَدَ - بفتح الجيم - الأرض المستوية .

(٨) توعدني : يقصد تعدني .

يا قلبُ خلِّ الجوى ، وانظر تحيّته   فقد تلقّاك منها الثلج والبَرَدُ

إن عيّدتْنِي قبل العيد طلعتُه   فاليوم لي ، وليكن للآخرين غد

وإن أكن بمديحي فيه منفرداً   فإن مجد (صلاح الدين) منفرد

ما قلت : في مصر لي عيد أُسرّ به ،   لو لم أجد من (صلاح الدين) ما أجد

★ ★ ★

(١) هذا البيت ساقط من (ب) .

وقال يمدح الشيخ نجم الدين أفندي ، الأنصاري ، الحلبي ، عفا الله عنه :

من يُدخل الأفيونَ بيتَ لهاته فليُلقِ بين يديه نقد حياته[(١)]
وإذا سمعتم بامرئ شَرِبَ الردى عزُّوه قبل وفاته بمماته[(٢)]
أو قيل : ملّته الصحابُ وملّهمْ ، لا تعذلوه ، فذاك من عاداته
ما شأنه وحشاه يؤوي أرقماً[(٣)] لا يستفيق الدهرَ من وثباته
لو بأُنْثَيْنَ رأيتِ حِبَّكِ قبلما الأفيون أنحله ، وحلّ بذاته
في مثل عمر البدر يرتع في ريا ض الزهر ، مثل الظبي في لفتاته
من فوق خدّ الدهر يسحب ذيل ثو ب مناه أنّى شاءَ ، وهو مُواته[(٤)]
وتَرَيْه إن عبَث النسيم بقدّه ينقدّ شروى الغصن في حركاته[(٥)]
وإذا مشى تيها على عشاقه تتقطّر الآجال من خطراته
يرنو فيفعل ما يشاء ، كأنما ملَكُ المنيّة صال من لحظاته
: لرأيتِ شخص الحسن في مرآته ورفعت بدر التِّمِّ عن عتباته[(٦)]
حُسْنٌ ولا (كَيْف) يخالط ذاته والآن صار (الكيفُ) بعضَ صفاته
(والكيف) حقد إن تشبَّث بامرئ لم يُبق للرائين غيرَ سماته
أسفاً على زمن الشباب ، وحبذا زمنُ الصِّبا ، واللهوُ في ساعاته

(١) كذا في النسخ ، والمطبوع . ولعلها فقدُ حياته .

(٢) في (أ ، جـ) ، والمطبوع : بعد حياته بمماته . والتصحيح من (ب) .

(٣) في (ب) : مأوى أرقم .

(٤) في المطبوع : ثوب مناه بين الناس ، وهو مُواته .

(٥) شروى الغصن : مثله . وفي المطبوع : وتراه . ولعل الصواب : ورأيتِ .

(٦) في المطبوع : من عتباته .

أيام لا أخشى الزمان ، وكان كالأ صحاب منطويا على عِلاتـه
مازال يغضي طرفه عني وأنـ ـهبُ منه صفو العيش في غفلاته[1]
حتى تبدّل واستحال كأنـه أخلاق (نجم الدين) في حالاته
مولى إذا الجاني أتاه بهفـوة لم يلق غير العفو عن هفواته[2]
وإذا نهت هُجراً إليه نهاتـه كان الجواب بقدر ردّ نُهاته
وإذا تصدى للعلوم مُباحثـا لا يكشف الكشاف عن غاياته
لو نال حبرٌ بالعلوم نبـوّةً لأتتـه مسرعـةً لمعلوماتـه[3]
يا من يرى الجاني بنيِّر وجهه آثار كظم الغيظ قبل فواته
إن يجن ذنبا من يوالي مدحك الســ ـامي له كالورْد في أوقاتـه
لا غرو أن يكبو الجواد[4] ، وقلّما يخلو لسان المرء من فلتاتـه
فاستبق ودّك بالسماح ، فهكذا الإ نسان مبنـيٌّ على عثراتـه
واصفح ، فعبدك قد أتاك بشافع إن لم تجاوزْ أنت عن زلاّته
عذراء تُجلَى في محبَّر طرسها تُملي عليك السحر من نفثاته
تختال في مسكيِّ بُرْد سطورها جاءتك من دارين في نفحاته
من كل سطر للضغينة قاطعٍ فكأنه منشار عُمْرِ عُداتـه[5]
فهمُ الجبان يحوم في ميدانـه ويعود خوفاً من قنا ألِفَاتـه
فافتح لها باب القبول ، فإنها ستُعدّ عند علاك من حسناته
لازلت باللطف الجميل محبّبا في الدهر ، مثل الخال في وجناته
ما بات مُغرَى الحبّ في لوعاته وانفكت الراحات من راحاته

★ ★ ★

---

(١) في (جـ) : وأنهب صفو طيب ....
(٢) في (ب) : غير الصفح .
(٣) هذا البيت موجود في (ب) فقط . وفيه مبالغة ظاهرة .
(٤) في (ب) : لا غرْوَ قد يكبو .
(٥) في (جـ) : عين عداته .

— ٣٣ —

وقال :

غرستُ لكم في المدح ما اخضرّ عودُه ... وألقت عليه الزُّهرُ عقداً من الزَّهْرِ
وصارت عيون المشفقين قلائداً ... عليه ، وعين الحقد تنظر عن شزر (١)
وقلت : ستندى بالثمار أناملي ... فما كان إلا أن قبضت على جمر
وعدت كما عاد المسيء مذمّماً ... أغص بسكري ، وهو يحسب من وزْري
وما ساء حظًّا كالذي اجتلب الهوى ... وأسلمه محض الوداد إلى الهجر

★ ★ ★

— ٣٤ —

وقال (٢) :

أنا التارك الأوطان ، والنازح الذي ... تتبّع ركب العشق في زيٍّ قائف
ومازلتُ أطوي نفنفاً بعد نفنفٍ ... كأنّي مخلوق لطيِّ النفانف (٣)
فلا تعذلوني إن رأيتم كتائبي ... بكل مكان حلَّه كلُّ طائف
لعل الذي باينتُ عيشي لبينِه ... وأفنيتُ فيه تالدي قبل طارفي
تكلّفه الأيام أرضاً حللتها ... ألا إنما الأيام طُرْق التكالُف (٤)
فيملي عليَّ الدهرُ ما قد كتبته ... فيعطف نحوي غصن تلك المعاطف

★ ★ ★

(١) في (أ) من شزر .
(٢) هذه المقطوعة ساقطة من (ب) .
(٣) النفنف : المهوى بين جبلين .
(٤) في (جـ) : ظرف التكالف .

— ٣٥ —

وقال مضمنا [١] :

لا يدّعي بدرٌ لوجهك نسبةً فأخاف أن يسودّ وجه المدَّعي
فالشمس لو علمت بأنك دونها (هبطت إليك من المحل الأرفع)[٢]

★ ★ ★

— ٣٦ —

وقال مضمنا [٣] :

ولم يُبق حبُّ الغيدِ لي غير مهجةٍ وقلبٍ ، فقلبي ضاع في الحب من يدي
فيا مهجتي لم يبق غيرُك ، فاذهبي (فكل قرين بالمقارن يقتدي) [٤]

★ ★ ★

— ٣٧ —

وقال مادحا الأمير محمد بن فروخ [٥] :

عجبا لسيف لحاظ من أحببته يزداد صقلا مع طراوة حُسْنِه
ويظلّ يفتك بالأسود كأنما سيف (ابن فرُّوخ) بدا في جفنه[٦]

★ ★ ★

(١) هذان البيتان ساقطان من (ب) .
(٢) هذا الشطر من قصيدة لابن سينا ، يتحدث فيها عن النفس .
(٣) هذان البيتان ساقطان من النسخ ، وموجودان في المطبوع .
(٤) هذا الشطر .
(٥) اسم الممدوح من (ب) ، والمطبوع .
(٦) في (جـ) ، وهامش (أ) ، والمطبوع : أعير لجفنه .

- ٣٨ -

وقال (رحمه الله ، يصف بركة ماء) [١] :

انظر البركة التي تتراءى لمحيَّا الرياض كالمرآةِ
تَرَ خدًّا مثل اللجين تجلَّى بعذارٍ من انعكاس النبات

★ ★ ★

- ٣٩ -

وقال وهو بمكة المشرّفة ، صحبة عتاقي أفندي ، شيخ الحرم يومئذ ، في بستان حسن أفندي ، شيخ الحرم سابقا ، وذلك ثاني شعبان المعظم سنة ١٠٤٣ هـ [٢] :

لله يوم قد غنمنا به بفتية أيامُهُم تُغتنمْ
نجوم عرفانٍ بها يهتدَى إذا بدت غابت نجوم الظُّلَمْ
والروض قد ألبسنا عطره وثغره قابلنا ، وابتسم
فحيثُما دُرْتَ فنجمٌ بدا وحيثما ملتَ فعطرٌ نَسَمْ
لم أدر أيّ الزهر أبهى سنًى أشمْلُه أم شمْلُنا المنتظم
كأنما بهجة نُوّاره آثار (شمسِ الدين) شيخ الحرمِ [٣]

★ ★ ★

---

(١) ما بين قوسين من (ب) .

(٢) هذه المقدمة من (ب) . وفي (أ) : ومن محاضراته .

(٣) في (جـ) : أنوار شمس الدين .

— ٤٠ —

وقال يمدح شيخ الحرم المذكور :

جود (شمس الدين) شيخ الـ ـحرم المولى (عتاقي)
كل يوم نحن منه في اصطباح واغتباق
ورياض أجلستنا من شذاها في رواق
واجتماعٌ ربِّ لارُوٌ عتُ منه بالفراق
ورفاق كانابيب الـ قنا ذات اتساق
وأياديه التي منْـ ـها على الدهر بواق
أنا مهما أطلقتْ شكـ ـريَ منها ، في وثاق [1]

★ ★ ★

— ٤١ —

وقال دوبيت [2] :

من بعد فراق جيرتي بالشِّعْبِ أحببتكمُ لعلّ يُشفَى كَرْبي
داويت هوى أضنَى فؤادي بهوى مازاد عليَّ غير فقد القلب

★ ★ ★

---

(١) في المطبوع : من نداها في وثاق ، وهو خطأ ينكسر معه البيت .

(٢) هذان البيتان ساقطان من (ب) ، ونبه المطبوع إلى إسقاطهما عمدا مع البيتين اللذين بعدهما ، لكونهما بالعامية .

والدوبيت من الأشكال الشعرية التي دخلت إلى الشعر العربي في العصر العباسي من الأدب الفارسي ووزنه :

فِعْلن متَفاعلن فعولن فعلن فعْلن متَفاعلن فعولن فعلن

ودوبيت لفظ مؤلف من كلمتين : فارسية ، وهي (دو) ، ومعناه اثنان . وعربية وهي (بيت) . قالوا : سمي بذلك لأن القطعة منه لا تتجاوز بيتين . يكتب فصيحا وملحونا .

— ٤٢ —

وقال :

يا رب كم أقصد بالشعر سواك   والقصد يردّني إلى باب غناك
يا من جعلت ترابه ناصيتـي   قد صوّح نبتها أغثني بنداك

★ ★ ★

— ٤٣ —

وقال :

نحن في روضةٍ وماءٍ وظل   وعلينا مثل الغمام البخور
وحديث يحيى به دارس المجـ   ـد (١) ، ويغني جمانُه المنثور
ليس فينا إلا الذي يبعد الهمّ   إذا ما أتى ، ويدنو السرور
صاحبُ الفضل والشجاعة والجو   د ، ومَنْ عنده العسير يسير
وأمير الكلام فينا أميرا الـ   ـحجِّ ، مخدومنا الأمير الكبير
فكأنّا عقد الثريا اجتماعا   وكأن الأمير بدرٌ مُـنير

★ ★ ★

— ٤٤ —

وقال :

وأرى التولُّعَ بالدخان وشُربه   عوناً لكامن لوعة الأحشاء
فأديمُ ذلك خوف إظهار الجوى   فأشوبه بتنفّس الصُّعَـداء

★ ★ ★

---

(١) في (جـ) : دارس المحل .

— ٤٥ —

وقال موواليا [١] :

يا عاذلي لو رأيتكْ في الحرمْ حلِّيت وجيت خاضع ومن القول لي حلِّيت
لابد منك وإنْ عقد الهوى حلّيت[٢] وحياة عيني حبيبي عنك ما حليت

★ ★ ★

— ٤٦ —

وقال :

كل الفراسخ وأميال الفلا والبُرْد قطعتها وطويت الأرض طيّي البُرْد
والقصد ورد اللمى ياذا الخدود الوُرْد صدِّيتني ، والأعادي كل ساعة وُرْد

★ ★ ★

— ٤٧ —

وقال [٣] :

وكنت قرير العين ليلة وصلهمْ وقد صرت من يوم الفراق سخينها
أعنِّي بدمع يا خليلي على البكا فإن شؤون العين قلّ مَعينها

★ ★ ★

(١) المواليا : شكل شعري له وزن واحد خاص به ، وأربع قواف ، وزنه :
مستفعلن فاعلن مستفعلن فِعْلن مستفعلن فاعلن مستفعلن فِعْلن
بإسكان عين (فعْلن) ، وجواز حذف سين (مستفعلن) وألف (فاعلن) ، وينظم عادة مزدوجات ، أي كل بيتين على قافية ، وبعدهما على قافية أخرى ، إلى نهاية المنظومة . ويكتب فصيحا وعاميا . قالوا : وأول من نظم به موالى البرامكة في العصر العباسي ، حيث كانوا يقولون في آخر كل دور منه : يامواليا ، إشارة إلى سادتهم .
(٢) في النسخ : وأن عقدت أو حليت . والتصحيح من المطبوع .
(٣) هذان البيتان ساقطان من (ب) . وهما ليسا من المواليا . والشؤون : الدموع .

وقال يمدح نجم الدين أفندي ، الأنصاري ، الحلبي ، المشهور :

غيرُ جفاء الحسان يُحتَمل — وفي سوى الهجر يحسن الأمل
فخلِّ ما القلب فيه مضطرب — لبُعده ، والمزاج منفعل
وعدِّ عن نظرة رُميت بها — فغيرُ جرح اللحاظ يندمل
سمعت بالوصل ثم همت به — أكلُّ صبٍّ قبل الهوى غُفُل ؟
دنوت من منهل على ظمأ — ودونه البيضُ دونها الأسل
فمن زلال الوصال خذ بدلاً — فما لمثلي إذا قضَى بدل
همُ الظباء الذين إن بعدوا — قُتِلتَ شوقا ، وإن دنوْا قَتَلوا
السالبون البقاء إن رحموا — السافكون الدماء إن عدلوا
لا هُون ، لا يستخفّهم حَزَن — عليك ، يستحسنون ما فعلوا
ولا لقتلَى لحاظهم عدد — ولا لأطراف بِيضها فَلَل
همْ أحرمونا الخدود نلثمها — وكل وقتٍ يمسها الخجل
وحرّموا العطف قسوةً وهُمُ الـ — ـغصون ، والغصن شأنه الميَل
أولو الثنايا البَرُودِ سَلْسلُها — والمُقل المنتمي لها النَّجَلُ (١)
من فرق السحر فيهمُ اجتمعت — أسماء ، منها : الرضاب والكُحُل
من جعلوا الوردَ يستظل به الطلـ — ـع ، وأعلاه نرجس خَضِل
هي الأماني المبيد مَوْردها — وربَّ وِردٍ من دونه الأجل
ولي فؤاد أطاع ناظره — كلاهما بالمشيب مشتعل
فالطرف فيما عناه منهمر — وذا بما يعنّيه مشتغل (٢)

(١) النجل : سعة العين وحسنها .
(٢) هذا البيت ساقط من (ب) .

وذبت عشقا لم أدر ، أم سقماً بل فيَّ ما أعظمى له سبُل
بكل عضو إذا وضعتُ يدي يصدّها من صبابتي شُعَـل
أودُّ آهاً وليس تنفعني وكتمُها فوق علتي علل
أنا الذي في الأنام حيّره الـ ـحبُّ فما الإهتداءُ ؟ ما الحيل ؟
لا الرشدُ عندي ، ولا الفؤاد ، ولا الـ ـعقلُ ، ولا الصبرُ لي ، ولا الحِوَل
فمن لطرفي ؟ ومن لقلبي في الـ ـحبِّ ؟ ذا هائم ، وذا ثمل
خلقت صَبًّا كأنما خُلقتْ له العيون الفواتك النُّجل[1]
تُودِع أحشاه من كنانتها ودائعا ما اهتدى لها ثُعَل[2]
كمكر مات (الأستاذ) تودعه الـ ـجود ولا يهتدي لها البُخُل
الحرم المطمئن طائفه ومن ستسعى لركنه الدول
حاول من قبله العلا أمم والشعر قبلي ، وطالما عجلوا
فجاء كل بها وجاوزهمْ والعُرْج مسبوقةٌ ، وهم أُوَل[3]
لمن قوافٍ مثلي مسيّرةً ؟ إلى الذي فيه يضرب المثل
إلى الذي يُنْسَجُ القريضُ له فيحسن المدح فيه والغزل
إلى الذي انقادت العلوم له وكم أناسٍ بفضله فضلوا
إلى مُقيل الكرام إن عثروا إلى مجيب العُفاة إن سألوا
منير أفق العلا بطلعته ، نجمٌ ، ولكن على العدا زُحل
كمّله العلم . ثم هذّبه الـ ـحلم ، فسيان القولُ والعمل
أطلعه الفضلُ شمسَ معرفةٍ تكلّ عن درْك ضوئها المقل
مدحتُه والفؤاد منصدع وبي من الدهر حادث جلل

---

(١) في (ب) : القواتل النجل .

(٢) ثعل : من أسماء الثعلب .

(٣) في (ب ، جـ) ، والمطبوع : فجاء كل منا .

والطبع قد جف حيث لا نهَلُ ... من فيض دمعي ، وحيث لا عَلَل

والطبع راضٍ مع طول فقدهما ... وطول جهدي لو يسعف الأمل[1]

فما انتفاعي بالشعر أحْسِنُه ... كأنه الوَرْد ، والندى جُعَل[2]

ولي حظوظ في همتي قِصر ... عن مقتضاها ، وفي يدي شلل

أحاول الأمر وهي تحجبه ... كأنما حالَ دوننا جبل

ومن عنائي هوًى تكنّفني ... في طرفيه النحول والخَبَل

ومن شقائي سكناي في بلد ... ينبت نبتا بأرضها الدغل[3]

أضاعني الأهلُ والصديق بها ... ولم يُضعني الحرمان والملل

صحبتُ قوماً وما صحبت سوى ... ثياب عُجُب من تحتها عضل

ودادهمْ في الشفاه إن ضحكوا ... وبُغضهمْ في اللهاة إن سعلوا

ينتشر الحقد في محاجرهم ... كأنهم بالضغائن اكتحلوا

فخلّ بحث الصديق - قد طويت ... صحائف الودّ ، وانتهى الجدل

فكل خلٍّ علقتُ صحبته ... نَصَلْتُ منه وكلّه خَلَل

أطيعه الدهرَ وهو يعتبني ... كأنما طاعتي له زلل

يظن كتمي حديث فرقته ... له اضطرار ، لأمه الهَبَل

أما ولولا الهوى ومجهلة الصّـ ... ـبوة والناس كم بها جهلوا

لماعلى مثل صحبتي حصلوا ... ولا بحبلي ، حبالَهمْ وصلوا

إن يبغضوني فليس يبغضني ... روضُ يَراعي ، ولا الذَّكا الهَطِل

ولا العقود التي تقلّدها الدّ ... هْر عليها الأحقاد تشتعل

أما ومن صاغ منطقي دررا ... على أجلِّ الأسماع تنهمل

---

(١) في (ب ، جـ) : لو يسعف البلل .

(٢) الندى : الكرم . وجُعَل : الدابة المعروفة .

(٣) الدغل : الفساد .

والحِكَم السائرات من كلمي ... أقلُّها إن تذكروا : جُمل
لَكُلِّ نقلٍ عني أساءُ به ... أضْيَعُ عندي ممن له نقلوا
وكل شعر يلهيك رونقه ... فهُو لشعري الطراز والحلل
سلبت مُلكَ القريض خرَّدَهُ ... وأخبرَ القومَ بعديَ الطلل
فكن حكيما فيما ترى ، حَكَماً ... لا يَسْبقِ السيفَ عندك العذَل
أنا الذي إن مشى مشى ملكا ... وللقوافي من حوله زجَل
أنا الذي لا يطيل وحشته ... إلا جهول ، أو باخلٌ رذل
أنا الذي لا تملّ صحبته ... ولا بأسرار صحبه مَذِل[1]
ولا مضيعٌ لهم إذا حفظوا ... ولا حفيظٌ لهمْ إذا ختَلوا
مجرّدٌ من سوى قناعته ... وأكثر الناس همُّه الخول[2]
أنا الحسام الجُرَّازُ حلْيَتُه ... إذا انتفاه السميدع البطل[3]
وأنت ذاك السميدع البطل ... ياذرِبٌ ، ياهمامُ ، يا رجل
فلا تلمني إذا طرحتهمُ ... فكل ما لا يفيد مبتذل
وما لأمثالنا سواك فتى ... عليه بعد الإلّه نتكل
إليك أستاذنا قد انبعثت ... أناةُ خطوٍ يزجّها الأمل
تبثك الشوق عن فؤاد شجٍ ... شفَّاء لكن في ضمنها غُلَل[4]
أتتك مثنى ، وشوف أُثْلِثُها ... والحب ما فيه دامت الرسل
طبتَ فطابت ، والشعر جُملته ... كالناس ، فيه الصواب والخطل

---

(١) المذل : إفشاء السر .

(٢) الخَوَل : من معانيها العطية .

(٣) الجُرّاز : السيف القاطع . والسميدع : الشجاع .

(٤) الغُلَل : جمع غُلّة ، وهي حرارة الجوف من عطش ونحوه .

وأحسنُ الشعر ما امتدحت به مولى ، أقرّت بفضله الملل

فدمْ مكيد العدوّ ما بُكر الـ ـغرّاء مدت ساعاتها الأُصُل

وما حبتك الأيام رونقها وأنت مستبشر بها جذل

★ ★ ★

وقال يمدح الأمير عثمان ، ضابط منفلوط [١] :

بعثتْ إليك بِطيفها الآرامُ ... ومن الزيارة حسبك الإلمام
وإذا الحبيب نأى وراجعَك الكرى ... فالطيف حسبُك ، والمنى أحلام
أما أنا فجفون عينيَّ لم يكن ... إلا القتادُ لشخصهن منام
وكأن آماقي وتسكاب البكا ... طلل محته بمرِّها الأيام
وكأن ليلي عمر أيام النوى ... وكأنما ساعاته أعوام
وأنا الذي اعتلق الفؤادَ وجسْمَه ... لنوى الأحبة لاعجٌ وسقام [٢]
خصمان كلٌّ إن تحكّم قاتل ... ولمثل عشقي تُخلق الأخصام
أنا من له في كل أرضٍ أنّةٌ ... وقصائد مبثوثة ، وغرام
وله لأشباه المحاسن صبوةٌ ... ولوِرْد أمواه الجمال أوام
أنا من يميل له المخاطب نشوةً ... وكأن أنفاسي لديه مُدام
ويحيد عنه إن بدت زفراته ... فكأنها مما احتواه سهام
بيني وبين الدهر هيجاواتُ ليـ ... ـست تنقضي ما بيننا ، وصدام
مهما التقاني من نواك بجحفل ... عاينته ببقاك وهو لهام [٣]
فسل الصَّبا إن صافحتك يدُ الصبا ... هل عين عشقي مع جفاك تنام ؟
يا هذه إن أنت لم تدر الهوى ... لا تجحديه فللهوى استحكام
وأبيكِ كنت أحدَّ منك لواحظاً ... وبكلّ قلب من جفايَ كلام
والسحر إلا في لساني منطق ... والحسن إلا في يدي ختّام

---

(١) في (ج) ، والمطبوع : عثمان بك ، سنجق منفلوط . وكذا في (ب) ، مع إضافة (سنة ١٠٤٨) .
(٢) لعج البدنَ : آلمه .
(٣) اللهام : الجيش العظيم . وفي (جـ) : من جفاك بجحفل .

لدْن القوام ، مصونة أعطافه عن أن تمد يداً لها الأوهام
متمنّعا ، لا الوعد يدني وصله يومــاً ، ولا لخيالــه إلمام
حتى خَلقتِ السُّقم فيّ بنظرة ولقد يلاقي ظلمه الظــلاّم
وتنـوّعت أدواؤه ، فبطرفـه شكل الرقيب ، وفي الصماخ ملام[1]
ألفَ التجنّب في هواك ، فقربُه للناس بعدك حظـوة وسلام
ولقد لقيت من الزمان وأهله ما لا تقوم لحمله الأقـدام
أو ما تريني مُعرِضا ؟ أو لم ترْي هل فيهمُ من يُرتجَى فيُسام[2]
إلاّ الأمير أبو الندى والمجد (عثـ ـمان) الهمام ، الأصيد ، القمقام[3]
الخائض النقع الذي من دونه يدني الحمامَ لغيرهْ الإحجامُ
بطلٌ إذا ما الحرب خاض قتامها شررُ العوابس فهو فيه ضرام[4]
يذر الخميس ولا التئامَ لشمله ومع الحِمام الشملُ لا يلتام
وترى العداةُ من المهابة جحفلا تغشاهـمُ في مثلـه الأحـلام
أسد إذا نظر العداةُ حسامَـه فقلوبهم قبل الجسوم حطـام
فكأنـه الديـن القويم مؤيّـدا بالله ، وانحطمت به الأصنـام
سيـف تقلّـده الزمـان مهنّـدا والناس خلق ماعداه كَهـام[5]
الطيّب الميلاد من أفعاله الـ ـحسنى ، ومن آرائه الإلهام
هو والفضائـل ديمة وحديقـة والنــاس عين نحوه ونيـام
والحِلـم روضٌ خُلْقه نـوّارُه والآخرون الرمث والقـلاّم[6]

(١) الصماخ : الأذن .
(٢) في (جـ) : إمّا تريني .
(٣) القمقام : السيد . وفي (جـ) : ذو المجد .
(٤) في المطبوع : قناعها . وهو خطأ . وفي (جـ) : شرر القوانس .
(٥) الكهام : السيف الذي لا يقطع .
(٦) الرمث : شجر يشبه الغضى . والقلاّم : نوع من النبات .

والجود بحر وهو درٌّ يتيمه ... والمجد بيت وهو فيه قِوام [1]

يا مصدر الورّاد وهو غمامة ... ومصادرَ الحسّاد وهو حسام

وافيتَ عصرك والشجاعة كالندى ... وهما كديباج القريض وسام

فأعدتَ من أزمان كلٍّ ما مضى ... وفعلتَ ما لا يفعل الصمصام

وبعثتَ سحب نداك يخفق برقه ... ففَداك من بالشام لمّا شاموا [2]

فأتوك يستشفون منك بنظرةٍ ... تُشفَى بها من مثلنا الأسقام

فأشدَّ ما التقت المروءة والندى ... بفتًى ، ومدّتْنا به الأيام

فاللّهَ نسأل أن تدوم لنا ، وأن ... تفديك من أعمارنا الأعوام

ويديم نجلك يا همام لمجده ... حتى يقال : ابن الهمام همام

مولاي ذا النورين دعوة نازح ... آماله بعد النقا الآلام

قلق الركاب لغربةٍ لا تنقضي ... ومع التغرب يقلق الضرغام

تركته معرفةُ الورى في وحدة ... الرهبان ، لولا دينه الإسلام

وأبى يعتّب غير بابك قصده ... إن العيون لها الرءوس مقام

مَنْ غيرُ فضلك ضامن لرعاية الشُّـ ... ـعراء ، أو لمتاعها مستام ؟

وأكفُّ هذا الناس مثلُ قلوبهمْ ... ينحتُّ منها (يذبل) و(شمام) [3]

إنعامهم يوم النوال لمدحةٍ : ... لا فُضّ فوك ، وحسبك الإنعام

سيّان عندهمُ فحول الشعر والـ ... ـمستنْحلوه ، كلاهما نظّام

دعني وغيرك فالقصائد حِلُّها ... إلا عليك ، على الجميع حرام

ذهب الزمان فجئتَ نقطة نونه ... فافخر فإنك للزمان ختام

---

(١) قوام الأمر : نظامه وعماده .

(٢) شام البرق : نظر إليه أين يمطر .

(٣) يذبل ، وشمام : جبلان .

ولقد قصدتك والأماني صحبتي ، واليأس قافٍ ، والرجاءُ إمام

متفرّسا أني سأرجع حامـدًا يومي ، ون القصد فيك تُؤام

وعلمت أني منك أجتلب الغنى لمّا مدحتك ، والهموم نيام

إن تصطنعني تصطنع لك شاعرا سجدت لمحكم شعره الأفهام

صعب الشكيمة ، لا يذلّ للذّةٍ وبنفسه العصمـاء ساد عصام

تجد الأعادي العُدْم فيه ، وإنما عدَمُ السَّخاء .. وحقّك - الإعدام

أنا عين علم الشعر ، جدّد رسمه ولجا إليـه ميمُـه والـلام

ويحق للشعراء أن يتكفكفـوا عن حومةٍ شعري بها المقدام



ـ ٥٠ ـ

وقال يمدح مصطفى عزمي أفندي . قاضي مصر [١] :

تِه ما استطعت ، فغيرك المملول ... يا من به كل الأنام عذول

أما هـواك فآخـذٌ بقلوبنـا ... فكأنـه الآيـات والتنزيـل

ولنا بخدك آية لا تمّحـى ... حسنا ، كما للصبح فيه دليل

فكأن وَرْدًا ، أو كأن بنفسجًا ... يمسي ويصبح ، بالحيا مطلول

وبكأس ياقوت الشفاه مُدامةٌ ... صحبتْه من صرف الجنان شمول [٢]

في حفظ نجلاوين ، حدُّ ظباهما ... كل النفوس به دم مطلول [٣]

آجالنا فيه الفرند كأنـه الـ ... ـمرآة شكلا ، وهو فيه شكول

صنم لبستُ الغيّ فيه ، وبزّتي ... أثواب عافيتي ضنًى ونحول

عجبا ! أحلّ دمي ، وما جنس الدما ... من شأنه التحريم والتحليل

يجني فأرضى ، وهو ممتنع الرضى ... فكأنـني بجنايـة مشغـول

سلب الحياة ، وملني متنفرا ... وثناه عني كاشح وعـذول

لا يستميل الودُّ غصنَ قوامه ... فكما يميل إليك عنك يميل

يهوى التصابي ، والدلالُ يردّه ... وبـردِّه خط العذار كفيـل

في كل يوم لي إليه صبابة ... ورسائـل ووسائـل ورسول

وأميـل نحو محدِّثي بحديثـه ... فكأنـه مـاءٌ وفـيَّ غليـل

فالقلب صب إن دنا ، مذهول ... والصب قلب إن نأى ، متبول

---

(١) هذه القصيدة ساقطة من (ب) . وفي المطبوع : مصطفى عثمان أفندي زاده ..
وفي (جـ) بعدها : وهو قاض بمصر حينئذ .

(٢) الشمول : الخمر . وفي (جـ) صرف الزمان .

(٣) دم مطلول : مهدر . وهذان البيتان ساقطان من (أ) .

والعقل شيء لا لديّ ولا معي [(١)] ... والسمع باب بعده مقفول

أذكى نواه السهدُ فاحترق الكرى ... فرمادُه بمدامعي مجبول

فلذاك دمعي كالجماد مجسّد ... من مقلة قرحَى عليه تسيل

أنا والنهار عليه إن عزّ اللقا ... طرْفٌ ، ولكن بالقذا مكحول

والليل حُجْبٌ مثلها دون المنى ... يفنى المحب وذيلُها مسدول

والداء أقتلُه الرقيب ، وإنه ... في الحب كالحرمان فيه دخيل

جهل الغرام وحاز كل نتيجة ... ياليت مثلي في هواك جهول [(٢)]

أوْليت عشقي وهو أخطر علّة ... لو أن عاذلنا بها معلول

أوْليت من نصر الوشاة وملّني ... لا ذُبت عشقا فيه وهو ملول

أفنيتُ أيام الشبيبة حسرةً ... ويلاه ، لا ضمٌّ ، ولا تقبيل

وكأنما الأيام لم تسمح لنا ... فأبى يطوّق ساعديّ تليل [(٣)]

وكأن للأيام عهداً عندنا ... وكأنني وحدي به المسؤول

وتعذّر المأمول أوجه قصدنا ... قاضي القضاة ، فعنده المأمول

المُصْدِر العافين قبل ورودهمْ ... غرقَى كأن براحتيه سيول [(٤)]

والمُفْرِغ السحر الحلال قوافياً ... تزدان منه الغادة العُطبول [(٥)]

قاضٍ يسوق له الغريمُ غريمه ... حقداً ، ويرجع عنه وهو خليل

يقضي فيرضي الجانبين فراسةً ... فكأنما وحيٌ له التخييل [(٦)]

---

(١) في (جـ) ، والمطبوع : لا لديه ولا معي .

(٢) في (جـ) في هواه .

(٣) تليل : عنق .

(٤) سيولُ : نحويا سيولاً .

(٥) العطبول : المرأة الفتية الجميلة ، الممتلئة ، الطويلة العنق .

(٦) في المطبوع : أوحى له .

وفْدُ الشريعة روضةٌ زُهيت به ... والروض إن وفَدَ الغمامُ خضيل
يامن تقاد له الفضائل عسكراً ... والجهل جيش دونها مقتـول
حُزْتَ المحامد والمناصب يافعا ... وسعى لبابك شُيَّبٌ وكهـول
تمتاز في الفضلاء قدراً مثلما ... يمتاز دون الفـاضلِ المفضول
إن باحثوك فبحثُ قدرك مشكل ... ما غيرُ مولانا لـه التأويـل
أو شبّهوك فصبح فضلك شاهد ... أن ليس يوجد للصباح مثيل
أثنت عليك المشكلاتُ ، وعَقْدُها ... من قيد ألسنة الورى محلول
وسللتَ عزمك ، فالعلى صمصامةٌ ... يرتدّ عنها الدهر وهو كليـل
فاغمده حظي ما استطعت ، فإنه ... جفن لعضبٍ ليس فيه فلول
أنت الكريم ، وجَدُّ مثلي عاثر ... فأَقِلْ عثاري ، فالكريم مُقيل
أنا من أباح له النجومَ قوافيا ... طبعٌ له ماضي الغرارِ، صقيل
أنا بدر آفاق القريض من الصِّبا ... وشموس فضلي في البلاد تجول
أنا وارث الكلمات عن هاروتها ... ولديك منه شواهدٌ وعـدول
أنا من رأيتَ الناس ثم رأيتَه ... فامتاز عن ماء الحياة النيـل
فانقده نقدك للرجال فإنه الإ ... بريز ، لكن جلّته وحـول
ولقد أُجِلّك أن تكون ولم أكن ... في موقف للشعر فيه دخول
والعشق حَزْن لا يجاب ، وإنما ... مثلي له كل الحزون سهـول
ركب المنايا أينُقاً ، ورمى بها ... في مهمهٍ فيه الغدوّ قفـول
لا يترل اللذاتِ وهي مذلة ... ومتى تعزُّ النفس وهو ذليل [1]
خشن الثياب ، وأروع في حَلْيها ... فاعجب لليثٍ والثياب الغيل
ملّ الزمانَ وكلّ من أمّلتـه ... إن لم يُفدك صنيعه مملـول

---

(١) في (جـ) ، والمطبوع : لا يترك اللذات .

ينحكُّ في طمريه مثل الدرفي الأ صداف ، لكن في الثرى مبذول

وكفى بمثلي أن بين ضلوعه نفساً لها مرقى النفوس نزول

ولئن تكن شُقّت جيوب ملابسي لتُجرّ لي في العاشقين ذيول

لا يُعلمُ العضبُ الثمينُ نجادُه ما لم يكن من غمده مسلول

وإليكها غرّاء مثل فم المنى جاءتك في حلل العفاف تذيل [1]

في مَنْعة عن أن تماشي ظلها الأ طماعُ ، أو يقتادَها التطفيل

تشتاق رؤيتَها العيون ، كأنها رقم الخدود محبّب وجميل

ومقالها عند الكرام كأنه عتب الحبيب ، على الرضى محمول

فاستجلها زُهرًا عُلاك سماؤها والبدر أنت فلا لقيك أفول

أما وسؤددك المجسّد فضله قسماً ومجدك فيه وهو أثيل

ما كنتُ لولا أنت أهلَ قائلاً شعراً ، وإني إن ترِد لقؤول

فالمجد أنت وكلهم لك طالبٌ والفضل أنت ، وما عداك فضول

★ ★ ★

(١) تذيل : تتبختر فتجر ذيلها . وفي (جـ) ، والمطبوع : ملء فم المنى .

وقال يمدح الأستاذ أبا المواهب البكري . بمصر المحروسة (من بحر السلسلة)[١] :

يا مبتدع العذلْ ، إن عذْلكْ إشراك ... عذراً لعذارْ رُميت منه بأشراك

للناس غرام يا عاذلي ، وغرامي ... من سرب ظبا النقا باللَّعَس مضحاك

تسبيك بديباجْ خدّهْ شعْـرات ... قد نمنمْها السِّحرْ ، والجمالْ لها حاكْ

تالله وما الحسنْ غيرْ حسنْ غدار ... فانظرْهْ وسلني[٢]، فقدْ تُريكْ عيناك

ما خط عذارهْ سوى حسْنات ... يارب أرجو بذي الصحيفهْ ألقاك

يا بدر كما جيت للخسانْ ختاماً ... المسكْ ختاماً أتى لحسنْ محيّاك

أقسمتْ بسطر كاللازورْد ، بخَدْ ... كالعسجد حلّته وجنتاكْ فحلاّك

ما فيك سوى نقضك للعهد معيب ... فافعل ، ففؤادي على فعالك يهْواك

أنعمت صباحاً يا من بدا كصباح ... والليلْ بخير من الذوائب مسّاك

ما شئت فردني أذىً أزدْك ودادًا ... ما أجهلْ من يدّعي هواك ويشناك[٣]

قد كنت وكنا وأنتْ بدرْ دُجانا ... واليومْ فَلِمْ يا هلال نُحَرم رؤياك

هل كان من الرشد أن تقاطع مثلي ... ياحِبْ ، وتنقاد مع غواية نهاك

---

(١) ما بين قوسين من (جـ) ، والمطبوع . وزاد في (جـ) : المعروف عند الشاميين .

والسلسلة : نوع من الشعر العربي متأثر بالعاميّة ، يأتي على تفعيلات الأوزان الفصيحة ، غير أن حركة الإعراب تسقط من أواخر كلماته .

وينظم عادة بيتين بيتين ، وتكون القافية مشتركة في أشطره ، ما عدا الشطر الثالث .

ولم يذكروا سبب ظهوره ، ولا سبب تسميته ، ولا سبب اندثاره .

(٢) في (ب) : فانظره وثنّي .

(٣) في (ب) ، وخلاصة الأثر : فردني أسى .

هب أن رقيبي عليك مثلي مضنىً ... مِنْ صدّك عني أنا وحتك في ذاك[1]

بلِّيتْ غليلْ الحسودْ فيَّ وظنِّي ... ما كان ليُشْفَى من التنغّصْ لولاك

أو دعتك غرس الهوى ليثمر ودًّا ... ما كان رجائيْ أن العداوةْ مجناك

إن كان عقابْ الذي يحبّكْ هذا ... أفديك ، فقل لي فيما تركت لأعداك؟

أُجفَى وأنا العندليبْ فيك ، وعارْ ... تُصغي لصدَى عاذلي ، وتطربْ أذْناك

لا تصغ لدعوى السّوَى ، فليس سواء ... مغريكْ ، وتزويرْ ما ادعاه ومغراك

لو أنّكْ أنصفتْ لاعتلمتْ بأني ... مُضناكْ ، وكلهمْ لكيدي مِضناك

يا غصن وإن دمتْ لم تلن لعتابي ... لا غرو لي العذر في إذاعةْ شكواك

أشكوكْ لمن تطلبْ الملوكْ رضاهْ ... من فاق جميع الورى بعنصره الزّاك

من نسل أبي بكرْ الإمام إمامْ ... للسؤددْ والفضْل ، والهدايةْ مَلاك[2]

ذو الرفعةْ أعني أبا المواهبْ مولًى ... بالبِشْرْ مدى الدهر والسماحةْ يلقاكْ

يمّمهْ تجد من يديهْ فائضْ بحرْ ... لا تنضبْ سحب البنانْ منْه بإمساك

واستدرْ بِهْ واعتقلْ وخذه حساماً ... عن كل حسام أبو المواهبْ أغناك

إن تاتِ له خائفا وأنت محبْ ... لابدْ وأُسْدْ العرين أن تتْوقاك[3]

يا بحر لآلْ ، ويا غمامْ نوالْ ... طوبَى لمُوالٍ أتى إليكْ ووالاك

مولاي أقِل عثرتي فليس مقيل ... والحبْ جفاني ، وقلّ صبري إلّاك

من مثلك يا ابن الكرامْ طبت نجارا ... وازددت فخارا ، فزدْ يزيدكْ مولاك

قد أطلعكْ الله بين قومك بدرا ... لازلت منيراً بهم ، وهمْ لكْ أفلاك

يهتزْ على الحالتين منْك حسامْ ... بذلاً وخصاماً كسَيْف جدّكْ فتّاك

---

(١) في المطبوع : وحقك في ذاك .

(٢) في خلاصة الأثر : والولاية ملاك .

(٣) في المطبوع (ما تتو قاك) وكذا في (ب) ، (جـ) ، والخلاصة . والتصحيح من (أ) .

يا عتْرة ذاك الإمامْ فاق وفُقتم   إنْ قصرّ مدحي لكمْ فعجزي إدراك
ما المدح يمجّد سوى الوصولْ إليكم   أنتم دُرَرْ الكون ، والمدائح أسلاك
لازال على سيد الورى وعلكيمْ   أزكى صلواتْ من السلام بأملاك[1]
ما جاوز سرّ الهوى فؤاد محب   في الناس ، وماذل في المحبة أملاك[2]

★ ★ ★

(١) بأملاك : جمع ملك - بالفتح .

(٢) أملاك : جمع مِلك - بالكسر .

وقال يرثي ولد أحمد أفندي التميمي رحمه الله (١) :

لي بعد بينك لوعةُ المفؤود ... وحشا السليب ، وعبرة المعمود
كنا نريدك أن تكون وإننا ... جيرانُ ظل فِنائك الممدود
فصرمتنا لا عن لقاً وتوادُد ... وهجرتنا لا عن قلًى وصدود
فلأرثينك بالدموع وإن يكن ... دمع الشجيِّ عليك غيْرَ مفيد
ولأصحبنَّ الليل بعدك شاهدًا(٢) ... وأريه كيف يكون قدح زنودي
وأصير عينا في هواك سخينة ... وقفاً على العبرات والتسهيد
نصبتْ لك الأيام أيَّ حبائل ... فاستوقعتْك وكنت أيَّ شريد
ولكم نسجت عليك من بُرد الدعا(٣) ... درعاً يقيك فكان غير سديد
طوبى لمرقدك المنير ، فإنه ... ملآن من شمس الضحى بعمود (٤)
أسفي على غصن تقاضاه الردى ... وهلالِ سعدٍ في الثرى ملحود
ومُحلِّق للمجد قبل بلوغه ... ألقى إليه المجدُ بالإقليد
ومهنّد ما سُلّ في طلب العلى ... حتى تغمد في الثرى بغُمود
بُعْداً لطارقة الهموم ، فإنها ... ضيف يقطّع خيط كلّ وريد
تغشى إذا غشيت يدًا لاتنثني ... إلا بوسطى كلّ عقد فريد
ياذا السعادة والذي لرحيله الشـ ... ـهداء قد ملأت عراص البيد

---

(١) في (أ) : وقال يرثي أحد أصدقائه .

(٢) في (ب) : ساهراً .

(٣) في (جـ) : سَرد الدعا .

(٤) في (ب) ، (جـ) مَلأوه .

شمس السعادة توّجتك فلا تحد ... عن ظل عفو الخالق المعبود
طفئت لغيبتك الشموع ، وأقفرت ... تلك الربوع من الظباء الغيد
عهدي بعصرك مصر كل محاسنٍ ... واليوم مصر الحزن والتهديد [1]
لم يبق فيها من يلوح هلاله ... ممن عهدت سوى الليالي السود
ملأت قبورُهم الفضا [2] فكأنها ... أكوارُ عيسٍ نُزَّلٍ ووفـود
يا نبوة الأيام ، أو يا جفوة الأ ... حباب قد أعجمتُما ليَ عودي
أوردتماني موردًا فصدرتُ عن ... بين الوديد وفجعـة المودود
مازلت أقترع المصائب صابراً ... حتى انفردت لها وقل عديدي
إن تبعثا نحوي الخطوب فإنها ... كالسَّرد معــروضا على داود
كرًّا عليَّ فإن صبريَ صارم ... من دونه ينقدّ كلُّ حديـد
فسقى الذي غصب الحياة من الرضى ... غرّاءَ ذاتَ بـوارق ورعـود
ما استعبرت عينٌ لفقد حبيبها ... أو حنّ حادٍ للنقـا وزرود [3]
وسقى أباه الصبر كأساً مترعاً ... ممزوجــة بحلاوة التوحيــد

★ ★ ★

(١) في (ب) : مصر الخوف .

(٢) في المطبوع : ملأت قلوبهم الغضى .

(٣) النقا ، وزرود : موضعان يردان كثيرا في شعر المدائح النبوية .

ـ ٥٣ ـ

وقال رحمه الله (فيمن أصابه رمد)[١] :

فدىً لعينيك دون الناس عينانِي — وكل عضو فداه كل أعضائي
نودّ لو كان مودوعاً بأنفسنا — ما تشتكيه بعين منك رمداء
نظّارةٍ لكتاب الله قد ملئت — خوف المعاد بإشفاق وإغضاء
وأنت لا عن حجاب كنت ناظرنا — فارفع حجابك ، وانظر للأحبّاء

★ ★ ★

ـ ٥٤ ـ

وقال عفا الله عنه :

إني أنا (الفتح) سمعتمْ به — ما همُّه حرب ولا صلح
من عدَّ لي ذنبا قلاني به — فإنما ذنبي له النصح
قولوا له يغلق أبوابه — فإنه حاربه (الفتح)

★ ★ ★

ـ ٥٥ ـ

وقال رحمه الله تعالى[٢] :

كان غزالاً فشوّهوه — حتى غدا طعمة الذئاب
حجبتُ طرفي وملت عنه — مذ صار وجها بلا حجاب
عاشَرَ مَنْ لو يمسُّ ثوبي — لاحتجبتُ للماء والتراب

★ ★ ★

---

(١) ما بين قوسين من (ب) . وفي خلاصة الأثر (٣ : ٢٦٥) أن المرسل إليه هو العلامة عبد الرحمن العمادي مفتي دمشق .

(٢) هذه المقطوعة ساقطة من (ب) .

— ٥٦ —

وقال [١] :

أعيونٌ رمتْ بقلبي النبالا ... أم ظباء الجفون تبغي القتالا ؟
أم قدود سمر تنادي : النزالا ! ... طاعنات لمن يروم الوصالا ؟
أم ظباء بخناجرٍ وزرُود ... تصرع الأسد أم تصيد الرجالا ؟
أم بدور طوالع مسفرات ... أم شموس ليلاً ترينا الهلالا ؟
أم همُ في الجمال ولدان عدن ... أم يزيدون نضرة وجمالا !
يوسفَ الحسن عُدْ بوصلٍ ، وأنجز ... إن قلبي لا يستطيع المطالا
يا حبيبي أعِد ليالِيَ قربٍ ... قد تقضت ، وخلِّ عنك الدلالا
ليت شعري لمّا تباعدت عني ... أدلالاً يكون ذام أم ملالاً ؟
أم وشى عندك الوشاة بكذْبٍ ... فلذا البعد كان منك ، وطالا
لم يكن بيننا سوى نسبة الحبِّ ... بصدق الفؤاد ، ليس المقالا [٢]

★ ★ ★

— ٥٧ —

وقال :

مولايَ يا من خصه ربُّه ... بين الورى بالنصر والفتح
في الظهر والعصر إلى بابكم ... أسعى ، وفي المغرب والصبح
وكيف لا أسعى إلى بابكم ... وفيه لي داعٍ على النُّجْح [٣]
لا زلتَ من قَدْح العِدا سالماً ... ولا خلا زندك من قَدْح

★ ★ ★

---

(١) هذه القصيدة ساقطة من (ب) . وفي (جـ) : ومن المنسوب إليه ، قال بعض الدمشقيين ولا أرى عليه رونق كلامه ولا ديباج نظامه .

(٢) هذا البيت ساقط من (جـ) .

(٣) في (ب ، جـ) : إلى النُّجح .

— ٥٨ —

وقال دوبيت :

لا تُبدِ لمن تحبه ما أُبدي — واصبر لعل الصبر يوما يجدي
اظهار محبتي لمن أعشقه — كانت سبباً لطول عمر الصد

★ ★ ★

— ٥٩ —

وقال دوبيت :

زرْ واجْلُ لمسمعي كؤوس اللفظ — واجعل كبدي غمدا لسيف اللحظ
بل جُرْ وَاهجُر ، ولا تخفْ مظلمتي — ما أورثني البلاء إلا حظي

★ ★ ★

— ٦٠ —

وله دوبيت :

مولايَ بقيتْ قد براني الأسف — من ينصفني منك وهل أنتصف
من أسعده الحظ فإني دنف — أشقاه ولا شقيت حظ وقف

★ ★ ★

ـ ٦١ ـ

وله دوبيت :

إن تُقبل أو تُدبر يا نور العين   اهتز لاثنتين ملء الكونين
عقلي وفؤادي بيديك اجتمعا   مولاي فلا تبح ظلم الحُسْنَيْن

★ ★ ★

ـ ٦٢ ـ

وقال :

من أرقني قد استلذ الأرقا   ويلاه ، ومن أعشقه قد عشقا
من ينقذني منه ومن ينقذه   أفنى حرقا فيه ، ويفنى حرقا

★ ★ ★

ـ ٦٣ ـ

وقال :

القلب لديك وهو عندي الغالي   لا تتركه مطيـة الإذلال
تالله لقد عجبت من أحوالي   يفنى زمني بضيعة الآمال

★ ★ ★

— ٦٤ —

وقال[1] :

أصبحت ولثم أخمصيه أملي مع أن له فماً شفاء العلل
لكن قدم سعت به في تلفي أعددت لهاجوائزاً من قُبَلي

★ ★ ★

— ٦٥ —

وقال (مضمنا)[2] :

عكفت على شرب الدخان، وفي الحشا لهيب جوى ، فازددت جمرا على جمر
فقلت : أداوي نار قلبي بمثلها (كما يتداوى شارب الخمر بالخمر)

★ ★ ★

— ٦٦ —

وقال :

توهمت إذ مرّت بنا الغيدُ بكرةً تلهّبَ خالٍ في لظى خدّ أغيد
وردّدتُ طرفي ثانياً فرأيته فؤادي الذي قد ضاع في الحب مِنْ يدي

★ ★ ★

(١) هذان البيتان ساقطان من (ب) .
(٢) ما بين قوسين من المطبوع .

وقال (١) :

باتت تنوح وبتُّ أسمعها في روضةٍ منظومة السِّلْكِ
فعجبت منها وهي جالسة مع إلْفها ، ووقعتُ في الشك
تبكي هديلاً وهي لم تره فبكاؤها ضربٌ من الضحك (٢)
تبكي ولا تدري لشقوتها وأنا الذي أدري ولا أبكي

★ ★ ★

(١) هذه المقطوعة ساقطة من (ب ، جـ) .

(٢) الهديل : الذكر من الحمام .

وكتب إلى محمد أفندي وأحمد أفندي ابنَيْ المُلاَّزين المنطقي ، القاضي بدمشق المحروسة ، وأعمالها المأنوسة :

مولاي وسيدي الذي ابيضت بغرة إقباله الأيام ، وأخجل وشيي يراعه النجوم ، فتلفعت بأردية الغمام ، الأبلج الذي طلع صبح السعادة من أسرّة جبينه ، وأفضت مساعيه البعيدة إلى أن قطف زهرة المجد بيمينه . لازال للمجد منه ومن أخيه غرة وجبين ، وحسام ويمين .

بعد عرض الثناء العاطر ، وبث الأشواق التي لايعرب عنها غير الضمائر ، فهذه نتيجة فكر ، وربيبة خدر ، أخلصها لك الخلوص القديم ، وولّدتْها الأشواق بعناية الطبع السليم ، خدمت بها دولة الأُخوين ، وأرجو أن يكون لها ثناء الخالدين ، فعساها أن تحظى بالسُّول ، وتمهر بالقبول ، وهي هذه [1] :

نظروا لغايتك التي لم تلحق	فتحققـوا أن الـعلى للسبَّـق
طلبوا العلى ، وسعوا ، ولكن فقتهمْ	وأتيت من طرق لها لم تُطرق
شابوا وما لحقوا الغبار ، فشأنهمْ [2]	ما كان غيرَ غبار شيب المفرق
بأخيك أو بك أشرقت سبل العلى	وتـبسمت بالبـارق المتألـق
من للعلى (بمحمد) ، (وبأحمد)	حتى تـدِلّ بمنظر وبمنطـق ؟
لا يبعد الأخوانِ ، كلّ فرقدٌ	لكنّ كلاًّ مُشرق في مَشرِق
وهما كما ضاءت بجمعهما [3] العلى	ستضيىء بالصبحين جبهة (جلّق)

(١) هذه المقدمة النثرية ساقطة من (ب) .

(٢) في (ب) : فحظهم . وكذا في خلاصة الأثر ٣ : ٤٦٤ .

(٣) في الخلاصة : بنجمهما .

أ (محمد) وكلاكما من دوحةٍ تدلي بفرع في المعالي مُعرِق

حسنَّت عشق المجد حتى سامه من كل ذي عشق ، ومن لم يعشق[1]

لكن تفاوتت الحظوظ ، فعاشق رزق الوصال ، وآخرٌ لم يُرزَق

إني لأعذل حاسديك لأنهم يترقبون وقوع ما لم يخلق

تعِبَ الذي في الأرض أصبح طاوياً للفرقدين حشا الحسودِ المحنق

لا تَخْشهمْ فالدهر إن تنقم بهم ينقم ، وإن تعطف برفق يرفق

وإذا وجدت من العناية سلّماً فامدد خطاك ، وثق بربك ، وارتق

واسلم على خدع الحظوظ موفّقا ليدوم من عاداك غير موفق

★ ★ ★

ـ ٦٩ ـ

وله عفا الله عنه [2] :

كبد تذوب ، وأدمعٌ هُطلٌ وصبابةٌ لصبابةٍ تتلو

كيف السبيل لكنز مبسمه وعليه من ياقوتة قُفل ؟

★ ★ ★

(١) في الخلاصة : حببت عشق المجد حتى سامه ، من كان ذا عشق .. الخ .

(٢) هذان البيتان ساقطان من (ب) .

وقال رحمه الله تعالى (١) :

نتمنى الوفاء من عشرة النا ... س ، فتَلقى القلوبُ ما يُعيِيها

عيّرونا بالصمتِ والحمد للّـ ... ـه على شكر نعمة نحن فيها

إن تكن زلةً مجانبةُ الهز ... ل ، فلله زلة نجتنيها

أو تكن غفلةً كما زعم الغـ ... ـر ، فيا حُبَّ غفلة نشتهيها

إن خير الكلام ما كان جزلا ... وأفاد النفوس ما يعنيها

ولَقدْرُ الفتى مع الناس موقو ... ف على قدر قولةٍ يبديها

إنما المرء لفظة من فم الدهـ ... ـر إلى كل مسمع يلقيها

فاحذر القول أن تقول قبيحا ... واتق الناس أن يروك كريها

أمِنَ الرشدِ بعد ما يسجد السمـ ... ـع لقولي أن اسمع التمويها ؟

أو تفلّ الغرارَ مني المعاني ... وأنا المشرفيّ في هاديها

وإذا المرء ضل عن سنن العقـ ... ـل اقتفى بالضلال عُجباً وتيها

فتراه وهو العليم جهولاً ... وتراه وهو الحليم سفيها

ربَّ عوراء قد تعسّفها المغـ ... ـرور حتى يقال : قال بدِيها (٢)

ونكاتٍ ولو تأمّلها القا ... ئل يوماً عض البنان عليها

تحتها الخزيُ والملامة والذمّ ... فماذا يفيد من يعنيها !

أنتمُ الشاهدو براءة نفسي ... من نكاتٍ نفوسهم ترتضيها

★ ★ ★

---

(١) هذه القصيدة ساقطة من (ب) .

(٢) في المطبوع : قد تعشقها .

وقال مادحا سليمان أفندي ، القاضي بمدينة طرابلس الشام [١] :

لم يُبق وجدي لحسن الصبر وجدانا[٢] ... ولا لقلبٍ سلاه الدمع سلوانا

أصبحت أغزر نوحاً من مطوّقة الـ ... ـوادي ، وأكثر أشواقا وأشجانا

خليّة البال ، إن ناحت فعن طرب ... لا كالذي راح بالبلبال ملآنا

تبيت تحضن من تهوى ويحضنها ... وبت شوقاً لمن أهواه سهرانا

سقياً لأيامنا اللاتي مضت بمسرّ ... اتٍ ، وعوِّضتُ عنها اليوم أحزانا

سقياً لها من دموعي دائما ، فلقد ... يقصّر الغيث في سقياه أحيانا

حيث النوائب لا تُخشى غوائلها ... حيث الحبيب متى ما رُضته لانا [٣]

حيث المحاسن روض والمنى زَهَرٌ ... تجنيه كفّ الأماني منه ريّانا

حيث اقتطافُ ثمارٍ كلُّها قبل ... لما هصرنا القدود الهِيف أغصانا

وجلّنار الخدود الحمر حيث بدا ... هل كان غير نهود البيض رُمّانا [٤]

لله صَبٌّ له قلب بهم أبداً ... متيّم لا يزال الدهرَ ولهانا

شوقا لورد لَمَى تلك المباسم ما ... ينفك مهما سقاه الدمع ظمآنا

أضحى يلذّ له ذكر (العُذَيب) بها ... وإن تثنّى قوامٌ يذكر البانا

فخلّني يا خليّ البال في شغُل ... ولا تلم في الهوى يا صاح سكرانا

ولا تكلّف فؤادي كتْمَ نارِ هوَى ... (لُبْنَى) ، فليس فؤاد الصبِّ صوّانا

أخفيته مثلما أخفى الضنى جسدي ... وعبرتي صيّرت إخفاه إعلانا

---

(١) في المطبوع : يمدح قاضي القضاة حسن جلبي أفندي الطرابلسي . وفي (ب) : يمدح بعض الموالي . وفي (جـ) : يمدح صدر الشريعة . وفي الأبيات الأخيرة ما يدل على أنه سليمان .

(٢) في (أ) : لم يبق صبري . وفي (جـ) : عنوانا .

(٣) في (ب) : متى راضيته .

(٤) في (ا ، جـ) : غير النهود البيض مرمانا .

يزيد إخفاؤه إظهارَه أبـدًا ... كفضل أقضى قضاة العصر مولانا

الحاكمِ الحاسمِ، الشرعيِّ، ذي الهمم الـ ... ـلاتي استقاد إليها الدهرُ إذعانـا

العالم، العامل، الحبر، المدقق، والـ ... ـبحر المدقق، إيضاحاً وتبيانا

صدْرِ الشريعة، كنزِ الجودِ، قلّدنا النُّـ ... ـعمَى بفضلٍ عن (النعمان) أغنانا

نهاية القوم لم تلحق بدايتـه ... ولو مشى ورجال القوم فرسانا

تدفقت راحتاه مثل فكرتـه ... فأبهَرَ الناس معروفاً وعرفانـا

وأحسن الرأي إذ عمت مواهبُه ... فلم يزل موليا حسنا وإحسانا

بحر من الجود قد ماجت مكارمه ... فيه، فيا فرحتا لوبتُّ غرقانا

لَيَ البشارة، درّ النظم ينظمني ... في سلك خدّامه هل كنت مرجانا؟

لَيَ الهنـاء بـأني في مدائحـه ... طلتُ النجوم مع التقصير إيقانا [1]

هذا الذي عزَّ أن تُحصَى مناقبه ... وفي النَّدى كل شيء عنده هانا

هذا الذي حلّ في (الفيحاء) مقدمه الشـ ... ـريف كالغيث، أحياها وأحيانا

هذا الذي رحم الله العباد به ... وهكذا لن يزال الله رحمانـا

هذا الذي مدحُهُ قد زاد مادحَه ... فخراً، فها حسَنٌ قد صار (حسّانا)

يا من جعلنا ثناه ذخرنا أبدًا ... فعطّر الأَرَجُ الشحْري أرجانا [2]

ومن إذا تُليتْ أوصافُه تركت ... عِطْف اللبيب بغير الخمر نشوانا

إليكها بنتُ فكرٍ طالما خطِبت ... وما سمحتُ بها، صوناً وإحصانا

(بلقيس) نظم، وعرش الدرّ مسكنُها ... فهلْ أرى كفؤَها إلا (سليمانا)

لا أستحثك في حق عليك لها ... أنا الذي نام إن نبهتُ يقظانا

---

(١) في (جـ): إتقاناً.

(٢) أرجانا: نواحينا. والشحري: منسوب إلى الشِّحْر، وهو بطن الوادي، أو مجرى الماء.

واسلم ودم في سرور دائم ، وعُلًى ، وابلغ من العزّ أوطارًا وأوطانا [1]
ما رجّعت شجوها الورقاءُ مُعرِبةً عنه ، وما رددت في الدوح ألحانا

★ ★ ★

(١) في (ب) : وابلغ من العيش .

وقال يمدح الأمير منجك الشامي ، الشهير ، ذو المجد والقدر الخطير [(١)] :

مالكتي تملّكي ... ألنفس لن تملَّك
وهْي لك أطوع من ... رعيّة لِمِلِك
إن تأمري تُطع ، وإن ... تَدْعُ لها تُلبِّك
لِمْ تسترين طلعةً ... فيها حلا تهتُّكي ؟
مَهْلَكِ بي يا مطلبي ... دونك ألفُ مُهْلِك
فإن بعدْتِ تحرقي ... وإن دنوت تفتكِ
وإن صبرتُ لم أطق ... وإن خضعتُ تَزْمَكي [(٢)]
وإن طرقتُ خفْيةً ... أهلِكُ بين أهْلِك
أنّى لطيرِ مهجتي الـ ... ـخلاصُ من ذا الشَّرك؟
عيش الخليِّ قد صفا ... يا قلبُ ، فاسْلُ واترك
واقصد بنا سبيلَ مَنْ ... راح خليًّا ، واسلك
ما من يبيت شاكراً ... كمن يبيت مُشْتك
فاخلع على العشاق ثو ... ب جسمك المنهتك
وانتهزِ الفرصة قبـ ... ـل فَوْتِها ، واستدرك
هذا الربيع مقبل ... يصحب (آل بَرْمك)
يكسو لأعطاف الرُّبى ... غلائلاً لم تُحَكِ

(١) في (ب) : يمدح منجك باشا .

(٢) تزمكي : تغضبي .

وحـلَّ في نحورهـا عقـود دُرِّ الحبُك
حتـى كأنّهـا بها مجلسنا في الفـلك
والنرجس اصطّف ، وما أحسن صفَّ الملك !
زبرجـدٌ في فضةٍ في ذهبٍ لم يُسبك
يرنو بلحظ عـاشق بمدمـع الطـلّ بكـي
والورد مـن سكرتـه على الـغصون متكـي
يمسك أذيـال الصَّبـا بكفـه الممَسَّك
كوجنـة العَـذراء إن قلْتَ لها : هيت لك
والنهر في يد النسيـم كالقبـا المفـرّك
ولـلـغصون حولـه دلائـل المنهمك
ألقت شباك الظل فاصطاد خيـال السمك
والأقحـوان ضاحك بمبسم لم يضحك
واليـاسمين عُرفُـه الـغض له عَرْفٌ زكي
والـطير في مغـرِّد ووالـهٍ مرتـبك[1]
في روضةٍ كـأنها وصف الأمير (منجك)
من حار في أوصافه كـلُّ لبيب وذكـي
بحرٌ وفيـه بِالّثنـا ألسنُنـا كالفـُلُك
ترى العيون عنده الـجار مثـل البرك
لـه أكـفٌّ مُسكت مستـه غير ممسك
تفـتك في أموالـه فتك المها في النُّسُك
وفكـرُه أهـدى لنـا وشيَـى بلاد اليَـزْبك

(١) لعلها : من مغرِّد .

من كل بيت يحتوي ابـ ـنـــةَ كسرى الملك

مشتْ بـــه لاهيـــةً عـن نهدهـا المفــكك

فالدّر ملء مسمعـي فيه ، ومـلء الحنك

ملكتَ رِقِّي سيـدي أفــديك ممن مملّك

أدركت كل فــائت وفُتَّ كل مــدرك

لك المعالي ، وعلى الـ ـفضل ضمان الـدَّرَك[1]

★ ★ ★

(١) بهذه القصيدة تنتهي نسخة (جـ) .

ـ ٧٣ ـ

وقال عفا الله عنه مادحاً ومهنئاً مراد أفندي الدفتري [١] :

بصباح وجهك تشرق الأعياد ... ولبابِ مجدك تهرع الأمجاد

وإذا جرى ذكر الكرام بمجلس ... بدأوا بذكرك ، وانتهى التعداد

سجدت لك الأقلام حين رفعتها ... والغاب ترفع ذكره الآساد

حيّرتَ حُذاق الحساب بفكرة ... تركتهم وألوفهمْ آحاد

قُسُّ الفصاحة لو نطقتَ سحرتَهُ ... ولودَّ لو أن الحديث يعاد

لم يسبقوك وإن سُبِقت بوالدٍ ... فكلاكما في المأثرات جواد

ما المجد إلا ما يكون وراثةً ... وتزيد عن آبائها الأولاد

منكمْ بدا نجمُ الهداية للعلى ... وعشا لنارِ قِراكمُ القصّاد

كلٌّ يؤمِّل أن يراد سوى الذي ... خلع القبول عليه وهو (مراد)[٢]

إن السيادة في ذراك تعوّذت ... بك أن يمدّ يدًا لها الحسّاد

عزماتُ مثلك لا تعاب بحدة ... بيضُ الصوارم كلهن حداد

هذا الغمام على الخلائق رحمة ... وصفاتُه الإبراق والإرعاد

يا دوحة ظلُّ السعادة ظلُّها ... لازال حولك غصنُك المياد

ورعى حماك من العناية حارسٌ ... وسقى ثراك من الحياة عهاد [٣]



---

(١) هذه القصيدة ساقطة من (ب) .

(٢) هذا البيت ساقط من المطبوع .

(٣) العهاد : المطر بعد المطر ، يدرك آخره بلل أوله .

وقال عفا الله عنه يمدح أحد الموالي الكرام : خليل أفندي :

حين عزَّ الوصال إلا قليلا ... بعثتْ في الدجى الخيالَ رسولا

وأحالت على الكرى بلقاء ... مادرت أن لي كرى مستحيلا

منع الطيف حيث لم يمكن الغمـ ... ـضُ ، فهل تعلمين منه بديلا

أنا منها كقرطها طلَبَ العقـ ... ـدَ ، فكان المدى بعيدا طويلا

حققي لي مسائل الحب لكن ... صيِّرى حسنك البديع دليلا

يا أخاةَ البدور وجها منيرا ... ومهاة الكناس طرفاً كحيلا

أنت أسديت للرياض ابتهاجا ... ومنحت الحدائق الأكليلا

وأعرت الغصون لينا وعِطْفا ... فغدا الغصن مائلا مستميلا

أيطيق السوار معصمك الغض ... ولولاه خفت من أن يسيلا

ليت ما بي أصابه منك ما بي ... فلكَمْ قاتلٍ يصير قتيلا !

كم خدعت العقول رفقاً ورقّا ... وأخذت القلوب أخذًا وبيلا

منك أشكو إلى الظلام وإلا ... منه أشكو إليك عبئاً ثقيلا

أعوز الطير في دجاه حنيني ... فاستعارته للحمام هديلا

وصلتْه وقد أرقّت حظوظ ... مثله إن يُرد لهنّ مثيلا

كلما استأذنتْ عليّ الأماني ... منعتْها تلك الحظوظُ الدخولا

وعلى الدهر كم شهرتُ من الجدّ ... حساماً ، فكنَّ فيه فلولا

وسهامي إذا رميْتُ الأعادي ... نزعت بالخمول منها النّصولا

شغل الهمُّ بالتشتُّت فكري ... فتلاهى عن القريض ذهيلا

ويَراعي غدَا سنانَ جبانٍ ... بدم النِّقْس لم يكن معلولا (١)

---

(١) النقس : بالكسر ، المداد .

والقصور التي تشيّدها الآدا ... بُ أمستْ من القصور طلولا

وعن الناس قد تجنّبت بالياً ... س ، وجازيتُ بالملال ملولا

ولَوَ انِّي وجدت مولى جليلا ... صرت عبدا ، نعَمْ وجَدتُ (خليلا)

حاكمُ الشرع عادلُ الحكم لم يقْـ ... ـضِ له الله في القضاة عديلا

مَزج الحكم حكمةً فأرى قو ... لاً وفعلا مسدَّدًا مقبـولا

وله في انتقـاده لحظـاتٌ ... كطبيب غدا يجسّ عليـلا

ولكفّيـه بالنـوال غـوادٍ ... تخذتْ عنـد آمليه مسيـلا

ذو المقام الرفيع والحسب البا ... هر قدراً سما ، ومجداً أثيلا

والعلوم الغزار والأدب الغض ... فحقِّق تـرَ النبيـه النبيـلا

لم تزدْنا بِهِ الرواياتُ علماً ... قد عرفنا من الفروع الأصولا

نضِرٌ روضُ عصره بلقـاه ... مثمرٌ غصنُ فضلِه : التفضيلا

شملَ الناسَ منه حبٌّ كريمٌ ... حائز بالجميل ذكرًا جميـلا

جاعلٌ لفظه الحبيبَ المفدّى ... فيه سمعي المتيّم المتبـولا (1)

فتأمّـل أيامـه وليـا ليـ ... ـه تجدْها خالاً وخدًّ أسيلا

في طروس السرور منها سطور(2) ... ضمنتْ من شفا الصور فصولا

كان للدهر بالنوى سيئاتٌ ... صيّر القرب نحوها مسؤولا

وأتى اليوم بالشفاعة للأمْـ ... ـس ، وأعطانيَ المنى تعجيلا

أنت مولاي ما سألنا من اللـ ... ـه ، فلم نُحرَم العطاء الجزيلا

لم يفِ الدهرُ لي ضمانا إلى أن ... كنت أنت الكفيل والمكفولا

فلوَ انّي نظمت درّ الدراري ... لك مدحاً لكان ذاك قليلا

★ ★ ★

---

(1) في (أ) : فيه جمع .

(2) في (أ) : في طروس السطور منها سرور . والتصحيح من المطبوع .

— ٧٥ —

وقال مادحا أحد الأشراف بمكة المكرمة : الشريف راشد (١) :

إلامَ انتظاري للوصال ولا وصلُ ... وحتّام لا تدنو إليَّ ولا أسلو ؟

وبين ضلوعي زفرةٌ لو تبوأت ... فؤادك ، ما أيقنتَ أن الهوى سهل

جميلا بصبٍّ زاده النأي صبوةً ! ... ورفقا بقلب مسَّه بعدكَ الخَبْل !

إذا طرفت منك العيون بنظرةٍ ... فأيسر شيء عند عاشقك القتل

أمنعمةٌ بالزورة الظبية التي ... بخلخالها حِلْم ، وفي قرطها جهل

ومن كلما جرّدتُها من ثيابها ... كساها ثيابا غيرها الفاحمُ الجثل (٢)

سقى المزنُ أقواما بوعساء رامةٍ (٣) ... لقد قُطعْت بيني وبينهمُ السُّبل

وحيَّا زماناً كلما جئت طارقاً ... سليمى أجابتني إلى وصلها جُمْل

تودّ ولا أصبو ، وتوفي ولا أفي ... وأنأى ولا تنأى ، وأسلو ولا تسلو

إذِ الغصن غضٌّ والشباب بمائه ... وجيد الرضى من كل نائبة عُطْل

ومن خشية النار التي فوق وجنتيي ... تقاصر أن يدنو بعارضيي النمل

بروحيَ من ودّعتُها ومدامعي ... كسقْط جمانٍ جُذَّ من سمطه الحبل

كأن قلاصَ المالكية نـوّختْ ... على مدمعي ، فارفضَّ مُذْ نُوِّر الإبْل

وما ضُرِبت تلك الخيام بعالجٍ ... لقصدٍ سوى أن لا يصاحبني العقل

وخَرْقٍ كأن العيس فيه إذا خطتْ ... تسابق ظلاًّ ، أو يسابقها الظل

يسمْن بنا الأنضاء حتى كأننا ... حيارى دجىً أو أرضنا معنا قفل

إذا عرضت لي من بلاد مذلةٌ ... فأيسر شيء عنديَ الوخْد والرَّحْل

---

(١) هذه القصيدة ساقطة من (ب) .

(٢) الجثل : الشعر الكثير الملتف .

(٣) الوعساء : رابية من رمل ، لينة ، تنبت أحرار البقول . ورامة : موضع .

وليس اعتساف البيد عن مربع الأذى بذُلٍّ ، ولكنّ المُقام هو الذلّ
ولا أنا ممّن إن جهلت خلاله أقامت به القامات والأعين النُّجْل
فكل رياض جئتها ليَ مرتع وكل أناسٍ أكرموني همُ الأهل
ولي باعتماد لأبلج الوجه (راشدٌ) عن الشغل في آثار هذا الورى شغل
همامٌ رست للمجد في جنب عزمه جبالٌ ، جبالُ المجد في جنبها سهل
وليْثٌ هياج ما غنين جفونُه من الكحل إلا والعجاج لها كحل
يقوم مقام الجيش إن غاب جيشه ويخلف حدّ النصل إن أغمِدَ النصل
زكت شرفاً أعراقه وفروعه وطابت لنا منه الفضائل والفعل
إذا لم يكن فعلُ الكريم كأصله كريما فما تغني المناسبُ والأصل
من النَّفَر الغُرّ الذين تأففوا مدى الدهر أن يأتي ديارهمُ البخل
كرام إذا راموا فطامَ وليدهمْ على الثدي خطُّوا البخل، فانفطم الطفل
ليوث إذا صالوا ، غيوث إذا همَوْا ، بحور إذا جادوا ، سيوف إذا سلُّوا
وإن طلبوا مجدا فإن سيوفهمْ مهورٌ ، وأطراف القنا لهمُ رُسْل[1]
إذا قفلوا تنأى العلى حيثما نأوا وإن نزلوا حل الندى أينما حلّوا
توالت على كسب الثناء طابعهمْ فأعراضهمْ حُرُمٌ ، وأموالهمْ حِلّ
أمولاي إن يمضوا ففيك سما العلى وقامت قناةُ الدين ، وانتشر الفضل
وإن يك قد أفضى الزمان بسالم فإنك روض الوبْل إن ذهب الوبل
إليك ارتمت فينا قلوصٌ كأنها قسيٌّ بأسفار كأنهمُ نَبْل[2]
وما زجر الأنضاءَ سوطي وإنما إليك بلا سَوْق تساوقت الإبل
يمينك لا أفضى الزمان بها : حَيًا وكهفك لا أودى الزمان به : ظل
وكل لحاظٍ لست إنسانَها : قذًى وكل بلادٍ لست صيّبها : محل

★ ★ ★

(١) في المطبوع : وإن خطبوا مجدا .

(٢) الأسفار : المسافرون .

وقال مادحا الشريف راشد رحمه الله تعالى [١] :

يا دارها بالشِّعب ، شِعب الحائل ... غاداك مرفضٌّ الغمام الهاطلِ

تبدّلتْ عن كل حالٍ آنس ... من أهلها بكل ناد عاطل

عُجْنا بها ركابنا لكي نرى ... ما صنعت أيدي الزمان الماحل

كأنما كل هوى قلوبنا ... رُكّب في قوائم الرواحل

وألثمتْ جحفلَها ترابها ... فمسعدي ملتثم الجحافل

إن مصَّحَ الدهرُ بها ربوعَها ... فليس تمصيح الرُّبا بباطل [٢]

وإن نَمتْ بعدهمُ ديارُهمْ ... فالنازلون أنفَس المنازل

لله عيش ذهبت نَضرته ... كأنه رقدة ظلٍّ زائل

وليلة قضيتها (بعاقل) ... سقى الغمامُ ليلتي بعاقل

إذِ الثريا لهمُ نجومُها ... كأنها ترس فتًى منازل

والبدر في كبد السماء حائرٌ ... كأنه وعدُ حبيب ماطل

أحييتها مرتشفا بلابلاً ... تهرب عند شربها بلابلي

أرشفها حتى إذا ما فرغتْ ... جمعتُ بين القرط والخلاخل

للّهو أوقاتٌ تمرّ خلسة ... كأنها تقبيل ثغرِ راحل

قد جمح الدهر فلا الوصل به ... بخالص من الصدور ، كامل

حاشا أبي الفضل (الشريف راشدٍ) ... كنزِ الرجا ، ونُهزة القبائل

معتنق الحِلم اعتناق فتكه ... مجتنب البخل اجتناب الباطل

---

(١) هذه القصيدة ساقطة من (ب) .

(٢) مصّح : أذهب .

(٣) الصدور : لعلها الصدود .

إذا ارتدى الفضفاض ، قال قائل: من نظر البحور في الجداول؟[1]

لا يلتقي الجيش بغير مهجةٍ جليلـــةٍ تُذخَــر للجلائـــل

وشُزَّبٍ إن صدرتْ رأيتَهـــا سلمى الصفاح، كُلَّم الأياطــل[2]

تركض في غبارها بعارضٍ يسمح من دمائها بقابل

يا مظمئي الخيل كأنْ ليس لها غير دماء الصِّيد من مناهل[3]

ومُورد البيض كأنّ صوتَها على العدا قعقعةُ السنادل[4]

تختطف الهام بها نواشداً لا قُطعت سواعد الصياقل

كأنما حكمتها على الشوى حكمة لقمان على المفاصل[5]

هل لك في فخرك من مُفاخر ؟ هل لك في فضلك من مفاضل؟

وما عسى فخرهمُ ، ومَعْنهُمْ كمادرٍ ، وقُسّهمْ كباقل ؟

قد قصدوا والله غير قاصد وفعلوا والله غير فاعل

وخاصموا مهنّدًا ليس له للدين غير النصر من حمائل

راموا اكتتام نور حق باهرٍ وحاولوا قصر كمال طائل

وما سمعنا أو رأينا في الدجى قد كتمت شعشعةُ المشاعل

أَحَبُّ كلِّ مرتعٍ مُعشبُه وأيمنُ الأكف كفُّ باذل

إذا أراد الله كشفَ مَنْقبٍ خافٍ رماه بعنادِ جاهل

لولا اشتعالُ النارِ واضطرامُها ما عُرِف الرِّمثُ من الصنادل[6]

---

(١) الفضفاض : يقصد الدرع الواسعة .

(٢) شُزَّب : جمع شازب ، وهو الضامر اليابس ، يقصد الخيل . والأياطل : جمع أيطل ، وهو الخاصرة .

(٣) الصيد : الأسود .

(٤) السنادل : جمع سندال – بالكسر – لغة في سندان .

(٥) الشوى : الأطراف ، والجلد .

(٦) الرمث : – بالكسر – مرعى للإبل من الحمض ، وشجر يشبه الغضا . والصندل : شجر خشبه طيب الرائحة . والأخذ من أبي تمام ظاهر .

فجأتهمْ لا سيف عزمٍ كاهمٌ ولا جـواد همةٍ بنـاكل[1]
قطعتهمْ معتجلا على القنـا كـدق لامين بفـرق نائـل[2]
قد يُدْرَكُ المجد بجهلٍ جاهـل ويُصحَبُ الذلّ بعقلٍ عاقـل
لا عدِمَ الناسُ جنى فضيلـةٍ منك ، فأنت معدن الفضائل

★ ★ ★

(١) السيف الكاهم : الكليل .

(٢) كدق لامين : كذا في (أ) ، والمطبوع .

وقال رحمه الله ، (ولم توجد بتمامها) [١] :

سقْمٌ بطرفك قد أفضى إلَىٰ بدني ... حتى تَبدَّل من عينيّ بالوسن
عدمت نظرة عينٍ غادرت جسدي ... لولا التأوه للعوّاد لم يَبِن
من لي بربّة هجرٍ نبلُ مقلتها ... لم تحم منها طلاب الزُّغفِ والجُنَنِ؟[٢]
زارت ، فلم أر ليلاً قبل طلعتها ... شمس النهار بدت في حندس الدُّجن
أنا نبيّ الهوى ، هذا القضيب أتى ... يمشي إليّ ، وهذا الظبيي كلّمني
يا عاذلي لك إن زار الكرى مُقَلي ... عليَّ إدخال هذا النصح في أُذُني
لا أنثني عن طريق الحبّ ، ذا ملل ... مادام باقٍ تثنّي ذلك الغُصُن
لا جاوزت همّمي هامَ السها شرفاً ... ولا نهلن بحارَ الفضل من فطني
ولا انثنت دون عزمي يوم معركة ... تحت العجاجة جبناً سطوةُ الزمن[٣]
إن طال حَملِيَ عبء الذل في بلد ... تطاولُ الأكمُ فيها قمةَ القنن
لأتركنّ النضا حرزاً كأن بها ... شذوب ذي ولد بالمجد مفتتن
لا يخبط السوط منها غير مقتبل ... بجسمها نحو طَبِّ الحوض والعطن[٤]
مثل القسيّ كلالاً ، ما رمت قدماً ... إلا وأشفقت أن تكبو على التقن
تهاجر النوم في وقت الكرى مقلي ... كأنما الطرف جسمي ، والكرى وطني
أخشى رداها فتبدي لي صلابتها ... كأنما حدّثت في اسم أبي الحسن[٥]

★ ★ ★

---

(١) ما بين قوسين ساقط من المطبوع .
(٢) الزغف : الدرع اللينة الواسعة المحكمة . والجنن : جمع جُنّة ، وهي الستر .
(٣) بهذا البيت ينتهي المطبوع .
(٤) طب الحوض : من معاني الطَّبِّ الإصلاح .
(٥) بهذا البيت تنتهي نسخة (أ) .

[هذه المقطوعات الثلاث زيادة من ب]

ـ ٧٨ ـ

وقال [١] :

أحسن ما يُهديه أمثالنا من طيْبةٍ من عند خير الأنامْ
بعض تميراتٍ إذا أمكنت تبركاً ، ثم الدعا والسلام

★ ★ ★

ـ ٧٩ ـ

وقال دوبيت :

بالله قلّي بماذا جئتني يا عيدْ بالغيد أم بالمها أم وصلُنا قد عيد
الصبرْ مني فنَى ، والجسمْ مني بِيدْ فليتْ يا عيدْ ما بيني وبينكَ بِيد

★ ★ ★

ـ ٨٠ ـ

قال مخمسا لأبيات العباس بن الأحنف رحمه الله :

مالي أراك نَسِيك من لم تنسَهُ ووجيبُ قلبك عنْك غيَّبَ نفسه
وأرى الطبيب أتَى ونبْضَكَ جَسّه (يا أيها الرجل المعذّبُ نفسه
أقصِرْ فإن شفاءك الإقصارُ)

---

(١) هذان البيتان موجودان في خلاصة الأثر .

اصبرْ إذا ما سال دمعُك واعتبرْ   هل يبلغ المقصودَ من لم يصطبر
يا من تعذّرَ دمعه ، لا تعتذر   (نزف البكاءُ دموعَ عينك فاستعِر
عيناً يعينك دمعُها المدرار)
لك مقلةٌ شط النوى بنحيبها   والدمعُ جف لها لِفَرْط لهيبها
إن لم يكن لك مهجة يجري بها   (من ذا يعيرك عينَه تبكي بها
أرأيت عينا للبكاء تُعار ؟)

★ ★ ★

[نهاية النسخة ب] (1)

— ٨١ —

وللشيخ فتح الله تقريض على (سفينة ...) (2) للشيخ عارف بن الشيخ محمود المدني (3) :

سفينة أشعار هي البحر ، دُرّها   نتائج أفكارٍ وشتى معارف
بها اللفظ كأس ، والمعاني مُدامة   وماذاق منها نشوة غير عارف

★ ★ ★

(١) وخاتمتها كما يلي : تم الكتاب بعون الله الملك الوهاب ، بعون الله تعالى وحسن توفيقه . وصلى الله على أشرف المخلوقات سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه وسلم . سنة ١١٣٤ (هجرية) ، على يد الفقير لله ، – عفي عنه – سيد مصطفى .

(٢) كلمة فوقية غير مقروءة .

(٣) هذان البيتان في (جـ) بعد ذكر اسم كاتب النسخة .

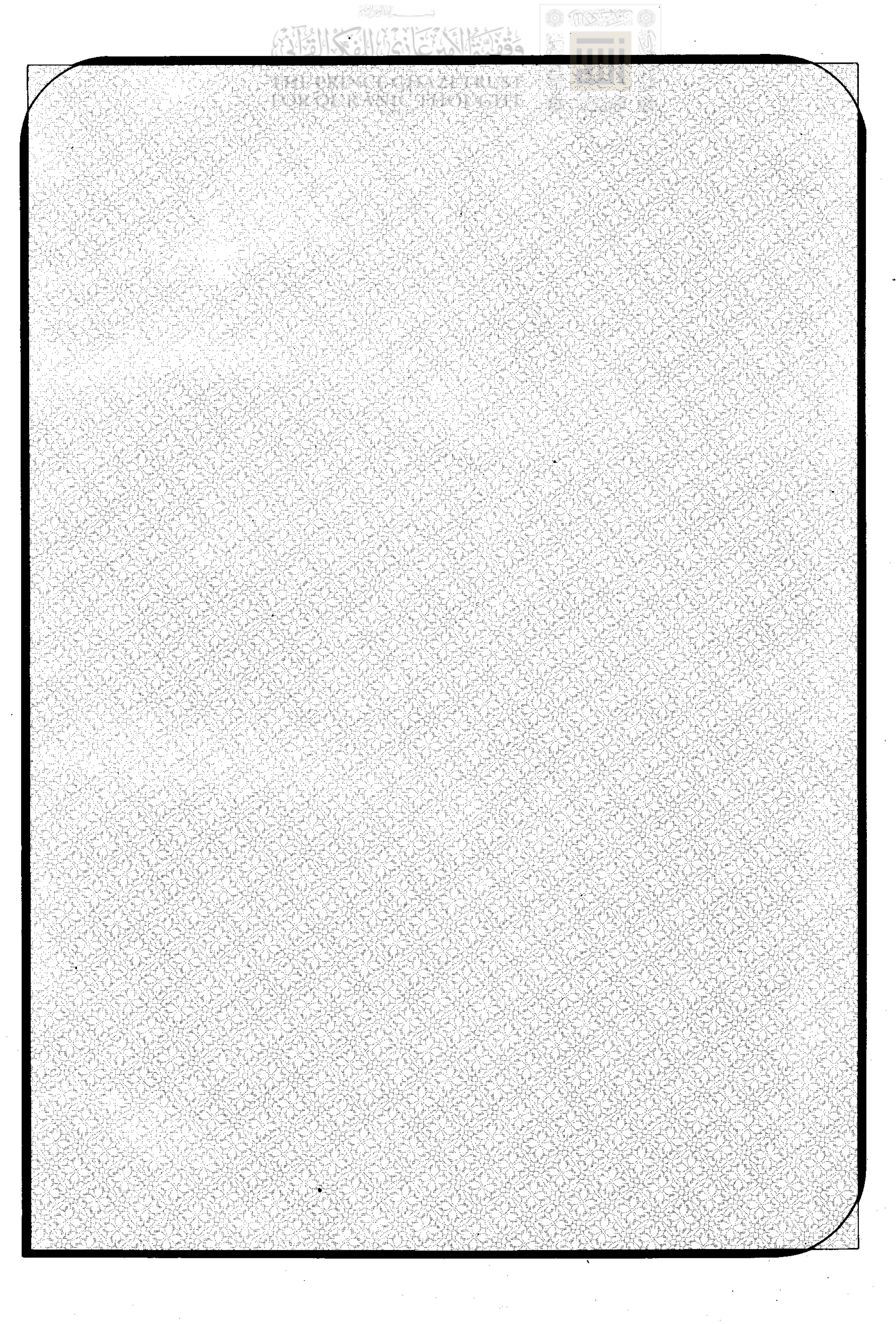
— ٨٢ —

وكتب إلى إبراهيم بن عبد الرحمن العماري يهنئه بمولود [1] :

أتانا بشيرُ الوليد الجديد   فساق إلينا حياةً وبشرى
فلا زلت مولاي حتى ترى   هلالك مثلك قد صار بدراً

[انتهى]

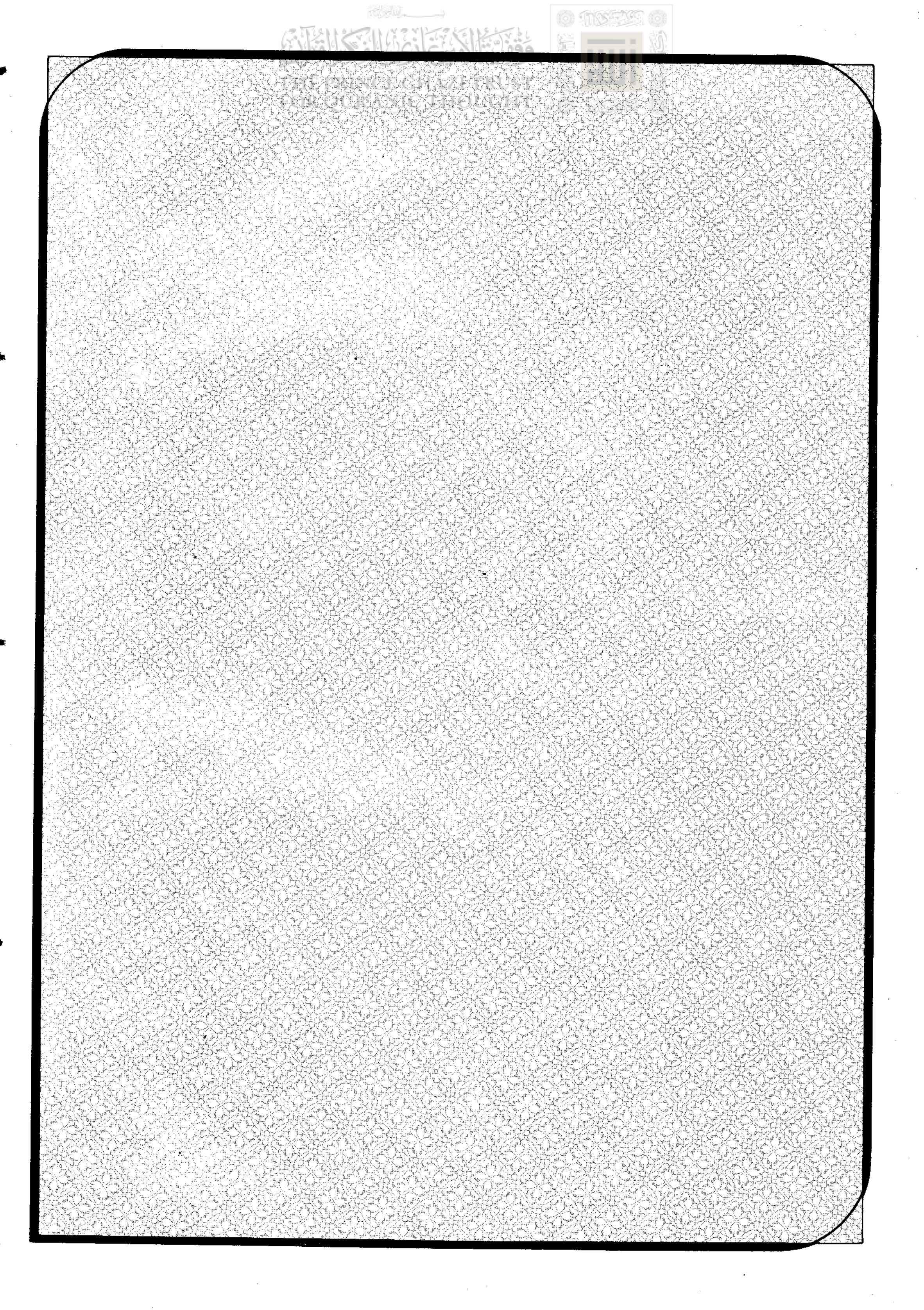
(١) خلاصة الأثر ٣ : ٢٦٥ .



المحتـــــوى

أولاً : مقدمة التحقيق

ثانيا : الديـــوان



صدر للمؤلف

الدكتور / محمد العيد الخطراوي

١ ـــ شعراء من أرض عبقر ـــ جزآن ـــ نادي المدينة المنورة الأدبي .

٢ ـــ الرائد في علم الفرائض ـــ الطبعة السادسة ـــ مكتبة دار التراث بالمدينة المنورة .

٣ ـــ شعر الحرب في الجاهلية بين الأوس والخزرج ـــ الطبعة الثانية ـــ دار التراث بالمدينة .

٤ ـــ عارف حكمة : حياته ومآثره ـــ وهو (شهي النغم في تجمة شيخ الإسلام عارف الحكم) لأبي الثناء الألوسي (تحقيق) الطبعة الأولى ـــ دار التراث بالمدينة .

٥ ـــ المدينة المنورة في العصر الجاهي (الحياة الاجتماعية والسياسية والثقافية والدينية) الطبعة الثانية . مكتبة دار التراث بالمدينة .

٦ - المدينة المنورة في العصر الجاهلي (الحياة الأدبية) ـــ الطبعة الأولى ـــ دار التراث بالمدينة .

٧ ـــ المدينة في صدر الإسلام (الحياة الأدبية والاجتماعية والسياسية والثقافية) الطبعة الأولى ـــ دار التراث بالمدينة .

٨ ـــ المدينة في صدر الإسلام (الحياة الأدبية) الطبعة الأولى ـــ دار التراث بالمدينة .

٩ ـــ الفصول في سيرة الرسول ـــ للحافظ ابن كثير ـــ الطبعة الرابعة ـــ

تقديم وتحقيق بالإشتراك مع الأستاذ محيى الدين مستو ــ دار ابن كثير بدمشق .

١٠ ــ المقاصد السنية في الأحاديث الآلهية ــ للحافظ على بن بلبان المقدسي ــ الطبعة الثانية ــ تقديم وتحقيق بالإشتراك مع الأستاذ محيى الدين مستو . دار التراث بالمدينة .

١١ ــ أمجاد الرياض (ملحمة شعرية) الطبعة الأولى .

١٢ ــ غناء الجرح (ديوان شعر) الطبعة الأولى ــ نادي المدينة المنورة الأدبي .

١٣ ــ همسات في آذن الليل (ديوان شعر) ــ الطبعة الأولى ــ نادي المدينة المنورة الأدبي .

١٤ ــ ديوان محمد أمين الزللي ــ تقديم وتحقيق ــ الطبعة الأولى ــ دار التراث بالمدينة .

١٥ ــ ديوان عمر بري ــ تقديم وتحقيق ــ الطبعة الأولى ــ دار التراث بالمدينة .

١٦ ــ المرور بين العلمين في المفاخرة بين الحرمين ؛ للزرندي ــ تحقيق وتقديم ــ الطبعة الأولى ــ مكتبة دار التراث بالمدينة .

١٧ ــ ديوان إبراهيم الأسكوبي ــ تحقيق وتقديم الطبعة الأولى ــ دار التراث بالمدينة .

١٨ ــ المنهل العذب الروي في ترجمة قطب الأولياء النووي ، للسخاوي ــ تحقيق وتقديم ــ الطبعة الأولى ــ دار التراث بالمدينة .

١٩ ــ المنهاج السوي في ترجمة الإمام النووي ، للسيوطي ــ تحقيق وتقديم ــ الطبعة الأولى ــ دار التراث بالمدينة .

٢٠ ــ ديوان إبراهيم بن حسن الأسكوبي ــ تقديم وتحقيق ــ الطبعة الأولى ــ دار التراث بالمدينة .

٢١ ــ حروف من دفتر الأشواق (ديوان شعر) ــ الطبعة الأولى ــ نادي المدينة المنورة الأدبي .

٢٢ ــ تفاصيل في خارطة الطقس (ديوان شعر) الطبعة الأولى ــ نادي المدينة المنورة الأدبي .

٢٣ ــ مدرسة العلوم الشرعية والموقع التاريخي الرائد ــ الطبعة الأولى ــ دار التراث بالمدينة .

٢٤ ــ عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير ، لابن سيد الناس تحقيق بالإشتراك مع الأستاذ محيى الدين مستو ــ الطبعة الأولى ــ دار التراث بالمدينة .


دار الأصفهاني للطباعة